476

ملوك الدنيا الأربعة 1

A.M.


سُلَيْمانُ عَليهِ السَّلامُ

http://wahetelkotob.com/

النَّبِيُّ المَلِكُ

منصور عبد الحكيم

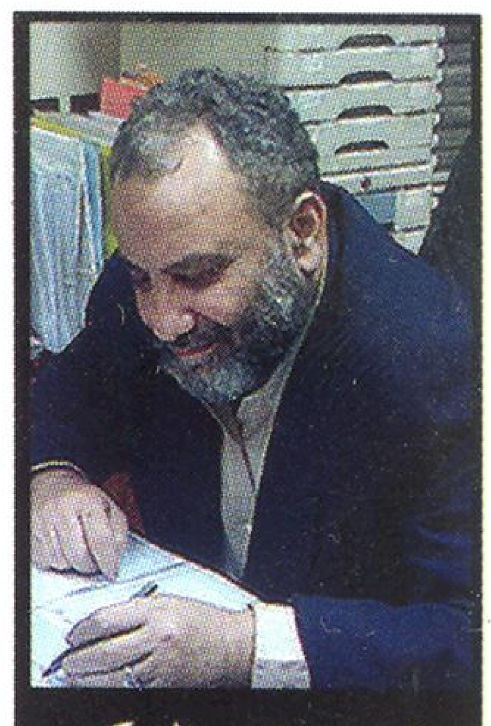
دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة



wed
1/2/2017

سُلَيْمانُ عَلَيهِ السَّلامُ
النَّبِيُّ الملِكُ





منصور عبد الحكيم

سليمان بن داود عليهما السلام أحد ملوك مملكة إسرائيل وثالث ملوك مملكة إسرائيل الموحدة قبل انقسامها إلى مملكة إسرائيل الشمالية وهي المملكة التي بقيت تحكمها قبائل إسرائيل الاثنتا عشرة ومملكة يهوذا في الجنوب والتي حكمها أبناء قبيلة يهوذا وهي القبيلة الوحيدة الباقية من القبائل الاثنتي عشرة حسب كتابات اليهود،يعتقد أن النبي الملك سليمان عليه السلام عاش في الفترة ما بين 970 ق.م حتى 931 ق.م وأشتهر بحكمته وثرائه واتساع مملكته ونفوذه فكان أحد الملوك الذين حكموا العالم .

جاء ذكره فى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة بوصفه أحد الملوك والأنبياء أما فى العهد القديم فلم يعترف اليهود به إلا ملكا واتهموه بممارسة السحر لحكم الناس وقد برأه الله تعالى من ذلك فى القرآن الكريم فى سورة البقرة .

وقد جاء ذكر قصته وملكه في سور سبأ وص والنمل وسورة البقرة والأنعام مع اختلافات مع ماذكرفي جوانب القصة العبرية .

وتقرأ فى هذا الكتاب القصة الحقيقية لهذا النبى الملك العظيم والرد على افتراءات اليهود وأكاذيبهم عليه .

وتقرأعن قصته مع ملكة سبأ وقومها وإسلامها معه وخضوعهم لحكمه،وتقرأعن حكمته وأشهر أحكامه التى قضى بها بين الخصوم .

وتقرأ عن تسخير الله له الرياح والجن والشياطين وتعلمه منطق الطير وقصته مع الهدهد والنمل وغير ذلك من القصص التى ذكرها القرآن الكريم .

إنه كتاب جدير بك أن تقرأه عزيزى القارئ وتنصح غيرك بقراءته تنتفع به وتنفع به الأجيال وتضعه فى مكتبتك الخاصة كنزا للمعلومات .

I.S.B.N. 978-977-376-814-9

8 235276 219524

دار الكتاب العربي
دمشق - القاهرة

سلسلة ملوك الدنيا الأربعة

(1)

النَّبِيُّ المَلِكُ

سليمانُ عليه السلامُ

أحدُ ملوكِ الدُّنيا الأَرْبعةِ

منصور عبد الحكيم

دار الكتاب العربي

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ
وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن
تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾

[آل عمران: ٢٦]

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونستهديه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، إنه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ندَّ له ولا مثيل له، مالك الملك لاشريك له، ملك الملوك ومالك يوم الدين رحمن الدنيا ورحيم الآخرة، يؤتي الملك من يشاء من عباده وينزع الملك ممن يشاء، فهو الملك الحق لا معقب لحكمه الملك العدل سبحانه وتعالى.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصفيه من خلقه وحبيبه، خاتم الأنبياء والرسل وخير من بلغ عن ربه عز وجل، أدى الأمانة وبلغ الرسالة ونصح الأمة وكشف الله به الغمة وتركنا على المحجة البيضاء لا يزيغ عنها إلا هالك، صلى الله عليه وسلم.

ثم أما بعد،،

فالملك والحكم وسيلة لصياغة الحياة وتدبير أمر العباد، ولا يحكم في ملك الله عز وجل إلا بإذنه، ومدار الصراع في الدنيا منذ نشأتها الحكم والملك والسلطة والمال، فتلك هي الحياة الدنيا.

والدنيا منذ أن خلقها الله ونقصد بها الكرة الأرضية قد ملكها أربعة ملوك جاء ذكرهم في أحاديث وآثار نبوية هم: اثنان مؤمنان واثنان كافران، فأما المؤمنان فهما الملك سليمان بن داود عليهما السلام والملك النبي ذو القرنين، وأما الكافران فهما: النمرود ونبوخذنصر، وهناك خامس مؤمن يأتي آخر الزمان وهو المهدي من ذرية النبي محمد صلى الله عليه وسلم.

وفي هذا الكتاب نستعرض قصة أحد هؤلاء الأربعة الذين ملكوا الدنيا وهو الملك النبي سليمان بن داود عليهما السلام أحد ملوك بني إسرائيل.

وقد ذكر القرآن الكريم والسنة النبوية هذا الملك النبي بكثير من التفصيل، أما اليهود في كتبهم فقد اتهموا هذا النبي الملك ظلماً وعدواناً بأنه ساحر واتهموه بالكفر كما ذكر ذلك الحق جل وعلا في سورة البقرة ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وقد دافع الحق جل وعلا في تلك الآية عن هذا النبي الملك ونفى عنه هذا الاتهام اليهودي الباطل.

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية بسنده أن سفيان الثوري قال: بلغني أنه ملك الأرض كلها أربعة: مؤمنان وكافران، سليمان النبي، وذو القرنين. ونمرود، وبخت نصر.

وقال مجاهد: ملك الدنيا مشارقها ومغاربها أربعة:

مؤمنان وكافران، فالمؤمنان سليمان بن داود وذو القرنين والكافران، نمرود وبخت نصر.

وقال السيوطي في الحاوي: وأخرج ابن الجوزي عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ملك الأرض أربعة:

مؤمنان وكافران، فالمؤمنان ذو القرنين وسليمان، والكفاران نمرود، وبخت نصر وسيملكها خامس من أهل بيتي.(١)

وذكر الطبري في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] عن مجاهد قال: أنا أحيي و أميت: أقتل من شئت، واستحيي من شئت أدعه حيًّا فلا أقتله، وقال:

١ - انظر الحاوي للسيوطي، والدر المنثور.

ملك الأرض مشرقها ومغربها أربعة نفر: مؤمنان وكافران فالمؤمنان: سليمان بن داود، وذو القرنين، والكافران بختنصر ونمرود بن كنعان ولم يملكها غيرهم.

وسليمان بن داود عليه السلام ابن النبي الملك أيضاً داود عليه السلام أحد ملوك بني إسرائيل وهو ثالث ملوك مملكة إسرائيل الموحدة التي بدأت بطالوت الملك الذي جاء ذكره في سورة البقرة وحسب التلمود هو أحد الأنبياء الثمانية والأربعين لبني إسرائيل، ويعتقد أنه عاش في الفترة ما بين ٩٧٠ قبل الميلاد حتى ٩٣١ قبل الميلاد وقد أوتي سليمان ملكاً لم يكن لأحد من بعده كما ذكر ذلك القرآن الكريم حيث سُخرت له الشياطين والجن والرياح والطير والوحوش وتعلَّم منطق الطير والحيوانات والحشرات وأطاعوه وقد ورد ذكره في سفر الملوك وسفر أخبار الأيام الأول في العهد القديم.

نسأل الله العظيم رب العرش الكريم أن يوفقنا إلى إخراج هذا العمل على الوجه الذي يرضيه ويقبله منَّا إنه القادر عليه وأن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه ومن اتبع هداه إلى يوم الدين.

منصور عبد الحكيم
mansor2455@yahoo.com
القاهرة في ١٨ مايو ٢٠١٣م

1

عائلة سليمان ابن داود عليهما السلام

- الأب هو النبي الملك داود.
- ذكر داود عليه السلام في القرآن الكريم.
- داود عليه السلام ملكاً وحكماً في بني إسرائيل.
- داود عليه السلام في السُّنة النبوية.
- الزبور كتاب اللّه الذي أُنزل على داود عليه السلام.
- ذكر وفاته وعمره وجنازته.
- داود عليه السلام في العهد القديم وافتراءات اليهود عليه.
- وصية داود عليه السلام لابنه سليمان.

الأب هو النبي الملك داود

الملك النبي سليمان هو النبي ابن النبي الملك داود وقد ذكرهما القرآن الكريم في آيات عديدة، فمن هو الأب داود عليه السلام؟

كانت بداية ظهور داود عليه ا لسلام في المعركة الفاصلة التي خاضها بنو إسرائيل ضد العماليق على أرض فلسطين وذلك بعد موسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥١].

فقد دخل بنو إسرائيل أرض فلسطين بعد وفاة موسى عليه السلام وانتهاء فترة التيه بقيادة النبي يوشع بن نون وأقام على أمرهم بعده قضاة وأنبياء فترة ٣٥٦ سنة وكانوا في صراع دائم، وحروب مستمرة مع الأمم المجاورة لهم وأولهم العماليق العرب وكانت الحرب سجالاً بينهم فتارة يغلبهم اليهود وتارة يغلبون اليهود وكان في تلك الفترة يختار الله من بني إسرائيل أنبياء يكونون عوناً للقضاة.

وبالقرب من مدينة غزة هزمت بنو إسرائيل هزيمة نكراء على يد الفسطينيين وأخذوا منهم تابوت العهد الذي كان يحمله بنو إسرائيل معهم في حروبهم يستنصرون به فوقع في نفوسهم أنهم لن ينتصروا بعد ذلك حتى أوصى الله إلى أحد أنبيائهم وهو صمويل أنه اختار لهم رجلاً منهم يدعى طالوت ليكون ملكاً عليهم وأن آية ملكه عودة تابوت العهد الذي أُخذ منهم تحمله الملائكة وقد رفض غالبية بني إسرائيل اختيار الله لهم

طالوت ليكون ملكاً عليهم كما ذكر ذلك الحق جل وعلا في سورة البقرة ولكن أمر الله نفذ فيهم وتم ترسيم طالوت ملكاً على بني إسرائيل ليخوض معهم معركة العودة وجاءت القصة مجملة في قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَـٰتِلْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ أَلَّا تُقَـٰتِلُوا۟ ۖ قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا
نُقَـٰتِلَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَـٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟
إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ
طَالُوتَ مَلِكًا ۚ قَالُوٓا۟ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِٱلْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً
مِّنَ ٱلْمَالِ ۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى
مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ
أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ
هَـٰرُونَ تَحْمِلُهُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٢٤٨﴾ فَلَمَّا فَصَلَ
طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّى وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ
فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ ۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم
مُّلَـٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾
وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا
وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ
وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم
بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾

[البقرة: ٢٤٦ - ٢٥١].

وفي تلك المعركة التي هُزم فيها الفلسطينيون سطع نجم داود الذي أعطاه الله النبوة والحكمة ثم المُلك بعد وفاة الملك طالوت.

ذكر السدي فيما يرويه أن داود عليه السلام كان أصغر أولاد أبيه و كانوا ثلاثة عشر

ذكراً وكان قد سمع الملك طالوت وهو يحرض بني إسرائيل على قتل جالوت وجنوده وهو يقول من قتل جالوت زوجته بابنتي وأشركته في ملكي، وكان داود عليه السلام يرمي بالقذافة وهو المقلاع رمياً عظيماً، فبينما هو سائر مع بني إسرائيل إذ ناداه حجر أن خذني فإنَّ بي تقتل جالوتَ.

فأخذه ثم حجر آخر كذلك ثم آخر كذلك فأخذ الثلاثة في مخلاته، فلما تواجه الصفان برز جالوت ودعا إلى نفسه – أي إلى المبارزة – فتقدم إليه داود فقال له: ارجع فإني أكره قتلك.

فقال: لكني أحب قتلك.

وأخذ تلك الأحجار الثلاثة فوضعها في القذافة – المقلاع – ثم أدارها فصارت الثلاثة حجراً واحداً، ثم رمى بها جالوت ففلق رأسه وفر جيشه منهزماً.

فوفَّى له طالوت بما وعده فزوجه ابنته وأجرى حكمه في ملكه وعظم داود عليه السلام عند بني إسرائيل وأحبوه ومالوا إليه أكثر من طالوت، فذكروا أن طالوت حسده وأراد قتله وجعل العلماء ينهون طالوت عن قتل داود ثم حصل له توبة وندم.

ثم ذكر أنه خرج مجاهداً حتى قُتل في سبيل الله، وترك المُلك لداود عليه السلام، قال تعالى عن داود: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ (١) [البقرة: ٢٥١].

وقال ابن جرير الطبري والذي عليه الجمهور أنه وُلِّي المُلك بعد قتله جالوت والله أعلم.

قال ابن كثير: هو داود بن إيشا بن عويد بن عابر بن سلمون بن نحشون بن عويناذب ابن أرم بن حصرون بن فارض بن يهوذا بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليه السلام.

وذكر ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه كان داود عليه السلام قصيراً أزرق العينين قليل الشعر طاهر القلب ونقيه.

---

١ – انظر السيرة النبوية لابن كثير، وتاريخ الطبري وزعم أهل التوراة أن عدة حكم طالوت أربعون سنة ذكره الطبري في تاريخه عن أهل الكتاب.

ذكر داود عليه السلام في القرآن الكريم

جاء ذكر داود عليه السلام في آيات عديدة من سور القرآن الكريم بلغ عدد المرات ست عشرة مرة في سورة البقرة والنساء والمائدة والأنعام والإسراء وغيرها:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة: ٢٥١].

﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: ٧٨].

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

﴿ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۖ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٥].

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًاۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٨ – ٨٠].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًاۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيْءٍۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ ﴾ النمل [١٥ – ١٦].

﴿ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًاۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣].

﴿ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ١٧].

﴿ إِذْ دَخَلُواْ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْۖ قَالُواْ لَا تَخَفْۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴾ [ص: ٢٢].

﴿ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴾ [ص: ٢٤].

﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦].

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٣٠].

ومن خلال الآيات التي ذَكرتْ داود وقصته تعلم أن الله عز وجل سخر له الجبال

يسبحن والطير وأن الله علمه صناعة عمل الدروع وأعانه على ذلك وأرشده لطريقة عملها، حتى إنه أرشده في أدق تفاصيل تلك الصناعة فقال ﴿وَقَدِّرْ فِي ٱلسَّرْدِ﴾ [سبأ: ١١] أي لا تدق المسمار فيفلق، ولا تغلظه فيفصم، وقد ألان له الحديد حتى كان يفتله بيده ولايحتاج إلى نار ولا مطرقة، قال قتادة: كان أول من عمل الدروع من زرد وإنما كانت قبل ذلك تعمل من الصفائح وكان داود يصنع منها درعاً كل يوم يبيعها بستة آلاف درهم، وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: «إن أطيب ما أكل الرجل من كسبه، وأن نبي الله داود كان يأكل من كسب يده».(١)

ومما ذكر الحق جل وعلا عن داود في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾ [ص: ١٧ - ٢٠].

قال ابن عباس رضي الله عنهما وأيضاً مجاهد: الأيد تعني القوة في الطاعة وعبادة الله والعمل الصالح. وقال قتادة: المعنى قوة في العبادة وفقهاً في الإسلام.

فقد كان داود كما دلت بذلك الأحاديث النبوية الصحيحة أنه كان يقوم الليل ويصوم نصف يوماً ويفكر يوما.

وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:

«أحب الصلاة إلى الله صلاة داود، وأحب الصيام إلى الله صيام داود: كان ينام نصف الليل، ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وكان يصوم يوماً، ويفطر يوماً، ولا يفر إذا لاقى».

وقوله: ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾.

كما قال: ﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٠] أي: سبحي معه.قاله ابن عباس ومجاهد وغير واحد في تفسير هذه الآية ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾.

١ - البداية والنهاية لابن كثير.

أي: عند آخر النهار وأوله. وذلك أنه كان الله تعالى قد وهبه من الصوت العظيم ما لم يعطه أحداً، بحيث أنه كان إذا ترنم بقراءة كتابه يقف الطير في الهواء، يُرَجِّع بترجيعه، ويسبح بتسبيحه، وكذلك الجبال تجيبه وتسبح معه، كلما سبح بكرة وعشيًّا صلوات الله وسلامه عليه.

وقال الأوزاعي: حدثني عبد الله بن عامر قال: أُعطي داود من حُسن الصوت ما لم يعط أحد قط، حتى إن كان الطير والوحش ينعكف حوله، حتى يموت عطشاً وجوعاً، وحتى إن الأنهار لتقف.

وقال وهب بن منبه: كان لا يسمعه أحد إلا حجل كهيئة الرقص، وكان يقرأ الزبور بصوت لم تسمع الآذان بمثله، فيعكف الجن، والإنس، والطير، والدواب على صوته، حتى يهلك بعضها جوعا.

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية بسنده عن مالك، قال: كان داود عليه السلام إذا أخذ في قراءة الزبور تفتقت العذارى، وهذا غريب. وقال عبد الرزاق عن ابن جريج: سألت عطاء عن القراءة على الغناء، فقال: وما بأس بذلك؟ سمعت عبيد بن عمران يقول: كان داود عليه السلام يأخذ المعزفة فيضرب بها فيقرأ عليها فترد عليه صوته يريد بذلك أن يَبكي ويُبكي، وقد يكون ذلك في ملته.

عن عروة، عن عائشة قالت: سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم صوت أبي موسى الأشعري وهو يقرأ فقال: «لقد أوتى أبو موسى من مزامير آل داود».رواه أحمد في المسند. وهذا على شرط الشيخين ولم يخرجاه من هذا الوجه.

وقد كان مع هذا الصوت الرخيم سريع القراءة لكتابه الزبور، كما قال الإمام أحمد: بسنده، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «خُفف على داود القراءة، فكان يأمر بدابته فتسرج، فكان يقرأ القرآن من قبل أن تسرج دابته، وكان لا يأكل إلا من عمل يديه».

وكذلك رواه البخاري منفرداً به عن عبد الله بن محمد، عن عبد الرزاق به، ولفظه:

«خُفف على داود القرآن، فكان يأمر بدوابه فتسرج، فيقرأ القرآن قبل أن تسرج دوابه ولا يأكل إلا من عمل يديه». ثم قال البخاري: ورواه موسى بن عقبة، عن صفوان هو ابن سليم، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم. وقد أسنده ابن عساكر في ترجمة داود عليه السلام في «تاريخه» من طرق عن إبراهيم بن طهمان، عن موسى بن عقبة، ومن طريق أبي عاصم عن أبي بكر السبري، عن صفوان بن سليم به.

والمراد بالقرآن هاهنا الزبور الذي أنزله عليه وأوحاه إليه. وذكر دوابه أشبه أن يكون محفوظاً؛ فإنه كان ملكاً له أتباع، فكان يقرأ الزبور بمقدار ما تسرج الدواب، وهذا أمر سريع مع التدبر والترنم والتغني به على وجه التخشع، صلوات الله وسلامه عليه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]. والزبور كتاب مشهور وذكرنا في التفسير الحديث الذي رواه أحمد وغيره أنه أنزل في شهر رمضان، وفيه من المواعظ والحكم ما هو معروف لمن نظر فيه.(١)

وقوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ [ص: ٢٠] أي: أعطيناه ملكاً عظيماً وحكماً نافذاً. وروى ابن جرير وابن أبي حاتم عن أبي عباس: أن رجلين تداعيا إلى داود عليه السلام في بقرة، ادعى أحدهما على الآخر أنه اغتصبها منه، فأنكر المدعى عليه فأرجأ أمرهما إلي الليل، فلما كان الليل أوحى الله إليه أن يقتل المدعى، فلما أصبح قال له داود إن الله أوحى إلي أن أقتلك فأنا قاتلك لا محالة، فما خبرك فيما ادعيته على هذا؟

قال: والله يا نبي الله إني لمحق فيما ادعيت عليه، ولكني كنت اغتلت أباه قبل هذا، فأمر به داود فقتل. فعظم أمر داود في بني إسرائيل جدًّا وخضعوا له خضوعاً عظيماً، قال ابن عباس وهو قوله تعالى: ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾ أي: النبوة.

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾ قال شريح والشعبي وقتادة وأبو عبد الرحمن السُّلمي وغيرهم: فصل الخطاب الشهود والأيمان، يعنون ذلك: «البينة على المدعي واليمين على من أنكر».

١- المصدر السابق.

وقال مجاهد والسدي: هو إصابة القضاء وفهمه. وقال مجاهد: هو الفصل في الكلام وفي الحكم.

وقال وهب بن منبه: لما كثر الشر والشهادات الزور في بني إسرائيل أعطى داود سلسلة لفصل القضاء، فكانت ممدودة من السماء إلى صخرة بيت المقدس، وكانت من ذهب، فإذا تشاجر الرجلان في حق فأيهما كان محقًّا نالها والآخر لا يصل إليها، فلم تزل كذلك حتى أودع رجل رجلاً لؤلؤة، فجحدها منه، وأخذ عكازاً وأودعها فيه، فلما حضرا عند الصخرة تناولها المدعي، فلما قيل للآخر خذها بيدك عمد إلى العكاز فأعطاه المدعي وفيه تلك اللؤلؤة وقال: اللهم إنك تعلم أني دفعتها إليه، ثم تناول السلسلة فنالها، فأشكل أمرها على بني إسرائيل، ثم رفعت سريعاً من بينهم. ذكره بمعناه غير واحد من المفسرين. (وقد رواه إسحاق بن بشر عن إدريس بن سنان، عن وهب به بمعناه).[1]

وقد ذكر بعض المفسرين قال ابن كثير: إن داود عليه السلام مكث ساجداً أربعين يوماً، وقاله مجاهد والحسن وغيرهما، وورد في ذلك حديث مرفوع، لكنه من رواية يزيد الرقاشي، وهو ضعيف متروك الرواية.

قال الله تعالى: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٥]. أي: وإن له يوم القيامة لزلفى، وهو القربة التي يقربه الله بها، ويدنيه من حظيرة قدسه يسببها، كما ثبت في الحديث: «المقسطون على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين، الذي يقسطون في أهليهم وحكمهم وما وُلُّوا».

روى الإمام أحمد في مسنده، بسنده، عن أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن احب الناس إلى الله يوم القيامة وأقربهم منه مجلساً إمام عادل، وإن أبغض الناس إلى الله يوم القيامة وأشدهم عذاباً إمام جائر».[2]

١- المصدر السابق.

٢- رواه الترمذي.

داود عليه السلام مَلِكاً وحَكَماً في بني إسرائيل

قال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦]. هذا خطاب من الله تعالى مع داود، أي أن الله ولاه الأمور، وحُكم الناس، وأمره بالعدل، واتباع الحق المنزل من الله لا ما سواه من الآراء والأهواء، وتوعد من سلك غير ذلك، وحكم بغير ذلك.

وقد كان داود عليه السلام هو المقتدَى به في ذلك الوقت في العدل، وكثرة العبادة، وأنواع القربات، حتى إنه كان لا يمضي ساعة من آناء الليل وأطراف النهار إلا وأهل بيته في عبادة ليلاً ونهاراً.

قال تعالى: ﴿ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴾ [سبأ: ١٣].

عن أبي الجلد قال: قرأت في مسألة داود عليه السلام أنه قال: يا رب كيف لي أن أشكرك، وأنا لا أصل إلى شكرك إلا بنعمتك.

قال: فأتاه الوحي أن يا داود: ألست تعلم أن الذي بك من النعم مني؟

قال: بلى يا رب.

قال: فإني أرضى بذلك منك.

روى البيهقي بسنده عن ابن شهاب قال: قال داود: الحمد لله كما ينبغي لكرم وجهه،

وعز جلاله، فأوحى الله إليه إنك أتعبت الحفظة يا داود. (١)

وقال عبد الله بن المبارك في كتاب الزهد: أنبأنا سفيان الثوري، عن رجل، عن وهب ابن منبه قال: إن في حكمة آل داود: حق على العاقل أن لا يغفل عن أربع ساعات ساعة يناجي فيها ربه، وساعة يحاسب فيها نفسه، وساعة يفضي فيها إلى إخوانه الذين يخبرونه بعيوبه ويصدقونه عن نفسه، وساعة يخلي بين نفسه وبين لذاتها فيما يحل ويجمل فإن هذه الساعة عون على هذه الساعات وإجمام للقلوب، وحق على العاقل أن يعرف زمانه ويحفظ لسانه ويقبل على شأنه، وحق على العاقل أن لا يظعن إلا في إحدى ثلاث: زاد لمعاده، ومرمة لمعاشه، ولذة في غير محرم.

وكان داود عليه السلام يجلس للحكم فيما يعرض عليه من منازعات وقضايا حتى إنه ذات يوم جلس في محرابه ولم يخرج للناس، فأرسل له الله ملكان كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [ص: ٢١-٢٥].

وقد ذكر كثير من المفسرين من السلف والخلف ههنا، قصصا وأخبارا أكثرها إسرائيليات، ومنها ما هو مكذوب لا يصح، ويكفي ما ذكرته الآية الكريمة التي تدل على أهمية أن يجلس الحاكم للحكم بين الناس بالعدل.

قال تعالى: ﴿ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴾ [ص: ٢٦].

---

١ - رواه أيضاً أبو بكر بن أبي الدنيا.

وأفضل ما قيل من أهل التفسير ما قاله البيضاوي في تفسيره للآية فقال: وأقصى ما في هذه القصة الإشعار بأنه عليه السلام ود أن يكون له ما لغيره وكان له أمثاله فنبهه الله بهذه القصة فاستغفر وأناب.

وهناك قضية شهيرة جاء ذكرها في القرآن الكريم قال تعالى:

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَـٰهِدِينَ ﴾ [الأنبياء: ٧٨].

يخبرنا الله في هذه الآية عن قوم كان لهم كَرْمٌ (أي بستان كبير) تدلّت فيه عناقيد العنب، وإذا بقطيع من الغنم، يأتي إلى هذا الكرم ليلاً ويأكل منه كلّ شيء، لم يدع فيه ورقة ولا عنقوداً إلا أكله أو أفسده وأتلفه، والنفش هو الرعي وهو لا يكون إلا في الليل.

وفي الصباح عندما جاء أصحاب البستان ورأوا ما حلَّ به من تلف وخراب.. ذهبوا إلى داود عليه السلام ليحكم بينهم بحكمه العادل.

قال أصحاب الزرع: إنّ هذا البستان كان مثمراً وقد نبتت عناقيده وامتلأت بالعنب، إلى أن جاء الغنم بالأمس فأكلتْ كلَّ ما فيه.

فحكم لهم داود عليه السلام بأن تعطى الغنم إلى أصحاب الكرم، تعويضاً لهم عن خسارتهم في هذا الكرم.

وبعد أن أصدر داود حكمه، خرج الخصوم من عنده، فلقيهم سليمان عليه السلام (وهو ابن داود، وكان حينها ابن إحدى عشرة سنة) فسألهم عن قصّتهم، وبما حَكَمَ لهم نبيُّ الله داود، فأخبروه بالقصّة، وذكروا له الحكم الذي أصدره بحقِّهم.. فقال سليمان عليه السلام:

- أما أنا لو كنت حكمت لكم لقضيت بتسليم الغنم إلى أصحاب الكرم ليأخذوا من ألبانها وأصوافها إلى أن يقوم أصحاب الغنم بإصلاح الكَرْم حتى يعود إلى حالته الأولى قبل إفساده، ثم يأخذ أصحاب الغنم غنمهم ويستعيد أهل الكَرْم كَرْمَهم.

وحين سمع داود حكم سليمان أُعجب به وقال له:

- لقد أصبحت الآن يا سليمان شابًّا قويًّا حكيماً، ذا رأي سديد، وأكلفك من الآن أمر الحكم بين الناس.

وهكذا عدل حُكْمُ سليمانَ حُكْمَ داود، بما ألهمه الله تعالى وهداه، فكان اجتهاده أقرب إلى الصواب والعدل. وقد ثبَّتَ اللهُ حُكْمه هذه في قرآنه الكريم بقوله:

﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

ثم يخبرنا الله تعالى أن كلا الحُكْمين كان صواباً، لأنه ورد في الآية نفسها قولُه سبحانه وتعالى: ﴿وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٩].

وصار سليمان يجلس كل يوم إلى الناس ليقضيَ بينهم ويحلَّ خلافاتهم ومشاكلهم بما يُرضي الله تعالى والناس بالحق.

داود عليه السلام في السنة النبوية

جاء ذكر داود عليه السلام في أحاديث نبوية نذكر ما أجمله ابن كثير في تاريخه بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رجلاً سأله عن الصيام فقال له: لأحدثنك بحديث عندي في البحث مخزوناً إن شئت أنبأتك بصوم داود، فإنه كان صوَّاماً قوَّاماً وكان شجاعاً لا يفر إذا لاقى، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً.

وقال صلى الله عليه وسلم: أفضل الصيام صيام داود، وكان يقرأ الزبور بسبعين صوتاً يكون فيها، وكانت له ركعة من الليل يبكي فيها نفسه، ويبكي لبكائه كل شيء، ويصرف بصوته الهموم والمحموم.

وإن شئت أنبأتك بصوم ابنه سليمان، فإنه كان يصوم من أول الشهر ثلاثة أيام ومن وسطه ثلاثة أيام ومن آخره ثلاثة أيام، يستفتح الشهر بصيام ووسطه بصيام ويختمه بصيام. (١)

---

١ - وحديث صيام داود رواه الشيخان.

الزبور كتاب الله الذي أُنزل على داود عليه السلام

وداود عليه السلام من جملة الأنبياء الذين أنزل الله عليهم كتاباً من عنده وهذا الكتاب هو الزبور.

قال تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣].

قال ابن كثير: الزبور هو الكتاب الذي أوحاه الله إلى داود عليه السلام.

وقال القرطبي: الزبور كتاب داود وكان مائة وخمسين سورة ليس فيها حكم ولا حلال ولا حرام، وإنما هو حِكَم ومواعظ.

وكان داود عليه السلام حسن الصوت، فإذا أخذ في قراءة الزبور اجتمع إليه الإنس والجن والطير والوحوش لحسن صوته.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

والفضل الذي أعطاه الله تعالى هو: النبوة والزبور والعلم والقوة وتسخير الجبال والحكم بالعدل وإلانة الحديد والصوت الحسن. وداود عليه السلام أرسل إلى قومه بني إسرائيل.

ويرى البعض أن الزبور هو المزامير التي في العهد القديم ولكننا نرى أنه غير ذلك لطبيعة تلك المزامير التي نسبها اليهود إلى داود وسليمان من كونها عبارة عن أناشيد والله أعلم.

واليهود يقولون إن المزامير من تأليف داود وسليمان والقارئ لها يتضح له ذلك فهي نداءات وتسبيحات من داود لربه نذكر منها: «يارب إليك صرخت.. أسرع إليَّ. أصغ إلى صوتي عندما أصرخ إليك.. بك احتميت، لا تفزع نفسي، احفظني من الفخ الذي نصبوه لي ومن شراك فاعلي الإثم، ليسقط الأشرار في شباكهم حتى أنجو أنا بالكلية». (مزمور ١٤١).

أما الزبور فهو كتاب يحتوي على مواعظ وحكم وليس به أحكام كما قال القرطبي وغيره وهذا ما نراه الصواب والله أعلم.

ذكر وفاته وعمره وجنازته

ذكر ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية روايات ضعيفة رواها الإمام أحمد في مسنده عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في خلق آدم أن الله لما استخرج ذرية من ظهره فرأى فيهم رجلاً يزهر،

فقال: أي رب من هذا؟

قال: هذا ابنك داود.

قال: أي رب كم عمره؟

قال: ستون عاماً.

قال: أي رب زد في عمره.

قال: لا إلا أن أزيده من عمرك.

وكان عمر آدم ألف عام فزاده أربعين عاماً

فكتب الله عليه بذلك كتاباً وأشهد عليه الملائكة فلما احتُضر آدم أتته الملائكة لقبضه.

قال: إنه قد بقى من عمري أربعون عاماً، فقيل له: قد وهبتها لابنك داود، قال: ما فعلت، وأبرز الله عليه الكتاب وشهدت عليه الملائكة. (والحديث ضعيف).

وفي رواية: بقي من عمري أربعون سنة، ونسي آدم ما كان وهبه لولده داود، فأتمها الله لآدم ألف سنة، ولداود مائة سنة.(١)

١- وروى مثله الطبراني قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن أول من جحد آدم ثلاثاً»... ثم ذكر الحديث.

وأما عن وفاته فقد روى أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي هريرة، أن رسول الله قال:

كان داود فيه غيرة شديدة فكان إذا خرج أغلق الأبواب فلم يدخل على أهله أحد حتى يرجع فخرج ذات يوم وغلقت الدار فأقبلت امرأته تطلع إلى الدار، فإذا رجل قائم وسط الدار، فقالت لمن في البيت: من أين دخل هذا الرجل والدار مغلقَة؟ والله لنفتضحن بداود فجاء داود فإذا الرجل قائم في وسط الدار فقال له داود: من أنت؟

فقال: أنا الذي لا أهاب الملوك ولا أمنع من الحجاب

فقال داود: أنت والله إذاً ملك الموت، مرحباً بأمر الله.

ثم مكث حتى قبضت روحه فلما غسل وكفن وفرغ من شأنه طلعت عليه الشمس، فقال سليمان للطير: أظلي على داود فأظلته الطير حتى أظلمت عليه الأرض.

فقال سليمان للطير: أقبضي جناحاً.

قال أبو هريرة: فطفق رسول الله يرينا كيف فعلت الطير، وقَبض رسول الله بيده وغلبت عليه يومئذ المضرحية. (انفرد بإخراجه الإمام أحمد، وإسناده جيد قوي، رجاله ثقات).

ومعنى قوله: «وغلبت عليه يومئذ المضرحية» أي وغلبت على التظليل عليه المضرحية وهي الصقور الطوال الأجنحة واحدها مضرحي. قال الجوهري: وهو الصقر الطويل الجناح.

وقال السدي عن أبي مالك، عن ابن مالك، عن ابن عباس قال: مات داود فجأة وكان بسبت، وكانت الطير تظله.

وعن قتادة، عن الحسن البصري، قال: مات داود وهو ابن مائة سنة ومات يوم الأربعاء فجأة وقال أبو السكن الهجري: مات إبراهيم الخليل فجأة وداود فجأة وابنه سليمان فجأة صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين. (رواه ابن عساكر).

وروي عن بعضهم أن ملك الموت جاءه وهو نازل من محرابه.

فقال له: دعني أنزل أو أصعد.

فقال: يا نبي الله قد نفدت السنون والشهور والآثار والأرزاق.

قال: فخر ساجداً على مرقاة من تلك المراقي فقبضه وهو ساجد.

و عن وهب بن منبه قال: إن الناس حضروا جنازة داود فجلسوا في الشمس في يوم صائف.

وكان قد شيع جنازته يومئذ أربعون ألف راهب عليهم البرانس سوى غيرهم من الناس، ولم يمت في بني إسرائيل بعد موسى وهارون أحد، كانت بنو إسرائيل أشد جزعاً عليه منهم على داود.

فآذاهم الحر فنادوا سليمان أن يعمل لهم وقاية لما أصابهم من الحر، فخرج سليمان فنادى الطير فأجابت فأمرها أن تظل الناس، فتراص بعضها إلى بعض من كل وجه، حتى استمسكت الريح فكاد الناس أن يهلكوا غمًّا فصاحوا إلى سليمان من الغم، فخرج سليمان فنادى الطير أن أظلي الناس من ناحية الشمس وتنحي عن ناحية الريح. ففعلت فكان الناس في ظل تهب عليهم الريح، فكان ذلك أول ما رأوه من ملك سليمان عليه السلام. والله أعلم

داود عليه السلام في العهد القديم وافتراءات اليهود عليه

والد داوُد هو يسى، يسى بن عوبيد، عوبيد بن بوعز الذي من قبيلة اليهودية وراعوث المؤابية، ونسل داوُد مذكور في سفر راعوث ٢٢-١٨:٤.

كان لداوُد ٨ زوجات وأطفال من نساء أخريات:

وجاء في سفر الملوك الأول عنه:

وَشَاخَ الْمَلِكُ دَاوُدُ وَطَعَنَ فِي السِّنِّ، فَكَانُوا يُدَثِّرُونَهُ بِالأَغْطِيَةِ فَلاَ يَشْعُرُ بِالدِّفْءِ. فَقَالَ لَهُ عَبِيدُهُ: «لِيَلْتَمِسْ سَيِّدُنَا الْمَلِكُ فَتَاةً عَذْرَاءَ تَخْدُمُكَ، وَتَعْتَنِي بِكَ وَتَضْطَجِعُ فِي حِضْنِكَ، فَتَبْعَثُ فِيكَ الدِّفْءَ». فَبَحَثُوا لَهُ عَنْ فَتَاةٍ جَمِيلَةٍ فِي أَرْجَاءِ إِسْرَائِيلَ، فَعَثَرُوا عَلَى أَبِيشَجَ الشُّونَمِيَّةِ فَأَحْضَرُوهَا إِلَى الْمَلِكِ. وَكَانَتِ الْفَتَاةُ بَارِعَةَ الْجَمَالِ، فَصَارَتْ لَهُ حَاضِنَةً، تَقُومُ عَلَى خِدْمَتِهِ، وَلَكِنَّ الْمَلِكَ لَمْ يُعَاشِرْهَا. (سفر ملوك الأول ٤-١:١).

كما جاء في سفر أخبار الأيام الأول الإصحاح ٣، كان لداوُدَ أبناء من زوجاته، ولكن اسماؤهم غير موجودة في سفر الأخبار. من بَثْشَبَعَ أولاده كانوا:

شِمْعَى وَشُوبَابُ وَنَاثَانُ وَسُلَيْمَانُ.

والأبناء الذين أنجبهم في حبرون:

بِكْرُهُ أَمْنُونُ مِنْ أَخِينُوعَمَ الْيَزْرَعِيلِيَّةِ، ثُمَّ دَانِيئِيلُ مِنْ أَبِيجَايِلَ الْكَرْمَلِيَّةِ، وَالثَّالِثُ أَبْشَالُومُ بْنُ مَعْكَةَ بِنْتِ تَلْمَايَ مَلِكِ جَشُورَ، وَالرَّابِعُ أَدُونِيَّا بْنُ حَجِّيثَ، وَالْخَامِسُ شَفَطْيَا مِنْ أَبِيطَالَ، وَالسَّادِسُ يَثْرَعَامُ مِنْ عَجْلَةَ زَوْجَتِهِ.

فَكَانَتْ جُمْلَةُ الْمَوْلُودِينَ لَهُ فِي حَبْرُونَ سِتَّةَ أَبْنَاءٍ، وَقَدْ مَلَكَ هُنَاكَ سَبْعَ سِنِينَ وَسِتَّةَ أَشْهُرٍ، ثُمَّ مَلَكَ فِي أُورُشَلِيمَ ثَلاَثاً وَثَلاَثِينَ سَنَةً.

أَمَّا الَّذِينَ أَنْجَبَهُمْ فِي أُورُشَلِيمَ فَهُمْ: شِمْعَى وَشُوبَابُ وَنَاثَانُ وَسُلَيْمَانُ، وَهَؤُلاَءِ الأَرْبَعَةُ وَلَدَتْهُمْ بَثْشَبَعُ بِنْتُ عَمِّيئِيلَ.

وَكَانَ لَهُ تِسْعَةُ أَبْنَاءٍ آخَرُونَ هُمْ يِبْحَارُ وَأَلِيشَامَعُ وَأَلِيفَالَطُ، وَنُوجَهُ وَنَافَجُ وَيَافِيعُ، وَأَلِيشَمَعُ وَأَلِيَادَاعُ وَأَلِيفَلَطُ. وَجَمِيعُهُمْ أَبْنَاءُ دَاوُدَ مَاعَدَا أَبْنَاءَ الْمَحْظِيَّاتِ. وَكَانَتْ لَهُمْ أُخْتٌ تُدْعَى ثَامَارَ.

واسم داود يعرف بالعبرية الحديثة: دافيد معناه «محبوب»، هو ثاني ملك على مملكة إسرائيل الموحدة (١٠١١ ق.م. - ٩٧١ ق.م.) وأحد أنبياء بني إسرائيل يتم وصفه على أنه أحق وأنزه ملك من بين ملوك إسرائيل التاريخيين وأيضاً هو محارب ممتاز، ويعتبره التراث اليهودي والمسيحي مؤلف العديد من المزامير.

إجابة لرغبة داوُد لبناء معبد أو بيت لله، وعد الله داوُد أن عائلته الملكية سوف تعيش للأبد. ولذلك، يؤمن اليهود أن المسيح اليهودي سوف يكون من نسل داوُد المباشر، ويؤمن المسيحيون أن نسل يسوع المسيح يعود إلى داوُد لأن مريم يعود نسلها إلى داوُد.

تم تدوين حياته وقصة ملكه في التوراة العبري في سفر صموئيل ١ (إصحاح ١٦ فما بعد) وصموئيل ٢، ملوك ١، ملوك ٢.

جاء في العهد القديم أن الله قد سحب الله فضله من الملك شاول وأرسل النبي [صموئيل] إلى يسى في بيت لحم «أنا أقمت لي ملكاً من بين أبناءه»، فوقع الاختيار على داوُد، الذي هو كان الأصغر وكان يحرس غنم أبيه، «كان فتى أشقر، أخاذ العينين وسيم الطلعة». فقال الرب لصموئيل «قم امسحه لأن هذا هو من اخترته».

والإسرائيليون الذين هم تحت حكم شاول كانوا يواجهون جيشا. داوُد الذي هو اصغر أولاد [يسى] كان يجلب الطعام يوميا إلى إخوته بينما هم كانوا مع شاول. سمع داوُد [جليات] ([جالوت] في القرآن) يطلب من الإسرائيليين بأن يُرسلوا بطلهم لكي يحسم

النتيجة النهائية للحرب. أصر داوُد على إخوته بأنه يستطيع ان يهزم جليات {جالوت}، وبعدما سمع شاول ذلك، قرر إرسال داوُد بالرغم من أنه كان في شك من قدرة داوُد، لكنه أرسله ليحاول. كان النصر حليف داوُد حيث رمى جليات بحجر وبعد موت جليات كان النصر حليف الإسرائيليين، جلب داوُد رأس جليات لشاول، سأل شاول داوُد عن ابن من يكون، فأجاب داوُد: «أنا ابن خادمك يسى الذي من بيت لحم».

سأل شاول من داوُد بأن يجلب له الغلفة لمئة من الفلسطينين مقابل أن يعطيه شاول ابنته. عندما عاد داوُد ومعه ٢٠٠ غلفة، أعطى شاول ابنته الثانية ميكال، ووضعه مسؤولاً في دولته.

هزم دَاوُدَ الْيَبُوسِيِّينَ في أورشليم واتخذها عاصمة له وجلب تابوت العهد لبناء هيكل، لكن الله تكلم إلى النبي ناثان وقال بأنه لا يجب بناء هذا المعبد، ولكن يجب الانتظار للجيل القادم وبأنه سينشيء منزل خالد لدَاوُدَ «سيكون لك عرش أبدي». بعدها يُنشيء لداوُد مملكة لاتُهزم. وتهزم أَرَامَ وَصُوبَةَ (سورية الحالية) وأَدُومَ ومُوآبَ (الأردن حالياُ) وبلاد الفلسطينيين وغيرها كثيرا.

وعند اليهود في العهد القديم يعرف داود أنه مؤلف وكاتب معظم المزامير التي في الكتاب المقدس. من أشهر المزامير هو مزمور ٥١ الذي بحسب التقليد يتكلم عن دَاوُدَ عِنْدَمَا جَاءَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ نَاثَانُ بَعْدَ دُخُولِهِ إِلَى بَثْشَبَعَ. ولكن من المزامير المعروفة بكثرة هو مزمور ٩١ وكذلك من أشهرها مزمور ٢٣:

الرَّبُّ رَاعِيَّ فلا يُعوزني شَيءٌ.
فِي مَرَاعٍ خُضْرٍ يُرْبِضُنِي، إِلَى مِيَاهِ الرّاحَةِ يورِدُني.
يُنْعِشُ نَفْسِي وَيُرْشِدُنِي إِلَى طُرُقِ الْبِرِّ إِكْرَاماً لِاَسْمِهِ.
حَتَّى إِذَا اجْتَزْتُ وَادِي ظِلاَلِ الْمَوْتِ، لاَ أَخَافُ سُوءاً لأَنَّكَ تُرَافِقُنِي. عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا مَعِي يُشَدِّدَانِ عَزِيمَتِي.
تَبْسُطُ أَمَامِي مَأْدُبَةً عَلَى مَرْأى مِنْ أَعْدَائِي. مَسَحْتَ بِالزَّيْتِ رَأْسِي، وَأَفَضْتَ كَأْسِي.
إِنَّمَا خَيْرٌ وَرَحْمَةٌ يَتْبَعَانِنِي طَوَالَ حَيَاتِي، وَيَكُونُ بَيْتُ الرَّبِّ مَسْكَناً لِي مَدَى الأَيَّامِ.

افتراءات اليهود في كتبهم على داود عليه السلام

ذكرنا ماذا قال الحق سبحانه وتعالى في القرآن الكريم عن داود عليه السلام وكذلك ماذا قال النبي صلى الله عليه وسلم عنه أيضاً، فهو نبي من أنبياء الله أثنى الله عليه وعلى صلاته وذكره، أما اليهود في كتبهم فقد اتهموه بالزنا كما سنذكر ذلك وتعالوا بنا نقرأ مختصر سيرته من خلال كتبهم التي يقدسونها.

قالوا إنه لما هَزم داودُ جالوتَ ورجاله حسنت حاله عند شاول الذي ذكر في القرآن باسم «طالوت» وصار مقدماً بين رجال الحرب في بني إسرائيل وعظمت منزلته وزوجة ابنته، ولكن قلب شاول بعد ذلك تغير لما أحس بتعلق الشعب به وعمل على قتله حتى لاتمتد عينه على كرسي الملك، ولما اعتزم شاول قتل داود أخبرت «ميكال» زوجة داود وابنة شاول زوجها داود فهرب منه.

وانتهى الأمر بداود أن هرب إلى «أخيش» ملك «جت» وهم أعداء شاول، وجمع داود جميع بيت أبيه وكل معارض لشاول حوله وانتقل إلى مصفاة موآب ثم انتقل إلى أرض يهوذا، وأقام داود في البرية وشاول يطلبه وجمع الجنود للتفتيش عليه والإيقاع به ولكنه لم يمكن منه وانتهى الأمر بشاول أن هزمه الفلسطينيون وقتلوه ومن معه من أبناء، ثم بايع رجال يهوذا داود عليه السلام بالملك وصعد داود ومعه رجال يهوذا إلى حبرون وهي مدينة الخليل الآن وأقام بالطاعة لابن شاول «يشبوشث». وأصبح لبني إسرائيل مملكتان.

وحصلت حروب بين رجال داود ورجال ايشبوشث بن شاول إلى أن هلك ابن شاول بعد سنتين فجاء بقية رؤساء إسرائيل وأطاعوا داود كملك. فأصبح ملكاً عليهم في حبرون سبع سنوات ثم انتقل بعد ذلك إلى صهيون وهو حصن سماه مدينة داود وكان المقيمون في جبل الموريا من اليبوسيين فأقام إلى صهيون إلى أن صارت جميعها لبني إسرائيل. (١)

ومن افتراءات اليهود على داود عليه السلام أنهم اتهموه بالزنا في قصة زواجه بزوجة أحد قادة الجيش (أوريا). فقالوا إن داود نظر وهو يمشي على سطح داره إلى امرأة تستحم فأعجبته وأغرم بها وأتى بها واضجعها معها فحملت منه وأعلمته وكان زوجها «أوريا الحثي» في الحرب فأتى به ليسأله عن أمر الحرب في الظاهر وليحدث الرجل من امرأته عهداً حتى لا يرتاب بأمرها إذا علم فيما بعد أنها حامل ولكن الرجل كان تقيًّا جدًّا فبات بباب داود ولم يزر امرأته لأنه رأى من عدم التقوى أن يتمتع وإخوانه في الحرب بعيدون عن زوجاتهم فلما علم داود بأمره لم ير وسيلة لعدم افتضاح أمره إلا تعريض أوريا لجبهة القتال حاملاً الراية وأن يتأخر عنه الجند بعد التقدم وبهذه الوسيلة قُتل الرجل وأتت امرأته بولد من تلك الزنية، وتزوجها داود ثم مرض الولد ثم مات ومن هذه المرأة أنجب منها سليمان الذي أصبح ملكاً على بني إسرائيل بعد ذلك، وهذا كله منهم كذب وافتراء. (٢)

وقد قال البيضاوي في تفسيره وتعليقه على تلك القصة المزعومة: وما روى أن بصره وقع على امرأة فعشقها وسعى حتى تزوجها وولدت منه سليمان إن صح فلعل خطب مخطوبة أو استنزله عن زوجته وكان ذلك معتاداً فيما بينهم وقد أوصى الأنصار المهاجرين بمثل هذا، وما قيل أنه أرسل أوريا مراراً للحرب وأمر أن يتقدم حتى قُتل فتزوجها هزء وافتراء ولذلك قال الإمام علي رضي الله عنه من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين جلدة، وكأنه أراد تغليظ العقوبة لأن المقذوف نبي. (٣)

١- انظر قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار.

٢- اقرأ كتابنا إيذاء وازدراء الأنبياء، فيه المزيد والمفيد عن إيذاء وافتراءات اليهود في كتبهم على أنبياء الله، الناشر دار الكتاب العربي.

٣- حد القذف ثمانون جلدة ومائة وستون هو ضعف العقوبة.

أبناء داود عليه السلام وثورة ابنه إبشالون عليه

جاء ذكر أسرة داود عليه السلام وأبنائه في العهد القديم بأنهم سبعة عشر، منهم ستة أولاد في حبرون والباقون في أورشاليم (القدس) وكان لداود ثلاثون عاماً حين ملك حبرون وبقي ملكاً على يهوذا نحو سبع سنوات ونصف العام ثم ملك جميع بني إسرائيل لمدة ثلاث وثلاثين سنة. (١)

وكان النبي المعاصر لدواد في بداية ظهوره هو النبي صموئيل ثم جاء من بعده النبي ناثان.

واستطاع داود عليه السلام أن يحقق الاستقرار والسيطرة على معظم الأرض الفلسطينية غرب البحر الميت وأرسل حملة بقيادة يوآب قائد جيشه لحرب الأدوميين، وقد ذكر العهد القديم أن يوآب قام بمجزرة بشرية أفنى فيها الذكور كلهم وأن بعضاً من الأسرة الحاكمة استطاعوا الهرب ومعهم طفل ملكي عمره سبع سنوات يدعى «هدد» الذي لجأ إلى ملك مصر بسونس الثاني من الأسرة الحادية والعشرين الذي رعاه فلما كبر سنه زوجه أخته تحفنيس وقد أصبح فيما بعد عدو الملك سليمان بن داود. (٢)

١- ولد لداود وهو في حبرون من الأبناء ستة هم: ابنه البكر أمنون من أخينو عم اليزرعيلية، كيلاب من ابيجال، إبشالوم من ملكة بنت كلماي ملك جشور، أدوينا من حجيب، شفطيا من إبيطال، يثرعام من عجلة، وولد له أحد عشر ابناً في أورشاليم وهم: شموع أو مشعى، وشوباب أو شوبان وناثان وهم من زوجته بشوع بنت عميئيل، وسليمان من بثشبع التي كانت زوجة أوريا الحثى، يبحار واليشوع ونافج ويافيع وأليشمع واليداع، وأليلغط.

٢- انظر سفر الملوك ١ (١١: ١٤ - ٢٢).

استطاع داود عليه السلام أن يخلص بني إسرائيل من التسلط الفلسطيني وأن يفرض نفوذه وسلطانه ويأخذ الجزية من المؤابيين والعمويين وكثير من الإمارات الأرامية، وفي التوراة (العهد القديم) حدود دولة إسرائيل في عهد الملك داود عليه السلام من دان إلى بئر سبع أي أنها لم تشمل كامل الأرض الفلسطينية لاحتمائها بالنفوذ المصري، واستطاع داود عليه السلام في أواخر حكمه السيطرة على طرق التجارة بين العراق وسوريا ومصر واستولى على التجارة بين بلاد العرب في الجنوب وحلب والساحل الفينيقي في الشمال حتى أصبحت مملكة داود ذات قوة اقتصادية وسياسية وعسكرية لايستهان بها إلا أن فترة حكمه الأخير كما ذكرت التوراة قد شهدت اضطرابات داخلية بسبب تمرد أحد أبنائه عليه، فقد ذكرت التوراة في سفر صموئيل الثاني قصة اغتصاب ابن داود لأخته وقتل الابن لأخيه، كذلك ثورة ابنه إبشالوم عليه ثم ثورة بني بنيامين عليه أيضاً، فقد ذكر العهد القديم «التوراة» أن أمنون الابن البكر لداود عليه السلام قد أحب أخته غير الشقيقة «ثامار» وكانت جميلة جدًّا وهام بها حتى إنه احتال عليها واغتصبها، وغضب أبشالوم شقيق «ثامار» لما فعله أخوه غير الشقيق مع أخته الشقيقة، واستطاع قتله ثم هرب إلى أخواله في «جشور» وظل بها ثلاث سنوات.

وبعد سنوات الغربة عاد «إبشالوم» إلى أورشاليم، ثم حدث أمر آخر ذكرته التوراة وهو أن إبشالوم دعا لنفسه ملكاً على إسرائيل وذهب إلى «حبرون» وأرسل إلى زعماء الأسباط يخبرهم أنه نصب نفسه ملكاً على حبرون وشايعه نفر كبير من بني إسرائيل.

وعلم داود عليه السلام بانشقاق ابنه عليه، وتطور الأمر أن الابن إبشالوم استطاع أن يدخل أورشاليم بأتباعه أثناء خروج والده منها وذلك بدون قتال، وعلم داود بالأمر ولاسيما أن أبشالوم عبر بجيشه نهر الأردن يريد تعقب والده.

لكن موآب قائد جيش داود عليه السلام استطاع هزيمة جيش إبشالوم وقتله، وقتل في تلك المعركة من بني إسرائيل عشرون ألفاً. وانتهت كذلك ثورة إبشالوم نهاية مأساوية كما جاء ذكرها في التوراة.

وصية داود عليه السلام لابنه سليمان

لما أحس داود بدنوا أجله أوصى ابنه ولي العهد سليمان بوصية جاء ذكرها في سفر الملوك الأول ٢ بالعهد القديم (التوراة).

فقد كشفت اللحظات الأخيرة من حياة داود عمّا يحمله في قلبه. فإنَّه كان يهتم أن يتمِّم مشيئة الرب من جهة إقامة سليمان ملكًا، وتلك الوصية أمر طبيعي من الآباء للأبناء ومن الأنبياء لأبنائهم كما فعل يعقوب عليه السلام مع بنيه وجاء ذلك في القرآن الكريم.

جاءت تدابير داود لابنه لتولِّي العرش في (١ أي ٢٨-٢٩)، تتلخَّص في:

- عرَّف رجال القصر بابنه كملكٍ خلَفُه على العرش، مُختار من قبل الله.
- أوصاهم بالطاعة للوصايا الإلهيَّة.
- حثَّ سليمان والشعب على بناء الهيكل مقدِّمًا له نموذجًا للمبنى مع المواد التي جمعها لتحقيق هذا الهدف.
- حث العظماء على المساهمة في هذا العمل.
- قدَّم تسبيحًا وشكرًا لله، كما أقام احتفالًا دينيًّا.

وجاء في حلية الأولياء لأبي نعيم:

من وصايا نبي الله سليمانَ بنِ داودَ لابنه

عن يحيى بن أبي كثير قال: قال سليمان بن داود لابنه:

«يا بني! إياك والنميمةَ؛ فإنها أَحَدُّ من السيف.

وإياك وغضب الملك الظلوم؛ فإنه كملك الموت.

يا بني! إياك والمراء؛ فإن نفعه قليل، وهو يهيج العداوة بين الإخوان.

يا بنى! خطيئة بني آدم فخرهم، والزنا عين الإثم.

يا بني! إن الأحلام تصدق قليلاً وتكذب؛ فلا يحزنك.

وعليك بكتاب الله فالزمه، وإياه فتأول.

يا بني! إياك وكثرة الغضب؛ فإن كثرة الغضب تسحق {تستخف} فؤاد الرجل الحليم.(١)

١- أخرج الفقرةَ الأولى كلٌّ مِن: الإمام هناد بن السري فى «الزهد» وابن حبان في «روضة العقلاء».. وأخرج الفقرة الثالثة البيهقي في «شعب الإيمان».

2

وورث سليمانُ داودَ

- سليمان ملكاً نبيًّا.
- تولــى سليمــان المـلـك والحكم في التوراة.
- سليــمان علــيه السلام فـــي القرآن الكريم.
- جيشن سليمــان عليــه السلام ليس له مثيل في التاريخ الإنساني.
- سليمــان عليــه السـلام وجيشه في وادي النمل.

سليمان ملكاً نبيًّا

ورث سليمانُ المُلك والنبوة وعلمه الله منطق الطير وسخر له الرياح والجن والشياطين، قال تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

ومعنى ورث سليمان داود أي ورثه في النبوة والملك وليس المقصود وراثة المال لأن داود كان له أبناء غير سليمان، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «لا نورث ما تركنا فهو صدقة».

وقال: «نحن معاشر الأنبياء لانورث».[١]

فقد كان سليمان عليه السلام هبة الله لداود عليه السلام كما قال تعالى مخبراً عن داود: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

وجاء ذكر سليمان في القرآن في ستة عشر موضعاً في سورة البقرة والنساء والأنعام والأنبياء والنمل وسبأ وص.

وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لانورث ما تركناه صدقة» صحيح سنداً، وليس من وضع الوضاعين، فقد رواه الشيخان عن أبي بكر رضي الله عنه، وله طرق أخرى عن أبي هريرة، وعائشة، وعمر، وعثمان، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير بن العوام،

١- روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لانورث، ما تركناه صدقة».

وسعد بن أبي وقاص، والعباس، وعلي رضي الله عنهم.

لاتعارض بين الحديث والقرآن؛ فقد أجمع علماء الأمة على أن جميع الأنبياء لايورثون، وليس المراد بالإرث في قصة زكريا وداود -عليهما السلام- الإرث المادي أو إرث المال؛ وإنما المقصود هو إرث النبوة.

وسبب منازعة فاطمة لأبي بكر -رضي الله عنهما- في إرث والدها - صلى الله عليه وسلم - هو عدم علمها بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما علمت به كفت وتراجعت عما طلبت، ولم تكلمه بشأن هذا الإرث حتى ماتت.

أولاً: حديث «لانورث ما تركناه صدقة» سنده صحيح في أعلى درجات الصحة، وليس بموضوع.

وإن حديث عدم توريث الأنبياء صحيح بالاتفاق؛ فقد رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي بكر رضي الله عنه: قال: «سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: لا نورث، ما تركناه صدقة»، ورواه الشيخان - أيضاً - عن عائشة - رضي الله عنها: أن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال «لانورث، ما تركناه صدقة»، ورواه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال: «لانورث، ما تركناه صدقة».

وقد صح هذا الحديث عن عمرو، وعثمان، وعبدالرحمن بن عوف، والزبير بن العوام، وسعد بن أبي وقاص، والعباس، وعلي - رضي الله عنهم - في الحديث الذي رواه الشيخان عن الزهري، أن مالك بن أوس حدثه قال: «أرسل إليَّ عمر بن الخطاب، فجئته حين تعالى النهار.. فقال: هل لك، يا أمير المؤمنين! في عثمان وعبدالرحمن بن عوف والزبير وسعد؟ فقال عمر: نعم، فأذن لهم، فدخلوا، ثم جاء قال: هل لك في عباس وعلي؟ فقال: نعم، فأذن لهما، فقال عباس: يا أمير المؤمنين! اقض بيني وبين هذا الكاذب الآثم الغادر الخائن، فقال القوم: أجل يا أمير المؤمنين! فاقض بينهم وأرحهم، فقال مالك بن أوس: يخيل إلى أنهم قدموهم لذلك، فقال عمر: اتئد. أنشدكم بالله الذي

بإذنه تقوم السماء والأرض! أتعلمون أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: لانورث، ما تركناه صدقة، قالوا: نعم، ثم أقبل على العباس وعلي، فقال: أنشدكما بالله الذي بإذنه تقوم السماء والأرض، أتعلمان أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: لا نورث، ما تركناه صدقة؟ قالا: نعم..».

قال القرطبي في تفسيره: قال الكلبي: كان لدواد تسعة عشر ولداً فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه ولو كان وراثة مال لكان جميع أولاده فيه سواء، وقال ابن العربي قال: فلو كانت وراثة مال لانقسمت على العدد، فخص الله سليمان بما كان لداود من الحكمة والنبوة وزاده من فضله ملكاً لاينبغي لأحد من بعده.

قال ابن عطية: داود من بني إسرائيل وكان ملكاً وورث سليمان ملكه ومنزلته من النبوة، بمعنى صار إليه ذلك بعد موت أبيه فسمي ميراثاً تجوزاً وهذا نحو قول: «العلماء ورثة الأنبياء».

وقال أيضاً (القرطبي): ويحتمل قوله عليه السلام: «إنا معشر الأنبياء لانورث» أن يريد أن ذلك من فعل الأنبياء وسيرتهم وإن كان فيهم من ورث ماله كزكريا على أشهر الأقوال فيه، وهذا كما تقول: إنا معشر المسلمين إنما شغلتنا العبادة، والمراد أن ذلك فعل الأكثر.

ومنه ما حكى سيبويه: إنا معشر العرب أقرى الناس للضيف.

ويقول الإمام الرازي في تفسيره للقرآن: وأما قوله تعالى: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ﴾ فقد اختلفوا فيه فقال الحسن: المال لأن النبوة عطية مبتدأة ولا تورث، وقال غيره: بل النبوة، وقال آخرون: بل الملك والسياسة.

ولو تأمل الحسن لعلم أن المال إذا ورثه الولد فهو أيضاً عطية مبتدأة من الله تعالى، ولذلك يرث الولد إذا كان مؤمناً ولايرث فيمن يرث الميت على شرائط وليس كذلك النبوة لأن الموت لايكون سبباً لنبوة الولد، فمن هذا الوجه يفترقان، وذلك لايمنع من أن يوصف بأنه ورث النبوة لما قام به عند موته، كما يرث الولد مال إذا قام به عند موته،

ومما يبين ما قلناه أنه تعالى لو فصل فقال: «وورث سليمان داود ماله» لم يكن لقوله: ﴿وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمۡنَا مَنطِقَ ٱلطَّيۡرِ﴾ معنى وإذا قلنا وورث مقامه من النبوة والملك حسن ذلك، لأن تعليم منطق الطير يكون داخلاً في جملة ما ورثه وكذلك قوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَيۡءٍ﴾ لأن وارث الملك يجمع ذلك ووارث المال لايجمع.

وقوله: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡمُبِينُ﴾ لايليق أيضاً إلا بما ذكرنا دون المال، الذي قد يحصل للكامل والناقص، وما ذكره الله تعالى من جنود سليمان بعده لايليق إلا بما ذكرناه، فبطل بما ذكرنا قول من زعم أنه لم يرث إلا بمال، فأما قيل ورث المال والملك معاً، فهذا لايبطل بالوجوه التي ذكرناها بل بظاهر قوله عليه السلام: «نحن معاشر الأنبياء لانورث» [١]

١ – التفسير الكبير، مفاتيح الغيب لفخر الدين الرازي.

تولى سليمان الملك والحكم في التوراة

لم يكن سليمان الابن البكر هو الوحيد لداود عليهما السلام وكما ذكرنا كان هناك أكثر من ولد سبقه للوجود والميلاد من زوجات أخريات لداود عليه السلام فكان الابن الأكبر لداود هو أمنون فلما قتل أصبح الذي يليه هو كيلاب فلما مات كان أبشالوم فلما قتل في تمرده على أبيه أصبح أدونيا هو الأكبر سنًّا وكان داود يحبه كما جاء في سفر الملوك الأول (١ : ٧).

وكان داود لم يحدد وليًّا للعهد لأن ميراث الملك والنبوة ميراثاً ربانيًّا أي وحياً إلهيًّا، ولكن «أدونيا» استعمل الأمر وأعلن نفسه وريثاً للعرش دوليًّا للعهد، واتخذ لنفسه كل مظاهر الملك واستمال لجانبه قائد الجيش «موآب» ورئيس الكهنة «ابياثار»، ثم جاء الوحي الإلهي باختيار «سليمان» خليفة لأبيه داود عليه السلام.

وأمر داود باتخاذ الإجراءات المعمول بها في حينها بمسح سليمان ملكاً في نبع جيحون في أورشاليم بواسطة الكاهن صادوق والنبي ناثان وتم له ذلك.

وأمام ذلك خاف «أدونيا» من غضب أخيه سليمان فطلب الأمان من سليمان وأرسل إلى سليمان قائلاً: ليحلف لي اليوم الملك سليمان أنه لايقتل عبده بالسيف فعفا عنه سليمان وحدد إقامته في بيته.

وبهذا نودي سليمان ملكاً على إسرائيل بعد أبيه داود.

ولا ننسى أن نذكر أن التوراة واليهود لايعترفون بنبوة داود وسليمان وإنما يقررون لهما بكونهما من ملوك بني إسرائيل فقط.

ورد في سفر الملوك الأول (من التوراة) أن داود عندما كبر في السن لم يعد باستطاعته الشعور بالدفء فعرض عليه مستشاروه تزويجه من فتاة صغيرة وجميلة لعلها تدفئ داود في شيخوخته ووجدوا له فتاة تدعى «ابيشج الشونمية» لتقوم بتلك المهمة وكان لداود حينها «أدوينا» وهو الأكبر الذي أعلن نفسه ملكاً على إسرائيل خلال شيخوخة أبيه داود وهو ما أحزن النبي ناثان الذي كان مستشار الملك داود.

فهرع ناثان إلى أم سليمان مخبرا إياها بفعلة أدونيا وحثها على الذهاب إلى داود وذلك لسببين، أن يهوه أراد أن سليمان يبني الهيكل عقب وفاة داود والسبب الثاني هو وعد داود لزوجته أو أمته حقيقة كما ورد في السفر بتسليم سليمان الملك رغم أن أدونيا هو أكبر أبناء الملك داود الأحياء إلا إنه كان مدللا ومغرورا ولم يلق قبولا من الكهنة والأنبياء.

فقال داود لبتشبع والدة سليمان، والنبي ناثان والكاهن صادوق:

حي هو الرب الذي فدى نفسي من كل ضيقة، أنه كما حلفت لك بالرب إله إسرائيل قائلا إن سليمان ابنك يملك بعدي وهو يجلس على كرسيي عوضا عني كذلك أفعل هذا اليوم.. خذوا معكم عبيد سيدكم وأركبوا سليمان ابني على البغلة التي لي وانزلوا به الى جيحون، وليمسحه هناك صادوق الكاهن وناثان النبي ملكا على إسرائيل واضربوا بالبوق وقولوا ليحيى الملك سليمان، وتصعدون وراءه فيأتي ويجلس على كرسيي وهو يملك عوضا عني وإياه قد أوصيت أن يكون رئيسا على إسرائيل ويهوذا. (سفر الملوك الأول ١:٢٩-٣٥).

فلما سمع أدونيا صوت الأبواق والمزامير تفرق جمعه عنه وهرب أدونيا وتمسك بقرون المذبح خوفا من سليمان مطالبا إياه بالحلف ألا يقتله بالسيف فقال سليمان:

إن كان ذا فضيلة لا يسقط من شعره إلى الأرض. ولكن إن وجد به شر فإنه يموت فأنزلوه من المذبح وسجد أمام سليمان الذي عفى عنه ورده إلى بيته. ولما استوى الملك لسليمان عقب وفاة داود توجه أدونيا إلى أم سليمان مطالبا إياها بالتوسط عنده ليزوجه «أبيشج الشونمية» إلا أن الطلب قوبل بالرفض وأرسل سليمان قائد جيشه المدعو بنياهو ابن يهوياداع لقتله وبذلك تخلص سليمان من أخيه وكل تهديد ضد ملكه.

سليمان عليه السلام في القرآن الكريم

جاء ذكر سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام في القرآن ١٧ مرة قال تعالى:

﴿ وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا۟ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّۦنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ [النساء: ١٦٣].

﴿ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾ وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِى بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ

ذَٰلِكَ وَكُنَّا لَهُمْ حَٰفِظِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ وَءَاتَيْنَٰهُ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَذِكْرَىٰ لِلْعَٰبِدِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَٰهُمْ فِى رَحْمَتِنَآ إِنَّهُم مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ وَكَذَٰلِكَ نُۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَزَكَرِيَّآ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ رَبِّ لَا تَذَرْنِى فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٨٩].

﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأنعام: ٨٤].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [النمل: ١٥ - ١٨].

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل: ٣٠].

﴿ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ [النمل: ٣٦].

﴿ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [النمل: ٤٤].

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٣٠].

﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص: ٣٤].

﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سبأ: ١٢].

وذِكْر سليمان عليه السلام في القرآن الكريم سبع عشرة مرة في سبع سور يدل دلالة واضحة على عظم هذا النبي الملك وأن الله عز وجل أيده بالمعجزات والكرامات والخصوصيات التي منحها إياه ولم يعطها أحداً من الأنبياء من بعده.

قال تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ [ص: ٣٥].

وهذا الدعاء من سليمان عليه السلام من رب العزة ليس طلباً منه للملك الدنيا حبًّا فيها فهذا لايليق بالصالحين فما بالنا بأخلاق الأنبياء، فقد أراد سليمان ملكاً ومنزلة خاصة لبسط سيطرته وإعلاء كلمة التوحيد في كل بقاع الأرض.

جيش سليمان عليه السلام ليس له مثيل في التاريخ الإنساني

أوضح سليمان عليه السلام منذ أن تولى الحكم والنبوة بعد أبيه ما أنعم الله عليه من فضل وأعطاه من أسباب القوة والسبق وقد سجل له القرآن الكريم إيضاح ذلك واعترافه بفضل الله عليه: ﴿وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النمل: ١٦].

وقوله: ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ أي من كل ما يحتاج الملك إليه من العدد والآلات والجنود والجيوش والجماعات من الجن والإنس والطيور والوحوش والشياطين والعلوم والتعبير عن ضمائر المخلوقات من الناطقات والصامتات ثم قال: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾.[1]

وقد حشر لسليمان جيش غير مسبوق من الإنس والجن والطير، قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل: ١٧].

فالجن والإنس والطير كانت تسير معه في جيشه فالجن والإنس جنوداً سيارة والطير تظله بأجنحتها من حرارة الشمس وغيره حيث تعمل له كمخابرات حربية تجلي له الأخبار وتبحث له عن مصادر المياه وغير ذلك من الأمور الهامة، وعلى كل من هذه

١ - قصص الأنبياء لابن كثير.

الجيوش الثلاثة من الجن والإنس والطير نقباء ورؤساء ينظمون عملية السير ومراقبة الجند.

وقد قيل إن معسكره مائة فرسخ في مائة: خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للإنس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحوش وكان له ألف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلاثمائة منكوحة - زوجة - وسبعمائة سرية - من النساء الأسرى - واختلف في معسكره ومقدار جنده إلا أن جملة ما قيل في ملكه أنه كان ملكاً عظيماً ملأ الأرض وانقادت له المعمورة كلها ولهذا فهو ممن ملك الأرض كلها.

سليمان عليه السلام وجيشه في وادي النمل

كان سليمان عليه السلام قد علمه الله منطق الطير والحيوانات والحشرات، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

فالقصة واضحة.. فسليمان يسير بجنوده من الجن والإنس والطير في مملكته فمر على وادٍ للنمل فرأت واحدة من النمل جيش سليمان وعظمته وضخامته وكثرة عدده فخافت على عشيرتها من النمل من سليمان وجيشه الجرار وعلا صوتها فيهم بالتحذير أن يدخلوا مساكنهم حتى لايدوسهم سليمان وجنوده بأقدامهم فسمعها سليمان عليه السلام بقدرة الله عز وجل.

والقصة على قصرها إلا أنها تضرب مثلًا لنملة إيجابية، نملة ذات شجاعة، كان من الممكن أن تهرب وحدها وتدخل جحرها، لكنها أول نملة رأت الجيش قبل غيرها من النمل، فخشيت على أمتها، لم تعش لنفسها، رغم أنه كان من الممكن أن تموت تحت الأقدام وهي تنادي على النمل، لكنها تضحي من أجل الآخرين، ولهذا تبسم سليمان عليه السلام وهذا دليل واضح على إيجابية تلك النملة.

وتكريماً لهذه النملة سميت السورة باسمها، فقد كانت هذه النملة على درجة عالية من البلاغة حين قالت لأهلها:

يا أيها النمل: وهو نداء،

ادخلوا: وهو أمر،

لا يحطمنكم: وهو نهي،

وقولها وهم لايشعرون: إعذار منها لجيش سليمان.

ولهذا تبسم سليمان من قولها؛ لأنه تضمن إيجابية، والاعتذار عن الجيش. ثم شكر الله على أن وهبه القدرة على سماع ذبذبات صوت النمل وفهم كلامها. (١)

لقد أثبت العلماء بعد دراسة طويلة لعالم النمل أن النمل من أكثر الحشرات تنظيماً، ولديه وسائل للتواصل عن بعد، وذلك من خلال إفراز مواد خاصة تنتشر رائحتها في كل اتجاه، وتميزها بقية النملات وتفهمها، ولذلك فقد حدثنا القرآن عن حقيقة، وهي حقيقة التواصل والكلام في عالم النمل.

كما جاء في سورة النمل من الحقائق العلمية المؤكّدة والتي لم يكن لأحد علم بها زمن نزول القرآن أن النملات المؤنثة هي التي تتولى الدفاع عن المستعمرة وحمايتها من أي خطر مفاجئ، وذلك بإصدار إشارات لبقية أفراد المستعمرة ليتنبهوا إلى الخطر القادم. وهذا ما حدثنا عنه القرآن بقول الحق تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨]. لقد جاء التحذير على لسان (نملة) مؤنثة، فمن كان يعلم أن النملة المؤنثة هي التي

١- ذكروا أن سليمان كان جالساً على شاطيء بحر، فبصر بنملة تحمل حبة قمح، تذهب بها نحو البحر، فجعل سليمان ينظر إليها حتى بلغت الماء فإذا بضفدعة قد أخرجت رأسها من الماء ففتحت فاها، فدخلت النملة وغاصت الضفدعة في البحر ساعات طويلة، وسليمان يتفكر في ذلك متعجباً. ثم خرجت من الماء وفتحت فاها فخرجت النملة ولم يكن معها الحبة..فدعاها سليمان عليه السلام وسألها عن شأنها وأين كانت؟ فقالت: يا نبي الله إن في قعر البحر الذي تراه صخرة مجوفة وفي جوفها دودة عمياء وقد خلقها الله تعالى هنالك، فلا تقدر أن تخرج منها لطلب معاشها، وقد وكلني الله برزقها، فأنا أحمل رزقها، وسخر الله تعالى هذه الضفدعة لتحملني فلا يضرني الماء في فيها، وتضع فاها على ثقب الصخرة وأدخلها، ثم إذا أوصلت رزقها إليها خرجت من ثقب الصخرة إلى فيها فتخرجني من البحر. فقال سليمان عليه السلام: وهل سمعت لها من تسبيحة؟ قالت: نعم. تقول: يا من لا تنساني في جوف هذه الصخرة تحت هذه اللجة، برزقك، لا تنسَ عبادك المؤمنين برحمتك. والله أعلم.

تتولى الدفاع عن المستعمرة، إنه الله عز وجل وهذا ما أوضحه وأثبته العلماء أن النمل يتكلم بلغته الخاصة، وأثبت كذلك أن النملة المؤنثة هي التي تقوم بالتنبيه لأي خطر، وليس للذكور أي دور في ذلك.

وقال تعالى على لسان النملة: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ﴾ فإن كلمة ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ من الناحية العلمية، تثبت أن للنمل هيكلاً خارجيًّا صلباً وهذا ما اكتشفه العلماء أن جسم النملة مغلف بغلاف صلب جدًّا قابل للتحطم، أي ليس له مرونة تجعله ينحني مثلاً، بل يتكسر كالزجاج.

أقوال أهل التفاسير في قصة سليمان والنملة:

توسع أهل التفسير في ذكر تفاصيل قصة سليمان ومروره بوادي النمل، فذكر وا أماكن حدوث القصة واسم النملة وتفاصيل أخرى.

فقال القرطبي في تفسيره قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ (قال قتادة: ذكر لنا أنه واد بأرض الشام، وقال كعب: هو بالطائف. قال الشعبي: كان للنملة جناحان فصارت من الطير، فلذلك علم منطقها ولولا ذلك لما علمه. وقرأ سليمان التيمي بمكة: «نملة» و «النمل» بفتح النون وضم الميم. وعنه أيضا ضمهما جميعا. وسميت النملة نملة لتنملها وهو كثرة حركتها وقلة قرارها.

قال كعب: مر سليمان عليه السلام بوادي السدير من أودية الطائف، فأتى على وادي النمل، فقامت نملة تمشي وهي عرجاء تتكاوس مثل الذئب في العظم؛ فنادت: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ﴾ الآية.

الزمخشري: سمع سليمان كلامها من ثلاثة أميال، وكانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس؛ وقيل: كان اسمها طاخية.

وقال السهيلي: ذكروا اسم النملة المكلمة لسليمان عليه السلام، وقالوا اسمها حرميا، ولا أدري كيف يتصور للنملة اسم علم والنمل لا يسمي بعضه بعضا، ولا الآدميون

يمكنهم تسمية واحدة منها باسم علم، لأنه لا يتميز للآدميين بعضهم من بعض، ولا هم أيضا واقعون تحت ملكة بني آدم كالخيل والكلاب ونحوها، فإن العلمية فيما كان كذلك موجودة عند العرب.

فإن قلت: إن العلمية موجودة في الأجناس كثعالة وأسامة وجعار وقثام في الضبع ونحو هذا كثير؛ فليس اسم النملة من هذا؛ لأنهم زعموا أنه اسم علم لنملة واحدة معينة من بين سائر النمل، وثعالة ونحوه لا يختص بواحد من الجنس، بل كل واحد رأيته من ذلك الجنس فهو ثعالة، وكذلك أسامة وابن آوى وابن عرس وما أشبه ذلك.

فإن صح ما قالوه فله وجه، وهو أن تكون هذه النملة الناطقة قد سميت بهذا الاسم في التوراة أو في الزبور أو في بعض الصحف سماها الله تعالى بهذا الاسم، وعرفها به الأنبياء قبل سليمان أو بعضهم. وخصت بالتسمية لنطقها وإيمانها فهذا وجه، ومعنى قولنا بإيمانها أنها قالت للنمل: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ فقولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ : التفاتة مؤمن.

أي من عدل سليمان وفضله وفضل جنوده لا يحطمون نملة فما فوقها إلا بألا يشعروا.

وقد قيل: إن تبسم سليمان سرور بهذه الكلمة منها؛ ولذلك أكد التبسم بقوله: «ضاحكا» إذ قد يكون التبسم من غير ضحك ولا رضا، ألا تراهم يقولون تبسم تبسم الغضبان وتبسم تبسم المستهزئين.

وتبسم الضحك إنما هو عن سرور، ولا يسر نبي بأمر دنيا؛ وإنما سر بما كان من أمر الآخرة والدين.

وقولها: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ إشارة إلى الدين والعدل والرأفة. ونظير قول النملة في جند سليمان: ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ قول الله تعالى في جند محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الفتح : ٢٥]. التفاتا إلى أنهم لا يقصدون هدر مؤمن.

إلا أن المثني على جند سليمان هي النملة بإذن الله تعالى، والمثني على جند

محمد صلى الله عليه وسلم هو الله عز وجل بنفسه؛ لما لجنود محمد صلى الله عليه وسلم من الفضل على جند غيره من الأنبياء؛ كما لمحمد صلى الله عليه وسلم فضل على جميع النبيين صلى الله عليهم وسلم أجمعين.

وقرأ شهر بن حوشب: «مسْكنكم» بسكون السين على الإفراد. وفي مصحف أُبَيٍّ «مساكنكن لا يحطمنكم».

وقرأ سليمان التيمي: «مساكنكم لا يحطمنكن» ذكره النحاس؛ أي لا يكسرنكم بوطئهم عليكم وهم لا يعلمون بكم قال المهدوي: وأفهم الله تعالى النملة هذا لتكون معجزة لسليمان.

وقال وهب: أمر الله تعالى الريح ألا يتكلم أحد بشيء إلا طرحته في سمع سليمان؛ بسبب أن الشياطين أرادت كيده.

وقد قيل: إن هذا الوادي كان ببلاد اليمن وأنها كانت نملة صغيرة مثل النمل المعتاد قاله الكلبي.

وقال نوف الشامي وشقيق بن سلمة: كان نمل ذلك الوادي كهيئة الذئاب في العظم.

وقال بريدة الأسلمي: كهيئة النعاج.

قال محمد بن علي الترمذي: فإن كان على هذه الخلقة فلها صوت، وإنما افتقد صوت النمل لصغر خلقها، وإلا فالأصوات في الطيور والبهائم كائنة، وذلك منطقهم، وفي تلك المناطق معاني التسبيح وغير ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

أضاف القرطبي: وقوله: ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ يدل على صحة قول الكلبي؛ إذ لو كانت كهيئة الذئاب والنعاج لما حطمت بالوطء؛ والله أعلم.

وقال: ﴿ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ﴾ فجاء على خطاب الآدميين لأن النمل هاهنا أجري مجرى الآدميين حين نطق كما ينطق الآدميون.

قال أبو إسحاق الثعلبي: ورأيت في بعض الكتب أن سليمان قال لها لم حذرت النمل؟ أخفت ظلمي؟ أما علمت أني نبي عدل؟ فلم قلت: «يحطمنكم سليمان وجنوده» فقالت النملة: أما سمعت قولي: «وهم لا يشعرون» مع أني لم أرد حطم النفوس، وإنما أردت حطم القلوب خشية أن يتمنين مثل ما أعطيت، أو يفتتن بالدنيا، ويشغلن بالنظر إلى ملكك عن التسبيح والذكر.

فقال لها سليمان: عظيني.

فقالت النملة: أما علمت لم سمي أبوك داود؟

قال: لا.

قالت: لأنه داوى جراحة فؤاده؛ هل علمت لم سميت سليمان؟

قال: لا.

قالت: لأنك سليم الناحية على ما أوتيته بسلامة صدرك، وإن لك أن تلحق بأبيك.

ثم قالت: أتدري لم سخر الله لك الريح؟

قال: لا.

قالت: أخبرك أن الدنيا كلها ريح.

فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا متعجبا ثم مضت مسرعة إلى قومها، فقالت: هل عندكم من شيء نهديه إلى نبي الله؟ قالوا: وما قدر ما نهدي له ! والله ما عندنا إلا نبقة واحدة.

قالت: حسنة؛ إيتوني بها.

فأتوها بها فحملتها بفيها فانطلقت تجرها، فأمر الله الريح فحملتها، وأقبلت تشق الإنس والجن والعلماء والأنبياء على البساط، حتى وقعت بين يديه، ثم وضعت تلك النبقة من فيها في كفه، وأنشأت تقول:

ألم تـرنـا نهدي إلـى الله مالـه   وإن كان عنه ذا غنى فهو قابله

ولو كان يهدى للجليل بقدره   لقصر عنه البحر يوما وساحله

ولكننا نهـدي إلـى مـن نحبـه   فيرضى به عنـا ويشكـر فاعلـه

وما ذاك إلا مـن كريـم فعالـه   وإلا فما فـي ملكنـا ما يشاكلـه

فقال لها: بارك الله فيكم؛ فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله وأكثر خلق الله. والله أعلم.

وقال ابن عباس: نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أربع من الدواب: الهدهد والصرد والنملة والنحلة (خرجه أبو داود وصححه أبو محمد عبد الحق وروي من حديث أبي هريرة).

فالنملة أثنت على سليمان وأخبرت بأحسن ما تقدر عليه بأنهم لا يشعرون إن حطموكم، ولا يفعلون ذلك عن عمد منهم، فنفت عنهم الجور؛ ولذلك نهى عن قتلها، وعن قتل الهدهد؛ لأنه كان دليل سليمان على الماء ورسوله إلى بلقيس.

وقال عكرمة: إنما صرف الله شر سليمان عن الهدهد لأنه كان بارا بوالديه؛ والصرد يقال له الصوام. وروي عن أبي هريرة قال: أول من صام الصرد ولما خرج إبراهيم عليه السلام من الشام إلى الحرم في بناء البيت كانت السكينة معه والصرد، فكان الصرد دليله على الموضع والسكينة مقداره، فلما صار إلى البقعة وقعت السكينة على موضع البيت ونادت وقالت: ابنِ يا إبراهيم على مقدار ظلي. وقد تقدم في «الأعراف» سبب النهي عن قتل الضفدع وفي «النحل» النهي عن قتل النحل. والحمد لله.

وفي تفسير البغوي للآية:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [النمل: ١٨].

قوله - عز وجل -: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ روي عن وهب بن منبه عن كعب قال: كان سليمان إذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه، وقد اتخذ مطابخ ومخابز يحمل فيها تنانير الحديد وقدور عظام، يسع كل قدر عشر جزائر (جمع جزور) وقد

اتخذ ميادين للدواب أمامه، فيطبخ الطباخون، ويخبز الخبازون، وتجري الدواب بين يديه بين السماء والأرض، والريح تهوي بهم، فسار من اصطخر إلى اليمن فسلك مدينة رسول الله – صلى الله عليه وسلم –.

فقال سليمان: هذه دار هجرة نبي في آخر الزمان، طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه، ورأى حول البيت أصناما تُعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت، فأوحى الله إلى البيت ما يبكيك؟

فقال: يا رب أبكاني أن هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مروا علي فلم يهبطوا ولم يصلوا عندي، والأصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله إليه أن لا تبك، فإني سوف أملؤك وجوها سجدا، وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي إلي، وأجعل فيك عمارا من خلقي يعبدونني، وأفرض على عبادي فريضة يذفون إليك ذفيف النسور إلى وكرها، ويحنون إليك حنين الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضتها، وأطهرك من الأوثان وعبدة الشياطين ثم مضى سليمان حتى مر بوادي السدير واد من الطائف، فأتى على وادي النمل.

هكذا قال كعب إنه وادٍ بالطائف وقال قتادة ومقاتل هو بالشام واد كان يسكنه الجن والنمل مراكبهم.

ومن قال من المفسرين إن هذا الوادي كان بأرض الشام أو بغيره وإن هذه النملة كانت ذات جناحين كالذباب أو غير ذلك من الأقاويل فلا حاصل لها. وعن نوف البكالي أنه قال كان نمل سليمان أمثال الذئاب هكذا رأيته مضبوطا بالياء المثناة من تحت وإنما هو بالباء الموحدة وذلك تصحيف والله أعلم.

والغرض أن سليمان عليه السلام فهم قولها وتبسم ضاحكا من ذلك وهذا أمر عظيم جدا وقد قال ابن أبي حاتم حدثنا أبي حدثنا محمد بن بشار حدثنا يزيد بن هارون أنبأنا مسعر عن زيد العمي عن أبي الصديق الناجي قال خرج سليمان بن داود عليهما السلام يستسقي فإذا هو بنملة مستلقية على ظهرها رافعة قوائمها إلى السماء وهي تقول: اللهم

إنا خلق من خلقك ولا غنى بنا عن سقياك وإلا تسقنا تهلكنا فقال سليمان ارجعوا فقد سُقيتم بدعوة غيركم. (1)

ورد في تفسير النسفي ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ﴾ أي ساروا حتى إذا بلغوا وادي النمل وهو واد بالشام كثير النمل. وعُدِّيَ بـ«على» لأن إتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء ﴿قَالَتۡ نَمۡلَةٞ﴾ عرجاء تسمى طاخية أو منذرة.

---

١ - انظر تفسير ابن كثير للآية وحديث النملة التي ذكره ابن كثير حيث قال: روى الطبراني في معجمه بإسناده عن الزهري «أن سليمان عليه السلام، خرج هو وأصحابه يستسقون فرأى نملة قائمة رافعة قوائمها تستسقي، فقال لإصحابه: إرجعوا فقد سقيتم بدعوة غيركم». وروى الطحاوي وأحمد نحوه عن أبي الصديق الناجي. وعن أبي هريرة مرفوعا: (خرج نبي من الأنبياء يستسقي. وذكر نحوه. رواه الدارقطني). ضعيف.

أخرجه الدارقطني (١٨٨) والحاكم (١ / ٣٢٥ - ٣٢٦) من طريق عبد العزيز بن أبي سلمة العمري ثنا محمد بن عون مولى أم يحيى بنت الحكم عن أبيها قال: ثنا محمد بن مسلم بن شهاب، أخبرني أبو سلمة عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «خرج نبي الأنبياء يستسقي، فإذا هو بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء، فقال: ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل شأن هذه النملة ». وقال الحاكم: «صحيح الإسناد». ووافقه الذهبي. قلت: وفي ذلك نظر عندي، فإن محمد بن عون وأباه لم أجد من ترجمهما، والغالب في مثلهما الجهالة. والله أعلم. نعم قد روي الحديث من غير طريقهما، فقال الطحاوي في (مشكل الآثار) (١ / ٣٧٣): » حدثنا محمد بن عزيز: حدثنا سلامة بن روح عن عقيل عن ابن شهاب ومن هذا الوجه أخرجه الخطيب في (تاريخ بغداد) (١٢ / ٦٥) وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٧ / ٢٩٧ / ٢).

قلت: وهذا سند ضعيف، وله علتان: الأولى: سلامة هذا قال الحافظ في التقريب: صدوق، له أوهام، وقيل: لم يسمع من عمه عقيل بن خالد، وإنما يحدث من كتبه ». الثانية: محمد بن عزيز، قال الحافظ: «فيه ضعف، وقد تكلموا في صحة سماعه من عمه سلامة». وأما رواية الطبراني عن الزهري، والطحاوي وأحمد عن أبي سعيد الناجي، فلم أقف عليهما، مع كونهما مقطوعتين. وقد أورد الحديث الحافظ في «التلخيص» من رواية الدارقطني والحكم (لعله الحاكم).

ثم قال: وفي لفظ لأحمد: خرج سليمان عليه الصلاة والسلام يستسقي. الحديث. فهذا بظاهره يدل على أن الحديث مرفوع عند أحمد، وأنه في مسنده كما يشعر به إطلاق العزو إليه. وما أظن ذلك صوابا، فلم يورده الهيثمي في (الجمع)، ولا عزاه إليه السيوطي في «الجامع الكبير»، وقد ذكره من رواية الحاكم وأبي الشيخ في «العظمة» والخطيب وابن عساكر عن أبي هريرة.

فلعل الحديث في بعض كتب أحمد الأخرى، ككتاب الزهد مثلا والله أعلم.

وعن قتادة أنه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال: سلوا عما شئتم فسأله أبو حنيفة رضي الله عنه وهو شاب عن نملة سليمان أكانت ذكراً أم أنثى؟ فأفحم فقال أبو حنيفة رضي الله عنه: كانت أنثى. فقيل له: بماذا عرفت؟

فقال: بقوله ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ ولو كانت ذكراً لقال قال نملة، وذلك أن النملة مثل الحمامة في وقوعها على الذكر والأنثى فيميز بينهما بعلامة، نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ ولم يقل «ادخلن» لأنه لما جعلها قائلة والنمل مقولاً لهم كما يكون في أولي العقل أجرى خطابهن مجرى خطابهم ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ﴾ لا يكسرنكم، والحطم الكسر وهو نهي مستأنف وهو في الظاهر نهي لسليمان عن الحطم وفي الحقيقة نهي لهن عن البروز والوقوف على طريقة «لا أرينك هاهنا» أي لا تحضر هذا الموضع).

ورد في تفسير البيضاوي:

﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ﴾ وادٍ بالشام كثير النمل، وتعدية الفعل إليه بـ ﴿عَلَىٰ﴾ إما لأن إتيانهم كان من عال أو لأن المراد قطعة من قولهم: أتى على الشيء إذا أنفده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا أخريات الوادي. ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمْ﴾ كأنها لما رأتهم متوجهين إلى الوادي فرت عنهم مخافة حطمهم فتبعها غيرها فصاحت صيحة نبهت بها ما بحضرتها من النمال فتبعتها، فشبه ذلك بمخاطبة العقلاء ومناصحتهم ولذلك أُجروا مجراهم مع أنه لا يمتنع أن خلق الله سبحانه وتعالى فيها العقل والنطق. ﴿لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ﴾ نهي لهم عن الحطم، والمراد نهيها عن التوقف بحيث يحطمونها كقولهم: لا أرينك ها هنا، فهو استئناف أو بدل من الأمر لا جواب له فإن النون لا تدخله في السعة. ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بأنهم يحطمونكم إذ لو شعروا لم يفعلوا كأنها شعرت عصمة الأنبياء من الظلم والإيذاء. وقيل استئناف أي فهم سليمان والقوم لا يشعرون.

3

الملك سليمان ومملكة سبأ

- مملكة سبأ.
- الهدهد وسليمان وبلقيس ملكة سبأ.
- ذكر ملكة سبأ في التوراة (العهد القديم)
- عرش بلقيس أحد آثار اليمن.

مملكة سبأ

من الممالك التي ظهرت قبل الميلاد في بلاد اليمن القديمة (٢١٠٠ ق.م - ٢٧٥م) وكانت عبارة عن اتحاد القبائل اليمنية أي أنها مملكة فيدرالية ضمت مملكة «حضر موت» ومملكة «قتبان» ومملكة «معين» وكل القبائل التابعة لهذه الممالك.

وقد شهدت مملكة سبأ فترات صعود وهبوط شأن أي إمبراطورية أو مملكة ولكنها تعد الأطول عمراً والأكثر استقلالية عبر التاريخ وظهرت علامات الضعف عليها في أواخر القرن الثاني قبل الميلاد بزوال هيمنتها على التجارة البحرية عبر البحر الأحمر وظهور الإمبراطورية الرومانية.

وقد دفع ذلك القبائل اليمنية باستبدال النظام الفيدرالي إلى نظام حكم شمولي موحد وكانت الغلبة فيه لمملكة «حمير» وأحلافهم من كندة ومذحج في القرن الثالث الميلادي بعد حروب طويلة ضد قبيلة همدان ومملكة حضرموت.

وكان السبئيون وثنيين وكان لكل قبيلة إله خاص بهم مثل العرب في الجاهلية وكانوا يقدسون الإله «عثتر» وهو عندهم أكبر الآلهة والتي اجتمعت ممالك اليمن الأربع على تقديسه وقد ذكرت مملكة سبأ في الكتب المقدسة عند أهل الكتاب.

وقد اشتهر السبئيون بمهارتهم في مجال التجارة كما عرفوا بالجسارة وفن القتال، وكانوا يعبدون الكواكب من دون الله، وذلك هو النبأ العظيم الذي عاد به الهدهد إلى سيدنا سليمان عندما مر بمملكة سبأ ووجد أهلها يعبدون الشمس، وتحكمهم امرأة هي

الملكة بلقيس التي أرسل إليها سيدنا سليمان لتدخل في دين الله، فترددت وأمرت له بهدية علها تكشف حقيقة مقصده وهل هو فعلاً نبي مرسل أم مجرد طامع في مملكة سبأ؟ واشتهرت المملكة ببناء السدود وأشهرها سد مأرب القديم واشتهروا بسيطرتهم على طرق التجارة، وكذلك تجارة البخور واللبان.

وقد حكمت تلك المملكة بالشورى وطبقت الديمقراطية قبل آلاف السنين، وقد ظهر ذلك جليًّا في قصة الملكة بلقيس حيث إن الملكة بلقيس لم تقطع في أمر التصرف مع سيدنا سليمان إلَّا بعد أن شاورت قومها:

﴿قَالَتْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ﴾ [النمل : ٣٢] ذلك بعد أن وصلتها رسالة سيدنا سليمان جاء فيها:

﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [النمل : ٣٠-٣١] وقالت الملكة بلقيس كما ورد ذكره على لسانها في القرآن الكريم ﴿إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾ [النمل : ٣٤].

وهناك نظريات عدة تشير إلى أن أصول السبئيين القديمة تعود إلى جنوب فلسطين حتى إن بعض الكتاب اليهود يقولون إن السبئيين يعود أصولهم إلى إبراهيم عليه السلام من زوجته قطورا التي تزوجها بعد وفاة زوجته سارة وأنها أنجبت له مدين وقيشان الذي أنجب سبأ، وتفيد أيضاً كتابات اليهود إلى وجود لسبأ قرب مناطقهم في أقصى جنوب فلسطين و كانوا تجاراً أثرياء يتاجرون بالذهب والفضة والأحجار الكريمة.

ولكن الغالب أن مملكة سبأ لا تتجاوز القرن الثاني عشر قبل الميلاد، واستمرت مملكة سبأ حتى قيام الدولة الحميرية في اليمن.

والوجود السبئي في أماكن الغساسنة والمناذرة مؤيد بالنقوش الآشورية وكتابات اليونان وإن كانت أسماؤهم لم تظهر صراحة إلا في عهد مملكة حمير والوجود السبئي في تلك المناطق ليس مرتبطا بتصدع أصاب سد مأرب القديم فالنص الآشوري الذي يشير إلى سبئيين في تيماء يعود إلى فترة كانت مملكة سبأ في أوجها وقد ذكر سترابو أن السبئيين

والأنباط هم ذات الشعب وهو قد يظهر الخلط التي وقع فيه الرومان ولكنه دلالة على وجود سبئي قرب الشام وذكر أن عاصمتهم كانت «ماريبا» (مأرب).

وذكر بلينيوس الأكبر أن السبئيين كانوا يسيطرون على جزر كثيرة ووصفهم بأنهم شعب من «السكونيين» وهي دلالة أن جزءاً من السبئيين كان بدويًّا فالسكونيون وفقاً لسترابو شعب عربي يعيش جنوب ماسوباتوميا (بلاد الرافدين) وكان النشاط السبئي واضحا في مناطق الأنباط بدلالة ورود اسم ملك سبئي اسمه «زبد إيل» كان من سلم رأس «أليكساندر بالاس» الذي هرب لمناطق الأنباط هربا من البطالمة، إلى بطليموس السادس ولم يكن ليذكر اليونان ذلك لولا النفوذ السياسي السبئي في المنطقة.

ولكن كل هذه الكتابات متأخرة للغاية ولا تفيد الباحثين في تحديد فترة نشوء السبئيين ومراحلهم الأولى وأغلب الظن أنهم كانوا يستوطنون حاضرة صرواح وهي موقع قرب مدينة مأرب القديمة ولم يختلفوا عن أي قبيلة أخرى، إلى أن توصلوا لحل للاستفادة من مياه الأمطار فأقاموا سدا صغيرا في صرواح لحصر المياه ويعتقد أن تلك كانت المرحلة الأولى لهم. فلا يوجد أنهار في اليمن تعينهم على الزراعة ومحصول الأمطار ليس مرتفعا مما خلق لهم عددا من المشاكل فحرص السبئيون على الاستفادة من كم الأمطار الضئيل عن طريق تشييد أول سدودهم الصغيرة في مدينة صرواح تجمعهم رابطة قبلية حول الإله عثتر الذي جعلوه والدهم بل والد البشرية جمعاء قبل دخول عدد من القبائل معهم وجلبهم لآلهتهم في ذلك المجتمع الصغير.

وقد جاء ذكر سبأ وملكتهم في التوراة، كما جاء في بعض النقوش التي خلفها الملك سرجون ملك آشور (٧٢٠-٧٠٥ ق.م) أن مملكة سبأ قدمت له هدية من الذهب واللآلئ والبخور والأعشاب. ويرى بعض الباحثين أنه قد تكون تلك الأشياء من قبيل الهدية، وليست من قبيل الإتاوة أو الضرائب التي فرضها الملك الآشوري على حكام سبأ.

وذكر القرآن الكريم قصة سبأ في أكثر من موضع، فحكى ما كانوا فيه من النعيم، إذ كانوا في أخصب البلاد وأطيبها وذكر سد مأرب الذي أقامته ملكتهم بلقيس، ولكنهم

بطروا وكفروا النعمة وطغوا وكانوا مجوسًا يعبدون الشمس فأرسل الله لهم الرسل فلم يهتدوا، فأرسل عليهم سيل العرم، فهدم السد وشرّدهم جزاءً بما كانوا يعملون. يقول الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾ [سبأ: ١٥ - ١٧].

وكذلك وردت في القرآن قصتهم وقصة ملكتهم بلقيس مع سليمان عليه السلام في سورة النمل، كما سيأتي ذكرها في حينه إن شاء الله. [١]

وتحكم موقع مأرب في وادي سبأ بطريق التجارة الهام المعروف بطريق اللبان، وكان اللبان من أحب أنواع الطيوب وأغلاها في بلدان الشرق القديم، وحوض البحر المتوسط، وقد تميزت اليمن بإنتاجها أجود أنواع اللبان وهو الذي كان ينمو في الجزء الأوسط من ساحله الجنوبي في بلاد المهرة وظفار، وقد أدى ذلك الطلب المتزايد عليه إلى تطوير تجارة واسعة نشطة، تركزت حول هذه السلعة وامتدت إلى سلع أخرى نادرة عبر طريق التجارة المذكورة.

وكان يمتد هذا الطريق بصفة رئيسية من ميناء قنا في مصب وادي ميفعة على بحر العرب إلى غزة في فلسطين على البحر المتوسط، مرورا بمدينة شبوة ومأرب، ثم يمر بوادي الجوف، ومنه إلى نجران حيث يتفرع إلى فرعين: طريق يمر عبر قرية الفاو في وادي الدواسر، ومنه إلى هجر في منطقة الخليج، ثم إلى جنوب وادي الرافدين، وطريق رئيس يمتد من نجران نحو الشمال، مارا بيثرب، ثم ددان في شمال الحجاز، ومنه إلى البتراء، ويتجه الطريق الرئيس من البتراء نحو ميناء غزة، بينما يتجه فرع آخر إلى دمشق وإلى مدن الساحل الفينيقي.

١ - جاء ذكر قصة ملكة سبأ مع الملك سليمان في سورة النمل الآيات ٢٠ - ٤٤.

الهدهد وسليمان وبلقيس ملكة سبأ

جاء ذكر ملكة سبأ بلقيس والملك سليمان عليه السلام في سورة النمل في قوله تعالى:

﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيۡرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَآ أَرَى ٱلۡهُدۡهُدَ أَمۡ كَانَ مِنَ ٱلۡغَآئِبِينَ (٢٠) لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابٗا
شَدِيدًا أَوۡ لَأَاْذۡبَحَنَّهُۥٓ أَوۡ لَيَأۡتِيَنِّي بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ (٢١) فَمَكَثَ غَيۡرَ بَعِيدٖ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا
لَمۡ تُحِطۡ بِهِۦ وَجِئۡتُكَ مِن سَبَإِۭ بِنَبَإٖ يَقِينٍ (٢٢) إِنِّي وَجَدتُّ ٱمۡرَأَةٗ تَمۡلِكُهُمۡ وَأُوتِيَتۡ مِن كُلِّ
شَيۡءٖ وَلَهَا عَرۡشٌ عَظِيمٞ (٢٣) وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ
أَعۡمَٰلَهُمۡ فَصَدَّهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمۡ لَا يَهۡتَدُونَ (٢٤) أَلَّا يَسۡجُدُواْۤ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخۡرِجُ ٱلۡخَبۡءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُخۡفُونَ وَمَا تُعۡلِنُونَ (٢٥) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ۩ (٢٦) ۞ قَالَ
سَنَنظُرُ أَصَدَقۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ (٢٧) ٱذۡهَب بِّكِتَٰبِي هَٰذَا فَأَلۡقِهۡ إِلَيۡهِمۡ ثُمَّ تَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَٱنظُرۡ
مَاذَا يَرۡجِعُونَ (٢٨) قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ إِنِّيٓ أُلۡقِيَ إِلَيَّ كِتَٰبٞ كَرِيمٌ (٢٩) إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ
ٱلرَّحِيمِ (٣٠) أَلَّا تَعۡلُواْ عَلَيَّ وَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ (٣١) قَالَتۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَفۡتُونِي فِيٓ أَمۡرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً
أَمۡرًا حَتَّىٰ تَشۡهَدُونِ (٣٢) قَالُواْ نَحۡنُ أُوْلُواْ قُوَّةٖ وَأُوْلُواْ بَأۡسٖ شَدِيدٖ وَٱلۡأَمۡرُ إِلَيۡكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأۡمُرِينَ (٣٣) قَالَتۡ
إِنَّ ٱلۡمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرۡيَةً أَفۡسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهۡلِهَآ أَذِلَّةٗۚ وَكَذَٰلِكَ يَفۡعَلُونَ (٣٤) وَإِنِّي مُرۡسِلَةٌ
إِلَيۡهِم بِهَدِيَّةٖ فَنَاظِرَةُۢ بِمَ يَرۡجِعُ ٱلۡمُرۡسَلُونَ (٣٥) فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ
خَيۡرٞ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُمۚ بَلۡ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمۡ تَفۡرَحُونَ (٣٦) ٱرۡجِعۡ إِلَيۡهِمۡ فَلَنَأۡتِيَنَّهُم بِجُنُودٖ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخۡرِجَنَّهُم
مِّنۡهَآ أَذِلَّةٗ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ (٣٧) قَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمَلَؤُاْ أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ (٣٨) قَالَ عِفۡرِيتٞ
مِّنَ ٱلۡجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَۖ وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٞ (٣٩) قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٞ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ
أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ

أَمْ أَكْفُرُ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ نَكِّرُوا۟ لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِىٓ أَمْ تَكُونُ مِنَ ٱلَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾ فَلَمَّا جَآءَتْ قِيلَ أَهَٰكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُۥ هُوَ وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَت تَّعْبُدُ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ٱدْخُلِى ٱلصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾ [النمل : ٢٠-٤٤].

تبدأ القصة بقيام الملك سليمان عليه السلام بتفقد جيشه الذي يحوي في صفوفه الجن والإنس والطير، وحين تفقد الطير لم ير طائر الهدهد وهو طائر صغير الحجم ولكنه عظيم الفائدة في جيش سليمان وإلا ما اهتم بوجوده في صفوف الجيش، وكانت وظيفته كما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما وغيره استكشاف الأماكن التي توجد بها المياه في الصحراء وغيرها حال السفر للجيش، فقد أعطاه الله تعالى قوة النظر إلى الماء تحت تخوم الأرض وكان له مكان يقف فيه، فلما تفقد سليمان الطيور في الجيش لم يجده في مكانه وذلك ذات يوم من الأيام، وتساءل سليمان وتعجب فقال: مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين؟

وتوعده بالعذاب الشديد الذي يصل إلى الذبح إلا إذا جاء بعذر كبير ينجيه من العقاب.

قال الله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾ أي: فعاب الهدهد غيبة ليست بطويلة ثم قدم منها: ﴿فَقَالَ﴾ لسليمان: ﴿أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ﴾ أي اطلعت على ما لم تطلع عليه ﴿وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴾ أي: بخبر صادق ﴿إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾.

أشار الهدهد إلى وجود مملكة لا يعلم عنها الملك سليمان شيئاً وبالتالي فإنها بالتالي لابد أن تكون بعيدة عن ملك سليمان حيث بلاد اليمن ثم إلى وجود امرأة تحكم المملكة وأشار بتعجب إلى وجود عرش عظيم لهذه الملكة.

ذكر الثعلبي وغيره أن قومها ملكوا عليهم بعد أبيها رجلا فعم به الفساد، فأرسلت

إليه تخطبه فتزوجها فلما دخلت عليه سقته خمرا ثم حزت رأسه ونصبته على بابها، فأقبل الناس عليها وملكوها عليهم وهي بلقيس بنت السيرح وهو الهدهاد وقيل شراحيل بن ذي جدن.

وكان أبوها من أكابر الملوك وكان يأبى أن يتزوج من أهل اليمن فيقال إنه تزوج بامرأة من الجن اسمها ريحانة بنت السكن، فولدت له هذه المرأة واسمها تلقمة، ويقال لها بلقيس والله أعلم.(١)

وأشار الهدهد إلى قوة تلك الملكة وما أوتيت من أسباب القوة.

﴿ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴾ يعني: سرير مملكتها كان مزخرفا بأنواع الجواهر، واللآلئ، والذهب، والحلي الباهر.

ثم جاء في تقرير الهدهد أمر خطير وهو الذي أهم سليمان وهو كفر هؤلاء القوم وعبادتهم الشمس من دون الله، وإضلال الشيطان لهم، وصده إياهم عن عبادة الله وحده لا شريك له، الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض، ويعلم ما يخفون وما يعلنون أي يعلم السرائر، والظواهر من المحسوسات والمعنويات.

قال: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾.

وتعجب الهدهد من هؤلاء القوم الذين يسجدون للشمس من دون الله ويتساءل: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ (٢٥) ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ (٢٦) ﴾.

ولم يأخذ سليمان عليه السلام ما قاله الهدهد على سبيل الصدق المطلق وإنما أراد التحقق من كلامه واتهامه لهؤلاء القوم بالكفر وعبادة غير الله وهذا من الحكمة والعدل فقد خلق الله لنا أذنين ولساناً واحداً وفي هذا إشارة إلى أن نسمع أكثر مما نتكلم وعلينا

١- هذا الحديث الذي ذكره الثعلبي عن أبوَيْ بلقيس حديث غريب وفي سنده ضعف، انظر قصص الأنبياء لابن كثير.

التحقق قبل إصدار الأحكام فقال سليمان للهدهد:

﴿ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾ .

ثم كتب له رسالة إلى هؤلاء القوم وأمره أن يذهب بها إليهم وينتظر ردهم:

﴿ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴾ .

كان خطاب سليمان عليه السلام لملكة سبأ وقومها في كلمات بسيطة معبرة تدعوهم إلى الإسلام والقدوم إليه طائعين لهم به وجاء نص الخطاب في آيات سورة النمل:

﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ [النمل : ٣٠ - ٣١].

﴿ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ ﴾ أي: لا تستكبروا عن طاعتي وامتثال أوامري ﴿وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴾ أي: وأقدموا عليَّ سامعين مطيعين.

وذهب الهدهد بالكتاب إليها وألقاه على عرشها وانتظر كما أمرهم سليمان، انتظر ماذا يقولون.

فذكر غير واحد من المفسرين وغيرهم أن الهدهد حمل الكتاب وجاء إلى قصرها فألقاه إليها وهي في خلوة لها، ثم وقف ناحية ينتظر ما يكون من جوابها عن كتابها، فجمعت أمراءها ووزراءها وأكابر دولتها إلى مشورتها:

﴿ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴾ ثم قرأت عليهم عنوانه أولا ﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ ﴾ ثم قرأته: ﴿ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾.

ولأن مملكة سبأ كما ذكرنا من قبل كانت تأخذ بمبدأ الشورى قامت بلقيس بمشاورة وزرائها وكبار القوم في أمرها وما قد حل بها وتأدبت معهم، وخاطبتهم، وهم يسمعون ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴾ [النمل: ٣٢] تعني ما كنت لأبت أمرا إلا وأنتم حاضرون.

ولم يكن القوم أهل حكمة وإنما أهل حرب وقتال فلم يدرسوا ولم يباحثوا ليروا من هو عدوهم ﴿ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ ﴾ .

ولعلهم لم يسمعوا بسليمان وجيشه وملكة حيث إن المسافة بين مملكتهم ومملكة سليمان بعيدة وهذا ما نرجحه ونراه ردًّا على من يزعم أن مملكة سليمان كان في الجزيرة العربية في جنوبها الغربي، لأنها لو كانت كذلك لعلم سليمان بمملكة سبأ ولعلم قوم بلقيس بمملكة سليمان العظيمة.

وكانت بلقيس أكثر حكمة من قومها حيث رأت أن تنتظر لتتعرف على سليمان ومدى قوته وهدفه وغرضه بعد أن فوضوا إليها في ذلك الأمر، لترى فيه ما هو الأرشد لها ولهم، فكان رأيها أتم وأسد من رأيهم، وعلمت أن صاحب هذا الكتاب لا يُغالَب ولا يُمانَع ولا يُخالَف ولا يُخادَع ﴿ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُواْ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓاْ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾.

ثم ظهرت حكمتها وذكاؤها وفراستها فقالت:

﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾

أرادت أن تعرف من هو سليمان، هل هو طالب دنيا أم نبي فأرسلت له بهدايا قيمة عظيمة وكان رد سليمان حين وصلته هديتها عظيماً وقاطعاً وغاضباً قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾ [النمل : ٣٦].

ثم قال لرسولها إليه ووافدها الذي قدم عليه والناس حاضرون يسمعون ﴿ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴾ .

كان ردًّا قويًّا يدل على مدى قوته وقوة جيشه الذي لا يقهر: ارجع بهديتك التي قدمت بها إلى من قد من بها، فإن عندي مما قد أنعم الله عليَّ وأسداه إليَّ من الأموال، والتحف، والرجال ما هو أضعاف هذا وخير من هذا الذي أنتم تفرحون به، وتفخرون على أبناء جنسكم بسببه.

ثم كان تهديده ووعيده لهم إن لم ينصاعوا له:

﴿فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا ﴾ [النمل : ٣٧] أي: فلأبعثن إليهم بجنود لا يستطيعون

دفاعهم ولا نزالهم ولا ممانعتهم ولا قتالهم ولأخرجنهم من بلدهم وحوزتهم ومعاملتهم ودولتهم أذلة ﴿وَهُمْ صَٰغِرُونَ﴾ عليهم الصغار والعار والدمار.

فلما بلغهم ذلك عن نبي الله لم يكن لهم بد من السمع والطاعة، فبادروا إلى إجابته في تلك الساعة، وأقبلوا صحبة الملكة أجمعين سامعين مطيعين خاضعين. فلما سمع بقدومهم عليه، ووفودهم إليه، قال لمن بين يديه ممن هو عنده من الإنس والجن بعد أن علم من الله تعالى أن بلقيس وقومها قادمون إليه ليعلنوا طاعتهم وولاءهم له:

يقول تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ (٣٩) قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ (٤٠)﴾ [النمل: ٣٩ - ٤٠].

قال البغوي في تفسيره للآية:

﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ وهو المارد القوي، قال وهب: اسمه كوذى وقيل: ذكوان، قال ابن عباس: العفريت الداهية. وقال الضحاك: هو الخبيث. وقال الربيع: الغليظ، قال الفراء: القوي الشديد، وقيل: هو صخرة الجني، وكان بمنزلة جبل يضع قدمه عند منتهى طرفه ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ أي: من مجلسك الذي تقضي فيه.

قال ابن عباس: وكان له كل غداة مجلس يقضي فيه إلى منتهى النهار ﴿وَإِنِّى عَلَيْهِ﴾ أي: على حمله ﴿لَقَوِىٌّ أَمِينٌ﴾ على ما فيه من الجواهر، فقال سليمان: أريد أسرع من هذا. ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ واختلفوا فيه فقال بعضهم هو جبريل.

وقيل: هو ملك من الملائكة أيد الله به نبيه سليمان عليه السلام.

وقال أكثر المفسرين: هو آصف بن برخياء، وكان صَدِّيقا يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دُعِيَ به أَجاب وإذا سُئل به أَعطى.

وروى جويبر، ومقاتل، عن الضحاك عن ابن عباس قال: إن آصف قال لسليمان

حين صلى: مد عينيك حتى ينتهي طرفك، فمد سليمان عينيه، فنظر نحو اليمين، ودعا آصف فبعث الله الملائكة فحملوا السرير من تحت الأرض يخدون به خدا حتى انخرقت الأرض بالسرير بين يدي سليمان.

وقال الكلبي: خر آصف ساجدا ودعا باسم الله الأعظم فغاب عرشها تحت الأرض حتى نبع عند كرسي سليمان. وقيل: كانت المسافة مقدار شهرين.

واختلفوا في الدعاء الذي دعا به آصف، فقال مجاهد، ومقاتل: يا ذا الجلال والإكرام. وقال الكلبي: يا حي يا قيوم. وروي ذلك عن عائشة. وروي عن الزهري قال: دعاء الذي عنده علم من الكتاب: يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت ائتني بعرشها.

وقال محمد بن المنكدر: إنما هو سليمان، قال له عالم من بني إسرائيل آتاه الله علما وفهما: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ قال سليمان: هات، قال: أنت النبي ابن النبي، وليس أحد أوجه عند الله منك، فإن دعوت الله وطلبت إليه كان عندك، فقال: صدقت، ففعل ذلك، فجيء بالعرش في الوقت.

وقوله تعالى: ﴿قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ قال سعيد بن جبير: يعني: من قبل أن يرجع إليك أقصى من ترى، وهو أن يصل إليك من كان منك على مد بصرك.

قال قتادة: قبل أن يأتيك الشخص من مد البصر. وقال مجاهد: يعني إدامة النظر حتى يرتد الطرف خاسئا. وقال وهب: تمد عينيك فلا ينتهي طرفك إلى مداه، حتى أمثله بين يديك) ﴿فَلَمَّا رَءَاهُ﴾ يعني: رأى سليمان العرش ﴿مُسۡتَقِرًّا عِندَهُۥ﴾ محمولا إليه من مأرب إلى الشام في قدر ارتداد الطرف ﴿قَالَ هَٰذَا مِن فَضۡلِ رَبِّي لِيَبۡلُوَنِيٓ ءَأَشۡكُرُ﴾ نعمته ﴿أَمۡ أَكۡفُرُ﴾ فلا أشكرها ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦ﴾ أي: يعود نفع شكره إليه، وهو أن يستوجب به تمام النعمة ودوامها، لأن الشكر قيد النعمة الموجودة وصيد النعمة المفقودة ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيّٞ﴾ عن شكره ﴿كَرِيمٞ﴾ بالإفضال على من يكفر نعمه.

قال القرطبي في تفسيره للآية:

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَ سُلَيۡمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ﴾ أي جاء الرسول سليمان بالهدية قال ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٖ﴾. قرأ حمزة ويعقوب والأعمش: بنون واحدة مشددة وياء ثابتة بعدها. الباقون بنونين وهو اختيار أبي عبيد؛ لأنها في كل المصاحف بنونين. وقد روى إسحاق عن نافع أنه كان يقرأ (أتمدونِ) بنون واحدة مخففة بعدها ياء في اللفظ. قال ابن الأنباري: فهذه القراءة يجب فيها إثبات الياء عند الوقف، ليصح لها موافقة هجاء المصحف. والأصل في النون التشديد، فخفف التشديد من هذا الموضع كما خفف من: أشهد أنْك عالم؛ وأصله: أنَّك عالم. وعلى هذا المعنى بنى الذي قرأ (تشاقون فيهم، أتحآجوني في الله). وقد قالت العرب: الرجال يضربونِ ويقصدونِ، وأصله يضربوني ويقصدوني: لأنه إدغام (يضربونني ويقصدونني).

قال ابن عباس: وكان سليمان مهيبا لا يُبتدأ بشيء حتى يكون هو الذي يسأل عنه؛ فنظر ذات يوم رهجا قريبا منه، فقال: ما هذا؟ فقالوا: بلقيس يا نبي الله. فقال سليمان لجنوده - وقال وهب وغيره: للجن - ﴿أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا قَبۡلَ أَن يَأۡتُونِي مُسۡلِمِينَ﴾ وقال عبد الله بن شداد: كانت بلقيس على فرسخ من سليمان لما قال ﴿أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا﴾ وكانت خلفت عرشها بسبأ، ووكلت به حفظة.

وقيل: إنها لما بعثت بالهدية بعثت رسلها في جندها لتغافص سليمان عليه السلام بالقتل قبل أن يتأهب سليمان لها إن كان طالب ملك، فلما علم ذلك قال ﴿أَيُّكُمۡ يَأۡتِينِي بِعَرۡشِهَا﴾.

قال ابن عباس: كان أمره بالإتيان بالعرش قبل أن يكتب الكتاب إليها، ولم يكتب إليها حتى جاءه العرش.

وقال ابن عطية: وظاهر الآيات أن هذه المقالة من سليمان عليه السلام بعد مجيء هديتها ورده إياها، وبعثه الهدهد بالكتاب؛ وعلى هذا جمهور المتأولين. واختلفوا في فائدة

استدعاء عرشها؛ فقال قتادة: ذكر له بعظم وجودة؛ فأراد أخذه قبل أن يعصمها وقومها الإسلام ويحمي أموالهم؛ والإسلام على هذا الدين؛ وهو قول ابن جريج. وقال ابن زيد: استدعاه ليريها القدرة التي هي من عند الله، ويجعله دليلا على نبوته؛ لأخذه من بيوتها دون جيش ولا حرب؛ و ﴿مُسْلِمِينَ﴾ على هذا التأويل بمعنى مستسلمين؛ وهو قول ابن عباس.

وقال ابن زيد أيضا: أراد أن يختبر عقلها ولهذا قال ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنظُرْ أَتَهْتَدِي﴾. وقيل: خافت الجن أن يتزوج بها سليمان عليه السلام فيولد له منها ولد، فلا يزالون في السخرة والخدمة لنسل سليمان فقالت لسليمان في عقلها خلل؛ فأراد أن يمتحنها بعرشها.

وقيل: أراد أن يختبر صدق الهدهد في قوله ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ قاله الطبري. وعن قتادة: أحب أن يراه لما وصفه الهدهد. والقول الأول عليه أكثر العلماء؛ لقوله ﴿قَبْلَ أَن يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾. ولأنها لو أسلمت لحظر عليه مالها فلا يؤتَى به إلا بإذنها. روي أنه كان من فضة وذهب مرصعا بالياقوت الأحمر والجوهر، وأنه كان في جوف سبعة أبيات عليه سبعة أغلاق.

قوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ كذا قرأ الجمهور وقرأ أبو رجاء وعيسى الثقفي {عِفْرِيَةٌ} ورويت عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وفي الحديث: (إن الله يبغض العفرية النفرية). النفرية إتباع لعفرية. قال قتادة: هي الداهية قال النحاس: يقال للشديد إذا كان معه خبث ودهاء عفر وعفرية وعفريت وعفارية. وقيل {عفريت} أي رئيس. وقرأت فرقة { قال عِفْرٌ} بكسر العين؛ حكاه ابن عطية؛ قال النحاس: من قال عفرية جمعه على عفار.

ومن قال: عفريت كان له في الجمع ثلاثة أوجه؛ إن شاء قال عفاريت، وإن شاء قال عَفار؛ لأن التاء زائدة؛ كما يقال: (طواغٍ) في جمع طاغوت، وإن شاء عوض من التاء ياء فقال عفارِي. والعفريت من الشياطين القوي المارد. والتاء زائدة. وقد قالوا: تعفرت الرجل إذا تخلق بخلق الإذاية. وقال وهب بن منبه: اسم هذا العفريت كودن؛ ذكره

النحاس. وقيل: ذكوان؛ ذكره السهيلي. وقال شعيب الجبائي: اسمه دعوان. وروي عن ابن عباس أنه صخر الجني.

وفي الصحيح عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (إن عفريتا من الجن جعل يفتك علي البارحة ليقطع علي الصلاة وإن الله أمكنني منه فذَعَتُّه...) وذكر الحديث.

وفي البخاري (تفلَّت عليَّ البارحة) مكان (جعل يفتك). وفي الموطأ عن يحيى بن سعيد أنه قال: أسري برسول الله صلى الله عليه وسلم، فرأى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار، كلما التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم رآه؛ فقال جبريل: أفلا أعلمك كلمات تقولهن إذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (بلى) فقال: (أعوذ بالله الكريم وبكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشر ما يعرج فيها وشر ما ذرأ في الأرض، وشر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن).

قوله تعالى: ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ يعني في مجلسه الذي يحكم فيه. ﴿وَإِنِّي عَلَيۡهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ﴾ أي قوي على حمله. ﴿أَمِينٌ﴾ على ما فيه.

فقال سليمان أريد أسرع من ذلك؛ فـ ﴿قَالَ ٱلَّذِي عِندَهُۥ عِلۡمٌ مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبۡلَ أَن يَرۡتَدَّ إِلَيۡكَ طَرۡفُكَ﴾ أكثر المفسرين على أن الذي عنده علم من الكتاب آصف بن برخيا وهو من بني إسرائيل، وكان صِدِّيقا يحفظ اسم الله الأعظم الذي إذا سئل به أعطى، وإذا دُعي به أجاب.

وقالت عائشة رضي الله عنها قال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن اسم الله الأعظم الذي دعا به آصف بن برخيا يا حي يا قيوم) قيل: وهو بلسانهم، أهيا شراهيا.

وقال الزهري: دعاء الذي عنده اسم الله الأعظم؛ يا إلهنا وإله كل شيء إلها واحدا لا إله إلا أنت إيتني بعرشها؛ فمثل بين يديه.

وقال مجاهد: دعا فقال: يا إلهنا وإله كل شيء يا ذا الجلال والإكرام. قال السهيلي:

الذي عنده علم من الكتاب هو آصف بن برخيا ابن خالة سليمان، وكان عنده اسم الله الأعظم من أسماء الله تعالى.

وقيل: هو سليمان نفسه؛ ولا يصح في سياق الكلام مثل هذا التأويل.

قال ابن عطية وقالت فرقة هو سليمان عليه السلام، والمخاطبة في هذا التأويل للعفريت لما قال ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ﴾ كأن سليمان استبطأ ذلك فقال له على جهة تحقيره ﴿أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ واستدل قائلو هذه المقالة بقول سليمان ﴿هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى﴾.

وكان سليمان قد أمر ببناء صرح من زجاج، وعمل في ممره ماء، وجعل عليه سقفاً من زجاج وجعل فيه من السمك وغيرها من دواب الماء، وأمرت بدخول الصرح، وسليمان جالس على سريره فيه.

﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقَيْهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ۗ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقد ذكر الثعلبي وغيره أن سليمان لما تزوجها أقرها على مملكة اليمن وردها إليه، وكان يزورها في كل شهر مرة، فيقيم عندها ثلاثة أيام، ثم يعود على البساط، وأمر الجان فبنوا له ثلاثة قصور باليمن: غمدان، وسالحين، وبينون، فالله أعلم.

وقد روى ابن إسحاق عن بعض أهل العلم عن وهب بن منبه أن سليمان لم يتزوجها، بل زوجها بملك همدان، وأقرها على مُلك اليمن، وسخر زوبعة ملك جن اليمن، فبنى لها القصور الثلاثة التي ذكرناها باليمن، والأول أشهر وأظهر، والله أعلم.

ذكر ملكة سبأ في التوراة (العهد القديم)

جاء في العهد القديم أن ملكة سبأ دون ذكر اسمها بأنها سمعت بخبر سليمان وحكمته فذهبت إليه لاختبار هذه الحكمة والتحقق منها. قادمة على ظهور الجمال بقافلة من الطيب والأحجار الكريمة والأبخرة الذي يذكر العهد القديم أن أورشليم لم تشهد مثلها من قبل. التحقق من القصة من ناحية الآثار يكاد يكون مستحيلا، ولكن الإشارات إلى الطيب والأحجار الكريمة التي «لم يأت بعد مثلها» دلائل أن المملكة التي كانت تحكمها بلقيس غنية بهذه العناصر. وقد كانت ممالك اليمن القديم كذلك.

وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان لمجد الرب فأتت لتمتحنه بمسائل * فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جدا بجمال حاملة أطيابا وذهبا كثيرا جدا وحجارة كريمة وأتت إلى سليمان وكلمته بكل ما كان بقلبها * فأخبرها سليمان بكل كلامها. لم يكن أمرا مخفيا عن الملك لم يخبرها به * فلما رأت ملكة سبإ كل حكمة سليمان والبيت الذي بناه * وطعام مائدته ومجلس عبيده وموقف خدامه وملابسهم وسقاته ومحرقاته التي كان يصعدها في بيت الرب لم يبقَ فيها روح بعد * فقالت للملك صحيحا كان الخبر الذي سمعته في أرضي عن أمورك وعن حكمتك * ولم أصدق الأخبار حتى جئت وأبصرت عيناي فهوذا النصف لم أخبر به. زدت حكمة وصلاحا على الخبر الذي سمعته * طوبى لرجالك وطوبى لعبيدك هؤلاء الواقفين أمامك دائما السامعين حكمتك. * ليكن مباركا الرب إلهك الذي سر بك وجعلك على كرسي إسرائيل. لأن الرب أحب إسرائيل إلى الأبد جعلك ملكا لتجري حكما وبرا * وأعطت الملك مئة وعشرين وزنة ذهب

وأطيابا كثيرة جدا وحجارة كريمة. لم يأت بعد مثل ذلك الطيب في الكثرة الذي أعطته ملكة سبإ للملك سليمان * وكذا سفن حيرام التي حملت ذهباً من أوفير أتت من أوفير بخشب الصندل كثير جدا وبحجارة كريمة * فعمل سليمان خشب الصندل درابزينا لبيت الرب وبيت الملك وأعوادا وربابا للمغنين. لم يأت ولم ير مثل خشب الصندل ذلك إلى هذا اليوم * وأعطى الملك سليمان لملكة سبإ كل مشتهاها الذي طلبت عدا ما أعطاها إياه حسب كرم الملك سليمان. فانصرفت وذهبت إلى أرضها هي وعبيدها. (سفر الملوك الأول ١٠ : ١-١٣).

لا توجد إشارات في الكتاب المقدس عن علاقة بين سليمان وملكة سبأ ولكن ورد أنه كان لسليمان ٧٠٠ زوجة و٣٠٠ جارية وسليمان ليس نبيا كما هو في الإسلام بل ملك وتظهر النصوص غضباً من يهوه إله إسرائيل لتعلق قلبه بالنساء والتغاضي عن بعض أفعاله لإنه ابن داود مع ذلك لا إشارة بعينها لعلاقة بين سليمان وبلقيس ولكن بنيت قصص العلاقة المزعومة في تعليقات أو تفاسير الأحبار إستنادا على ماورد عن حب سليمان للنساء في التوراة.

أما المدراش ووالتناخ فصلوا في القصة، ورد في المدراش أن الملكة سمعت بخبر سليمان وحكمته فقالت لقومها: «سأذهب لاختباره بأحاجي لأرى إن كان حكيما أم لا » ويبدو أنها كانت بارعة في مسألة الأحاجي والألغاز والأسئلة المعقدة وكان سليمان يحب الأحاجي ويكثر من تبادلها مع الملوك وهي علامة على الكفاءة والذكاء حسب مفاهيم العالم القديم.

فلما وصلت عند سليمان سألته: «أنت سليمان الذي سمعت عن مملكته وحكمته؟»

فأجاب سليمان: نعم.

بلقيس: «إن كنت حكيما فعلا، فسأسألك أسئلة وأرني إن كان بإمكانك الإجابة عليها ».

سليمان: «لأن الرب يعطي حكمة. من فمه المعرفة والفهم».

بلقيس: «ماهي السبع التي تخرج، والتسع التي تدخل، والإثنان اللذان يقدمان شرابا، والواحد الذي يشرب؟»

سليمان: «السبع التي تخرج هي أيام الحيض والتسع التي تدخل هي شهور الحمل التسعة، والإثنان اللذان يقدمان شرابا هم الثديان والواحد الذي يشرب هو الرضيع».

فقالت بلقيس بصوت عال: «أنت حكيم فعلا ! سأسألك سؤالا آخر وأرى إن كان بإمكانك إجابتي؟»

سليمان: «الرب يمنح الحكمة»

بلقيس: «أباك هو أبي، وجدك هو زوجي، أنت ابني وأنا أختك؟»

فأجاب سليمان: «ابنتي لوط» (اللتين حبلتا من أبيهما لوط حسب العهد القديم) طبعاً نستغفر الله من قولهم.

بلقيس: «يخرج كالغبار من الأرض، غذاؤه الغبار، يسكب كالمياه ويضيء المنازل؟»

سليمان: «نافثا»

بلقيس: «شيء عندما يعيش لا يتحرك وعندما تقطع رأسه يتحرك؟»

سليمان: «السفينة في البحر»

بلقيس: «ماهو الذي لم يولد بعد ولكنه أعطي حياة؟»

سليمان: «عجل الذهب»

بلقيس: «الميت عاش ويصلي والقبر يتحرك، من هو؟»

سليمان: الميت يونس وقبره الحوت. (أو السمكة كما هي مذكورة في التوراة).

عرش بلقيس أحد آثار اليمن

موقع عرش بلقيس يعد من آثار اليمن فهو الموقع الأثري الأشهر بين آثاراليمن فهو عُرف بعمائده الخمسة وسادسها عمود مكسور كانت حتى عام ١٩٨٨م تنتصب وسط كثبان الرمال المحيطة بها، يجهل الإنسان ما تخفي تحتها فقد تم استخدام صور تلك الأعمدة كرمز وطني مهم للبلاد اليمنية فتصدرت لوائح الإعلانات، وظهرت مرسومة في العملات الورقية وعلى طوابع البريد، وأغلفة بعض كتب التاريخ اليمني.

تغنى الشعراء والمبدعون اليمنيون بعرش بلقيس، وظلوا يترقبون عودة ظهور معبد الشمس وسطوع شمس حضارة سبأ وحمير ومنذ ١٨٨٨م أضحى معلوماً لدى الباحثين أن عرش بلقيس تسمية شعبية لمعبد سبئي قديم، فقد تمت الحفريات من قبل البعثات الأجنبية للكشف عن هذا الأثر.

وكان الرحالة النمساوي والباحث أدورد جلازر أول من دوّن نقشاً سبئيًّا حفرعلى أحد أعمدة المعبد في العهد السبئي الوسيط ويتحدث النقش عن المعبد السبئي المقة، رب المعبد، برآن ويحذر كل من يحاول أن ينهب كنوز المعبد الفضية، والمعبود السبئي المقة كان يرمز لعبادة القمر، أحد الكواكب السماوية. أما برآن فهو الاسم السبئي القديم لقسم من الجنة اليسرى في أرض مأرب.

وكان معبد برآن عرش بلقيس يبعد حوالى ٣كم عن أسوار المدينة وموقعه كما هو الحال تقريباً وسط حقول الجنة اليسرى بعيداً عن أماكن الاستيطان البشري ويوجد

على بعد ٣ كم في الشمال الشرقي محرم بلقيس وهو أكبر معبد كان يحج إليه السبئيون في مواقيت محددة في السنة ويعرف باسم معبد آوام أو معبد القمر.

وهذا المعبد ينتظر فرق التنقيب الأثرية تأتي إليه لتستكمل ما بدأته قبل نصف قرن حتى تكشف عن تفاصيله المدفونة تحت الرمال فيزهو بعودته إلى النور كما يزهو اليوم عرش بلقيس الذي أصبح مفتوحاً أمام الزوار وحتى يكتمل ظهور أعجوبة الدنيا الثامنة يفرض عرش بلقيس على أي زائر لأرض الجنتين أن يقف وقتاً مع التاريخ يتأمل عظمة الإنسان اليمني قبل ثلاثة آلاف سنة ومستوى تطوره الحضاري المتكامل.

ومحرم بلقيس أو معبد القمر يزيد عمره عن ثلاثة آلاف سنة وهو معلم أثري مذهل يحيط بالكثير من أسرار عظمة مملكة سبأ وهو جزء مهم من التراث الإنساني العالمي.

محرم بلقيس:

يقع محرم بلقيس (ملكة سبأ) في محافظة مأرب في شرق العاصمة صنعاء، على بعد ٤ كيلومتر إلى الجنوب الشرقي من قرية مأرب التراثية وهو معبد للإله المقة «إله القمر» حيث كان قدماء اليمن يعبدون الشمس والقمر ونجم الصباح ويعتقد بأنه، أي محرم بلقيس، كان المعبد الرئيسي في مأرب. والمعبد له شكل بيضاوي وتقول الدراسات الحديثة بأنه لم يكن مسقوفا. يقع مدخله الرئيسي في الواجهة الشمالية وأمام الباب بهو ذي أعمدة على جوانبه وعلى بعد ١٠ أمتار من المدخل تنتصب ثمانية أعمدة كبيرة في صف واحد كما يوجد هيكل صغير من الحجر له أربعة أعمدة ويعتقد بأنه أقيم فوق بعض القبور على الجانب الشرقي من المحرم.

يرتبط اسم محرم بلقيس بقصة الملكة بلقيس، ملكة سبأ، والنبي سليمان عليه السلام، وللمعبد سور حجري مزخرف بإفريز علوي على غرار الزخرفة السبئية المعروفة. ويرجع تاريخ بناء المعبد إلى ما قبل القرن الثامن قبل الميلاد، وتشير النقوش إلى أن المعبد قد ظل يؤدي وظيفته لفترة تقرب من ألف عام وقد أهمل المعبد كما أهملت آلهة سبأ عند أواخر القرن الرابع الميلادي بعد أن اعتنق ملوك حمير الديانات السماوية النصرانية واليهودية.

عرش بلقيس «معبد برّان»:

يقع عرش بلقيس (ملكة سبأ) على بعد ١٤٠٠ متر إلى الشمال الغربي من محرم بلقيس الآنف ذكره وهو معبد سبئي كرس للمقة «إله القمر» ويلي معبد اوام من حيث الأهمية ويعرف محليًّا «بالعمايد» والمعبد مربع الشكل له مساحة مكشوفة تتوسطها البئر المقدسة وحوض ماء حجري يصل إليه الماء بواسطة مصب من فم الثور المقدس.

والقاعة محاطة بعدد من الجدران من الشمال والغرب والجنوب وأمام الجدار الغربي ينتصب عدد من المقاعد المرمرية ومن القاعه المكشوفة، وتوجد ١٢ درجة تؤدي إلى قدس الأقداس حيث الستة الأعمدة (يوجد حاليا خمسة أعمدة والسادس مكسور) ذات التيجان المزخرفة بالمكعبات ويزن العمود ١٧ طناً و٣٥٠ كجم ويبلغ طوله ١٢ متراً وسمكه ٨٠×٦٠ سم. يحيط بساحة المعبد المقدسة سور من اللبن «الطين» وله أبراج ويقع باب المعبد في الجهة الشمالية. ومن نتائج الحفريات اتضح بأن بناء المعبد مر بمرحلتين أساسيتين، الأولى من نهاية الألف الثاني حتى بداية الألف الأول قبل الميلاد والثانية بدأت عام ٨٥٠ ق.م.

4

عطاء اللّه لسليمان عليه السلام

- سليمان عليه السلام وحب الخيل.
- سليمان عليه السلام وبساط الريح.
- سليمان عليه السلام وتسخير الجن والشياطين.
- فتنة سليمان عليه السلام وأقوال العلماء فيها.
- من عطاء اللّه لسليمان عليه السلام أعطاه حكماً يصادف حكمه.
- ما جاء في كتاب ألف ليلة وليلة عن الجن والشياطين المحبوسين في القماقم من عهد سليمان عليه السلام.
- ادعاء اليهود أن سليمان استخدم السحر في حكم مملكته وتكذيب اللّه عز وجل لهم في آية سورة البقرة.
- ذكر مملكة إسرائيل المزعومة من النيل للفرات في العهد القديم.

سليمان عليه السلام وحب الخيل

كان سليمان عليه السلام يحب الخيل الصافنات وهي الخيل التي تقف على ثلاث وطرف حافر الرابعة وهي المضمرة السراع.

قال تعالى: ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَىَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ ﴾ [ص: ٣٠ - ٣٣].

وقال أهل التفاسير إن سليمان ذات يوم انشغل بتلك الخيل حتى خرج وقت العصر وغربت الشدس والذي يقطع به أنه لم يترك الصلاة عمداً دون عذر إلا أن يقال إنه كان سائغاً في شريعتهم فأخر الصلاة لأجل أسباب الجهاد وعرض الخيل كما حدث معه. [١]

وقالوا لقد أخر سليمان الصلاة نسياناً كما حدث مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم غزوة الخندق.

وقالوا: ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ﴾ أي عائد على الخيل وليس الشمس وأنه لم تنته وقت الصلاة، وقوله ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾ أي مسح العرق عن عراقيها وأعناقها وهذا قول ابن جرير الطبري وقول لابن عباس وهذا القول يريد نفي قيام سليمان عليه السلام بتعذيب الحيوان دون جريرة أو ذنب ويهلك مالاً لا سبب ولا ذنب

١- والصافنات: جمع الصافن من الخيل والأنثى: صافنة والصافن منها عند بعض العرب الذي يجمع بين يديه ويثني طرف سنبك إحدى رجليه وعند آخرين الذي يجمع يديه.

له إلا أن الخوف من أن يظفر بها أعداء الله فيجوز ذبحها وإهلاكها لئلا يتقووا بها.

وقيل إن سليمان كان لديه عشرون ألف فرس وقيل إنه كان فيها عشرون فرساً من ذوات الأجنحة.

روى أبو داود في سننه وبسنده عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة تبوك أو خيبر وفي سهوتها ستر، فهبت الريح فكشفت ناحية الستر عن بنات لعائشة لعب - أي لعب أطفال - فقال:

- ما هذا يا عائشة؟

- قالت : بناتي!!

ورأى بينهن فرساً له جناحان من رقاع فقال:

- ما هذا الذي أرى وسطهن؟

- قالت: أما سمعت أن لسليمان خيلاً لها أجنحية؟

- قالت: فضحك حتى رأيت نواجذه، صلى الله عليه وسلم.

ومن أفضل وأرجح ما قيل في قصة سليمان عليه السلام مع الخيل كما جاء في الآية السابقة ما ذكره الإمام الفخر الرازي في تفسيره للآية وتابعه الكثير من العلماء والمفسرين أن سيدنا سليمان عليه السلام لما احتاج إلى الغزو أمر بإحضار الخيل وذكر أنه لايحبها من أجل الدنيا وإنما أحبها بأمر الله وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله: ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ ثم أمر بإعدادها وتسييرها حتى توارت بالحجاب أي غابت عن بصره ثم أمر الرائضين بأن يروضوا تلك الخيل، فلما عادت طفق يمسح سوقها وأعناقها.

ويضيف: فهذا التفسير الذي ذكرنا «ينطبق عليه لفظ القرآن انطباقاً مطابقاً موافقاً ولايلزمنا نسبة شيء من تلك المنكرات والمحذورات وأقول: أنا شديد التعجب من الناس كيف قبلوا هذه الوجوه السخيفة مع أن العقل والنقل يردها وليس لهم في إثباتها شبهة فضلاً عن حجة. (١)

١ - التفسير الكبير (مفاتيح الغيب): فخر الدين الرازي.

سليمان عليه السلام وبساط الريح

لما ترك سليمان عليه السلام حبه للخيل لله عوضه الله عن الخيل تسخيره الرياح له فكانت تجري طوعاً له تأتمر بأمره كما قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [سبأ: ١٢].

وقال أيضاً: ﴿ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴾ [ص: ٣٦].

هكذا ما ترك مؤمناً شيئاً ابتغاء مرضاة الله إلا عوضه الله خيراً، وهكذا قال رسولنا صلى الله عليه وسلم.

وقد عوض الله سليمان عليه السلام بالريح العاصفة السريعة عوضاً عن الخيل السريعة فكانت الريح أسرع من الخيل بكثير بلا كلفة عليه، تجري بأمره حيث أراد.

وكانت تحمل له ما يريد حتى عرف ذلك ببساط الريح السليماني.

وكان له بساط مركب من أخشاب يتسع لجميع ما يحتاج إليه من الدور المبنية والقصور والخيام والأمتعة والخيول والجمال والأثقال والرجال والإنس والجن والحيوانات والطيور، فإذا أراد سفراً لقتال وجهاد في سبيل الله أو حتى سفراً للتنزه من أي بلاد الدنيا سافر إليها على ذلك البساط وأمر الريح فتدخل من تحته فرفعته بين الأرض والسماء فسارت به؟ وإذا أراد الإسراع أمر العاصفة فتحمله أسرع ما يكون كي تضعه في المكان الذي يريده، فكان يترحل في أول النهار من بيت المقدس فتغدو به الريح

فتضعه بإصطخر مسيرة شهر فيقم هناك إلى آخر النهار ثم يروح من آخره ثم ترده إلى بيت المقدس مرة أخرى.[١]

وقال الحسن البصري رحمه الله: كان يغدو - أي سليمان - من دمشق فينزل بإصطخر فيتغدى بها ويذهب رائحاً منها فيبيت بكابل وبين دمشق وبين إصطخر مسيرة شهر وبين إصطخر وكابل مسيرة شهر .

وقال ابن كثير رحمه الله: قد ذكر المتكلمون عن العمران والبلدان أن إصطخر بنتها الجان لسليمان وكان فيها قرار مملكة الترك قديماً، وكذلك غيرها من بلدان شتى كتدمر وبيت المقدس وباب حبرون وباب البريد اللذان بدمشق على أحد الأقوال.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ﴾ [سبأ: ١٢].

قال ابن عباس رحمه الله وكذلك مجاهد وعكرمة وقتادة وغير واحد: القطر هو النحاس قال قتادة: وكانت باليمن أنبعها الله له، قال السدي: ثلاثة أيام فقط أخذ منها جميع ما يحتاج إليه للبنايات وغيرها.

١ - قصص الأنبياء، ابن كثير.

سليمان عليه السلام وتسخير الجن والشياطين

قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ ﴿٣٨﴾ ﴾ [ص: ٣٧ - ٣٨].

وقال: ﴿ وَلِسُلَيۡمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهۡرٞ وَرَوَاحُهَا شَهۡرٞۖ وَأَسَلۡنَا لَهُۥ عَيۡنَ ٱلۡقِطۡرِۖ وَمِنَ ٱلۡجِنِّ مَن يَعۡمَلُ بَيۡنَ يَدَيۡهِ بِإِذۡنِ رَبِّهِۦۖ وَمَن يَزِغۡ مِنۡهُمۡ عَنۡ أَمۡرِنَا نُذِقۡهُ مِنۡ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعۡمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٖ كَٱلۡجَوَابِ وَقُدُورٖ رَّاسِيَٰتٍۚ ٱعۡمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكۡرٗاۚ وَقَلِيلٞ مِّنۡ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾ ﴾ [سبأ: ١٢ - ١٣].

ففي الآية أن الحق جل وعلا سخر الجن لسليمان للعمل بين يديه بإذن الله، أي تسخيراً وطاعة، أي سخر الله له الجن عمالاً يعملون له ما يشاء لايفترون ولايخرجون عن طاعته ومن يخرج عن طاعته عذبه الله ونكل به، ويعملون له ما يشاء من محاريب وهي الأماكن الحسنة وصدور المجالس وكذلك التماثيل وهي الصور في الجدران، وكان هذا سائغاً وحلالاً في شريعتهم وملتهم وكذلك يصنعون له جفاناً كالجواب وهي الحياض (الأحواض) التي توضع فيها الماء.

قال الشاعر العربي الأعشى:

تروح على آل المحلق جفنة ⠀⠀⠀ كجابية الشيخ العراقي تفهق

وأما القدور الراسيات فقال عكرمة: أثافيها منها يعني أنهن ثوابت لايزلن عن أماكنهن.[١]

١ - المصدر السابق.

والجن يشمل الشياطين فالجن اسم جنس والشياطين هم الأشرار منهم المطرودون من رحمة الله، والشياطين من الإنس كما هي في الجن فالشيطان هو البعيد عن الله عز وجل العاصي لأوامره، وقد أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث النبوي أن نتعوذ من شر شياطين الإنس والجن.

وقد ذكر الله عز وجل تسخيره للشياطين كي تعمل ما يشاء سليمان عليه السلام، وخصهم بالذكر منفردين كونهم عصاة الجن فقال: ﴿وَٱلشَّيَـٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ﴾ [ص : ٣٧].

أي أن منهم من سخره الله في البناء ومنهم من يأمره سليمان بالغوص في البحار لاستخراج الجواهر واللآلئ وغير ذلك من أعمال الغوص في الماء، ومن يعصي الأمر منهم يتم وضعه في القيود الشديدة.

وهذا كله من جملة ما خص الله به نبيه سليمان عليه السلام من ملك لم يعطه أحداً من بعده، وذلك بعد أن دعاه قائلاً: ﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص : ٣٥].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم: «إن عفريتاً من الجن تفلت عليَّ البارحة ليقطع عليَّ صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه كلكم فذكرت دعوة أخي سليمان: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ﴾ فرددته خاسئاً. [١]

ومن أعمال الجن حفر الآبار لاستخراج الماء منها وقد ذكر ياقوت الحموي ذلك:

ففي قرية (لينة) في شمال السعودية توجد آبار ضيقة محفورة في صخور صلبة بأشكال متقنة، وهي آبار كثيرة.

وقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أن الجن حفروها لنبي الله سليمان عليه الصلاة والسلام، وهي تزيد على ثلاثمائة بئر.

١ - رواه البخاري في صحيحه وكذلك رواه مسلم في صحيحه.

قال ياقوت: و (لِينَة) موضع في بلاد نجد، وبها ركايا عادية نقرت من حجر رخو، وماؤها عذب زلال. يُقال: إن شياطين سليمان احتفروه، وذلك أنه خرج من أرض بيت المقدس يريد اليمن فتغدّى بلينة، وهي أرض خشناء، فعطش الناس وعز عليهم الماء، فضحك شيطان كان واقفا على رأسه ! فقال له سليمان: ما الذي يضحكك؟ فقال: أضحك لعطش الناس، وهم على لجة البحر، فأمرهم سليمان فضربوا بعصيهم، فأنبطوا الماء والله أعلم.

وهذا من جُملة العمل الشاق الذي كُلّفت به الجن، وهو داخل في عموم (العذاب المهين) المذكور في الآية والموجود من تلك الآبار حوالي ٢٠ بئراً هي الشاهدة على العمل الإبداعي للجن والله أعلى وأعلم.

والشاهد في قصة تلك الآبار أنها محفورة في أحجار صلبة قاسية وهي ذات فتحات ضيقة قطرها نصف المتر حتى إنه لا يستطيع الرجل الدخول فيها.

فتنة سليمان عليه السلام وأقوال العلماء فيها

وكان بدء ملك سليمان الذي لاينبغي لأحد من بعده بعد دعائه ربه ذلك وبعد أن ذكر الحق سبحانه وتعالى فتنة سليمان في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ ﴾ [ص: ٣٤-٣٥].

فالبداية فتنة ثم توبة وبعد التوبة والاستغفار دعاء مستجاب ودعاء الأنبياء مستجاب.

وذكر أهل التفاسير مثل الطبري وغيره آثاراً كثيرة عن جماعة من السلف قال عنها ابن كثير أن أكثرها أو كلها متلقاة من الإسرائيليات وفي كثير منها نكارة ذكرها في تفسيره القرآن ومضمون ما ذكره أن سليمان عليه السلام غاب عن سريره أربعين يوماً ثم عاد إليه ولما عاد أمر ببناء بيت المقدس فبناه محكماً، وكان أول من جعله مسجداً هو يعقوب عليه السلام، ومن المعلوم أن بين سيدنا إبراهيم والذي بنى الكعبة وسليمان أزيد من ألف سنة. وبالتالي فلم يكن سليمان أول من بنى بيت المقدس ولا آخرهم.

ونعود لفتنة الله لسليمان التي ذكرت في الآية نستعرضها حسبما قال أهل التفسير ونوضح ما فيها من ضعف وإسرائيليات وافتراءات وأكاذيب أساءت لهذا النبي الملك عليه السلام.

والفتنة في اللغة هي الاختبار والامتحان وهي سنة كونية من سنن الله في خلقه وعلى

رأسهم الأنبياء والمرسلون كما قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ [العنكبوت : ٥].

وقد جاء في الآية التي ذكرت فتنة سليمان عليه السلام ﴿ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ [ص : ٣٤].

وقد أفاض المفسرون في ذكر من هو ذلك الجسد فقال بعضهم إن هذا الجسد شيطان اسمه صخر كان متمرداً عليه وقالوا إن الله ألقى عليه شبه سليمان عليه السلام واحتال حتى ظفر بخاتم سليمان الذي يحكم به العالم وذلك حين دخل إلى الحمام، فجاء الشيطان وأخذ خاتمه من امرأته وجلس على كرسي الحكم أربعين عاماً وبالغ بعضهم حتى قالوا أن هذا الشيطان كان يغشى نساء سليمان. (نستغفر الله).

وهذه الرواية ردها أهل التحقيق والتفسير وهي من صنع الزنادقة ومن أباطيل الإسرائيليات، حيث لم يبق من هيبة النبوة ومكانة الرسالة بعد ذلك شيء.

يقول الآلوسي معلقاً على هذه الروايات الباطلة: «ومن أقبح ما فيها زعم تسلط الشيطان على نساء نبيه حتى وطئهن وهن حُيَّض! الله أكبر هذا بهتان عظيم وخطب جسيم.(١)

وقالوا إن المراد بالجسد الملقى على الكرسي هو ولد لسليمان لما ولد له، اجتمعت الشياطين، وقال بعضهم لبعض: إن عاش له ابن لن ننفك مما نحن فيه من البلاء والسخرة، فتعالوا نقتله أو نخبله، فعلم سليمان بذلك وخاف على ابنه، فأمر الريح أن تحمله وتضعه في السحاب، فعاقبه الله على تخوفه من الشيطان، فلم يشعر إلا وقد وقع ا بنه ميتاً على كرسيه، وهذه الرواية لاتصح أيضاً إذ إنها تقدح في عصمة الأنبياء، الذين هم أشد الناس تعلقاً بالله وتوكلاً عليه، وما كان سليمان ليخشى الشياطين على ولده وهم مسخرون له وهم في قبضته، وتحت إمرته.(٢)

---

١ - روح المعاني، الآلوسي.

٢ - انظر: جامع البيان، الطبري. والدر المنثور، السيوطي وتفسير البيضاوي.

وهناك من روى قصة الشيطان الذي أخذ الخاتم وجلس على كرسي سليمان، وطرد سليمان عن ملكه، حتى وجد الخاتم في بطن السمكة التي أعطاها له من كان يعمل عنده بأجر مطروداً عن ملكه، إلى آخر القصة وهي قصة من الإسرائيليات الباطلة.

وذكر القرطبي في تفسيره أن سليمان فتن بعدما ملك عشرين سنة، وملك بعد الفتنة عشرين سنة، وفتنا أي ابتلينا وعاقبنا. وسبب ذلك ما رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: اختصم إلى سليمان فريقان أحدهما من أهل جرادة امرأة سليمان، وكان يحبها فهوى أن يقع القضاء لهم، ثم قضى بينهما بالحق، فأصابه الذي أصابه عقوبة لذلك الهوى. وإن سليمان عليه السلام احتجب عن الناس ثلاثة أيام لا يقضي بين أحد، ولاانتصف مظلوماً من ظالم، فأوحى الله تعالى إليه: إني لم أستخلفك لتحتجب عن عبادي ولكن لتقضي بينهم وتنصف مظلومهم.

ومما قيل أيضاً ما ذكره السيوطي في الدر المنثور، وأخرج الطبراني في الأوسط وابن مردويه بسند ضعيف عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ولد لسليمان ولد فقال الشيطان: نواريه من الموت، قالوا: إلى البحار، قال: يصل إليه الموت، قالوا: نضعه بين السماء والأرض، قال: نعم، ونزل عليه ملك الموت، فقال: إني أمرت بقبض نسمة طلبتها من البحار، وطلبتها في تخوم الأرض فلم أصبها، فبينما أنا قاعد أصبتها، فقبضتها، وجاء جسده، حتى وقع على كرسي سليمان فهو قول الله: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾ وهذه الرواية من الموضوعات فلا تصح.

وبهذا حكم العلماء على هذا الحديث، وقد نبه على ذلك الإمام ابن الجوزي، وقال: يحيى يعني: ابن كثير، يروي عن الثقاة ما ليس من حديثهم، ولاينسب إلى نبي الله سليمان ذلك، ووافقه السيوطي على وضعه. ولايشك في وضع هذا إلا من يشك في عصمة الأنبياء. (١)

١ - انظر اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة لأبي شهبة.

من عطاء الله لسليمان عليه السلام
أعطاه حكماً يصادف حكمه

وكان سؤال سليمان عليه السلام ربه أن يهب له ملكاً لاينبغي لأحد من بعد إكماله بيت المقدس، ومعنى قوله: ﴿لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعۡدِىٓ﴾ قد يكون بالإمكان وجود مثله فيمن سبقه والله أعلم.

عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إن سليمان لما بنى بيت المقدس سأله ربه عز وجل ثلاثاً، فأعطاه اثنتين ونحن نرجو أن تكون لنا الثالثة: سأله حكماً يصادف حكمه، فأعطاه إياه، وسأله ملكاً لاينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه.

وسأله أيما رجل خرج من بيته لا يريد إلا الصلاة. [١]

في هذا المسجد خرج من خطيئته مثل يوم ولدته أمه.

فنحن نرجو أن يكون الله قد أعطانا إياها.[٢]

وأما الحكم الذي يوافق حكم الله فقد أعطاه لسليمان كما قال تعالى في القرآن الكريم:

﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ إِذۡ يَحۡكُمَانِ فِي ٱلۡحَرۡثِ إِذۡ نَفَشَتۡ فِيهِ غَنَمُ ٱلۡقَوۡمِ وَكُنَّا لِحُكۡمِهِمۡ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمۡنَٰهَا سُلَيۡمَٰنَۚ وَكُلًّا ءَاتَيۡنَا حُكۡمٗا وَعِلۡمٗاۚ﴾ [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩].

١- رواه أحمد والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان والحاكم.

٢- قصص الأنبياء لابن كثير.

وتلك من نعم الله تعالى وعطاياه على سيدنا سليمان عليه السلام أن يوافق حكمه حكم الله تعالى ويا لها من نعمة وعطية عظيمة نسأل الله تعالى أن يفهمنا كما فهم عبده ونبيه سليمان عليه السلام.

وقد ذكر القرآن الكريم قصة الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم، حيث أن هؤلاء القوم كان لهم زرع وهو الكرم (العنب) فنفشت فيه غنم قوم آخرين أي نزلت الغنم هذا الزرع فأكلت شجره كله، فتحاكموا إلى الملك النبي داود عليه السلام فحكم لأصحاب الزرع بقيمته، فلما خرجوا من عنده قابلهم سليمان ابنه قال: بم حكم لكم نبي الله؟

فقالوا : بكذا وكذا.

فقال: أما لو كنت أنا لما حكمت إلا بتسليم الغنم إلى أصحاب الكرم (الزرع) فسيتغلونه نتاجاً ودرًّا حتى يُصلح أصحاب الغنم الكرم (الزرع) الذي أكله الغنم ويردوه إلى ما كان عليه ثم يتسلموا غنمهم.

فبلغ ذلك داود عليه السلام فحكم به.

وثبت في الصحيحين ذكر حكم سليمان عليه السلام بين امرأتين تتنازعان في ولد تدعي كل واحدة أنه ابنها، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بينما امرأتان معهما ابناهما إذ عدا الذئب فأخذ ابن إحداهما، فتنازعتا في الآخر، فقالت الكبرى: إنما ذهب بابنك، وقالت الصغرى: بل إنما ذهب بابنك.

فتحاكما إلى داود، فحكم به للكبرى، فخرجتا على سليمان فقال: إيتوني بالسكين أشقه نصفين لكل واحدة منكما نصفه.

فقالت الصغرى: يرحمك الله هو ابنها.

فقضى به لها. (١)

١ - متفق عليه.

ما جاء في كتاب ألف ليلة وليلة[1] عن الجن والشياطين المحبوسين في القماقم من عهد سليمان عليه السلام

جاء ذكر سيدنا سليمان عليه السلام في ألف ليلة وليلة فيما روته شهرزاد لزوجها الملك شهريار والليلة ٥٦٠ وما بعدها قالت:

---

١ - كتاب ألف ليلة وليلة هو مجموعة متنوعة من القصص الشعبية عددها حوالي مائتي قصة يتخللها شعر في نحو ١٤٢٠ مقطوعة، ويرجع تاريخها الحديث عندما ترجمها إلى الفرنسية المستشرق الفرنسي أنطوان جالان عام ١٧٠٤م، والذي صاغ الكتاب بتصرف كبير، وصار معظم الكتاب يترجم عنه طوال القرن الثامن عشر وما تلاه. وقد قلدت الليالي بصورة كبيرة وأستعملت في تأليف القصص وخاصة قصص الأطفال، كما كانت مصدراً لإلهام الكثير من الرسامين والموسيقيين. وتحتوي قصص ألف ليلة وليلة على شخصيات أدبية خيالية مشهورة منها كعلاء الدين، وعلي بابا والأربعين حرامي ومعروف الإسكافي وعلى زيبق المصرى والسندباد البحري، وبدور في شهرزاد وشهريار الملك، والشاطر حسن.

وأغلب الظن أن الصيغة النهائية من هذا الكتاب وضعت بين القرنين الثالث عشر والرابع عشر؛ إلا أنه معروف من قديم، وعلى وجه الدقة من عهد المؤرخ العربي الشهير: علي بن الحسين المسعودي. ففي كتابه «مروج الذهب ومعادن الجوهر» في فصل عنوانه: «ذكر الأخبار عن بيوت النيران وغيرها» ذكر ما روي عن إرم ذات العماد، وقال: «وقد ذكر كثير من الناس ممن له معرفة بأخبارهم (يعني بني أمية) أن هذه أخبار موضوعة مزخرفة مصنوعة، نظمها من تقرب إلى الملوك برواياتها، وصال على أهل عصره بحفظها والمذاكرة بها، وأن سبيلها سبيل الكتب المنقولة إلينا والمترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية (يعني اليونانية)، وسبيل تأليفها مما ذكرنا مثل كتاب «هزار أفسانة»، وتفسير ذلك من الفارسية إلى العربية: «ألف خرافة"؛ والخرافة بالفارسية يقال لها أفسانة؛ والناس يسمون هذا الكتاب «ألف ليلة وليلة»، وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها، وهما شيرزاد ودينازاد، ومثل كتاب «فرزة وسيماس» وما فيه من أخبار ملوك الهند والوزراء، ومثل كتاب «السندباد»، وغيرها من الكتب في هذا المعنى.

ويتكون البناء القصصي في ألف ليلة وليلة من القصة الإطار التي تتضمن مجموعة من القصص الأخرى فيها، حيث تدور أحداث هذه القصة الأساسية حول الملك شهريار الذي اكتشف خيانة زوجته له مع أحد عبيده، فصار عنده رد فعل عكسي تجاه النساء، وقرر أن يتزوج كلّ ليلة امرأة ويقتلها مع طلوع الصباح.

بلغني أيضاً أنه كان في قديم الزمان وسالف العصر والأوان بدمشق الشام ملك من الخلفاء يسمى عبد الملك بن مروان، وكان جالساً يوماً من الأيام، وعنده أكابر دولته من الملوك والسلاطين، فوقعت بينهم مباحثة في حديث الأمم السالفة، وتذكروا أخبار سيدنا سليمان بن داود عليهما السلام وما أعطاه الله تعالى من الملك والحكم في الإنس والجن والطير والوحش وغير ذلك وقالوا قد سمعنا ممن كان قبلنا أن الله سبحانه وتعالى، لم يعط أحداً مثل ما أعطى سيدنا سليمان وأنه وصل إلى شيء لم يصل إليه أحد حتى إنه كان يسجن الجن والمردة والشياطين في قماقم من النحاس ويسبك عليهم بالرصاص ويختم عليهم بخاتمه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الواحدة والستين بعد الخمسمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الخليفة عبد الملك بن مروان لما تحدث مع أعوانه وأكابر دولته وتذكروا سيدنا سليمان وما أعطاه الله من الملك قال إنه وصل إلى شيء لم يصل إليه أحد حتى إنه كان يسجن المردة والشياطين في قماقم من النحاس ويسبك عليهم بالرصاص ويختم عليهم بخاتمه، وأخبر طالب أن رجلاً نزل في مركب مع جماعة وانحدروا إلى بلاد الهند ولم يزالوا سائرين حتى طلع عليهم ريح فوجههم ذلك الريح إلى أرض من أراضي الله تعالى وكان ذلك في سواد الليل.

فلما أشرق النهار خرج إليهم من مغارات تلك الأرض أقوام سود الألوان عراة الأجساد كأنهم وحوش، لا يفقهون خطاباً لهم ملك من جنسهم وليس منهم أحد يعرف العربية غير ملكهم فلما رأوا المركب ومن فيها خرج إليهم في جماعة من أصحابه فسلم عليهم ورحب بهم وسألهم عن دينهم، فأخبروه بحالهم فقال لهم لا بأس عليكم، وحين سألهم عن دينهم كان كل منهم على دين من الأديان، سألهم عن دين الإسلام وعن بعثة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

فقال أهل المركب نحن لا نعرف ما تقول ولا نعرف شيئاً من هذا الدين فقال لهم الملك إنه لم يصل إلينا أحد من بني آدم قبلكم ثم إنه ضيفهم بلحم الطيور والوحوش

والسمك لأنه ليس لهم طعام غير ذلك ثم إن أهل المركب نزلوا يتفرجون في تلك المدينة، فوجدوا بعض الصيادين أرخى شبكته في البحر ليصطاد سمكاً ثم رفعها فيها قمقم من نحاس مرصص مختوم عليه بخاتم سليمان بن داود عليهما السلام فخرج به الصياد وكسره فخرج منه دخان أزرق التحق بعنان السماء فسمعنا صوتاً منكراً يقول التوبة التوبة يا نبي الله ثم صار من ذلك الدخان شخص هائل المنظر مهول الخلقة تلحق رأسه الجبل ثم غاب عن أعينهم.

فأما أهل المركب فكادت تنخلع قلوبهم، وأما السودان فلم يفكروا في ذلك، فرجع رجل إلى الملك وسأله عن ذلك فقال له اعلم أن هذا من الجن الذين كان سليمان بن داود إذا غضب عليهم سجنهم في هذه القماقم، ورصص عليهم ورماهم في البحر فإذا رمى الصياد الشبكة يطلع بها القماقم في غالب الأوقات، فإذا كسرت يخرج منها جني ويخطر بباله أن سليمان حي فيتوب ويقول التوبة يا نبي الله، فتعجب أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان من هذا الكلام، وقال سبحان الله لقد أوتي سليمان ملكاً عظيماً وكان ممن حضر في ذلك المجلس النابغة الذبياني فقال طالب فيما أخبرته والدليل على صدقه قول الحكيم الأول:

وفي سليمان إذ قال الإله له ... قم بالخلافة واحكم حكم مجتهد

فمن أطاعك فأكرمه بطاعتي ... ومن أبى عنك فاحبسه إلى الأبد

وكان يجعلهم في قماقم من النحاس ويرميهم في البحر فاستحسن أمير المؤمنين هذا الكلام وقال والله إني لأشتهي أن أرى شيئاً من هذه القماقم فقال له طالب بن سهل، يا أمير المؤمنين إنك قادر على ذلك وأنت مقيم في بلادك فأرسل إلى أخيك عبد العزيز بن مروان أن يأتيك بها من بلاد الغرب بأن يكتب إلى موسى أن يركب من بلاد الغرب إلى هذا الجبل الذي ذكرناه ويأتيك من هذه القماقم بما تطلب فإن البر متصل من آخر ولايته بهذا الجبل فاستصوب أمير المؤمنين رأيه وقال يا طالب صدقت فيما قلته وأريد أن تكون أنت رسولي إلى موسى بن نصير في هذا الأمر ولك الراية البيضاء وكل ما تريده من مال

أو جاه أو غير ذلك وأنا خليفتك في أهلك قال حبًّا وكرامة يا أمير المؤمنين فقال له سر على بركة الله تعالى وعونه.

ثم أمر أن يكتبوا له كتاباً لأخيه عبد العزيز نائبه في مصر وكتاباً آخر إلى موسى نائبه في بلاد الغرب يأمره بالسير في طلب القماقم السليمانية بنفسه ويستخلف ولده على البلاد ويأخذ معه الأدلة وينفق المال، وليستكثر من الرجال ولا يلحقه في ذلك فترة ولا يحتج بحجة.

ثم ختم الكتابين وسلمهما إلى طالب بن سهل وأمره بالسرعة ونصب الرايات على رأسه ثم إن الخليفة أعطاه الأموال والركائب والرجال ليكونوا أعواناً له في طريقه وأمر بإجراء النفقة على بيته من كل ما يحتاج إليه وتوجه طالب يطلب مصر. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثانية والستين بعد الخمسمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن طالب بن سهل سار هو وأصحابه يقطعون البلاد من الشام إلى أن دخلوا مصر، فتلقاه أمير مصر وأنزله عنده وأكرمه غاية الإكرام في مدة إقامته عنده، ثم بعث معه دليلاً إلى الصعيد الأعلى حتى وصلوا إلى الأمير موسى بن نصير.

فلما علم به خرج إليه وتلقاه وفرح به فناوله الكتاب فأخذه وقرأه وفهم معناه ووضعه على رأسه وقال سمعاً وطاعة لأمير المؤمنين، ثم إنه اتفق رأيه على أن يحضر أرباب دولته فحضروا فسألهم عما بدا لهم في الكتاب، فقالوا أيها الأمير إن أردت من يدلك على طريق ذلك المكان، فعليك بالشيخ عبد الصمد بن عبد القدوس الصمودي، فإنه رجل عارف وقد سافر كثيراً خبير بالبراري والقفار والبحار وسكانها وعجائبها والأرضين وأقطارها فعليك به فإنه يرشدك إلى ما تريده.

فأمر بإحضاره فحضر بين يديه فإذا هو شيخ كبير قد أهرمه تداول السنين والأعوام فسلم عليه الأمير موسى وقال له يا شيخ عبدالصمد إن مولانا أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان قد أمرنا بكذا وكذا، وأنا قليل المعرفة بتلك الأرض وقد قيل لي إنك عارف بتلك البلاد

والطرقات، فهل لك رغبة في قضاء حاجة أمير المؤمنين.

فقال الشيخ اعلم أيها الأمير أن هذه الطريق وعرة بعيدة الغيبة قليلة المسالك فقال له الأمير كم مسيرة مسافتها فقال مسيرة سنتين ذهاباً ومثلها إياباً، وفيها شدائد وأهوال وغرائب وعجائب وأنت رجل مجاهد وبلادنا بالقرب من العدو فربما تخرج النصارى في غيبتك والواجب أن تستخلف في مملكتك من يدبرها قال نعم فاستخلف ولده هارون عوضاً عنه في مملكته وأخذ عليه عهداً وأمر الجنود أن لا يخالفوه بل يطاوعوه في جميع ما يأمرهم به فسمعوا كلامه وأطاعوه وكان ولده هارون شديد البأس هماماً جليلاً وبطلاً كميناً، وأظهر له الشيخ عبد الصمد أن الموضع الذي فيه حاجة أمير المؤمنين مسيرة أربعة أشهر وهو على ساحل البحر، وكله منازل تتصل ببعضها وفيها عشب وعيون فقال قد يهون الله علينا ذلك ببركتك يا نائب أمير المؤمنين.

فقال الأمير موسى هل تعلم أن أحداً من الملوك وطئ هذه الأرض قبلنا قال له نعم يا أمير المؤمنين هذه الأرض لملك الإسكندرية داران الرومي، ثم ساروا ولم يزالوا سائرين إلى أن وصلوا إلى قصر فقال تقدم بنا إلى هذا القصر الذي هو عبرة لمن اعتبر، فتقدم الأمير موسى إلى القصر ومعهم الشيخ عبد الصمد وخواص أصحابه حتى وصلوا إلى بابه، فوجدوه مفتوحاً وله أركان طويلة ودرجات وفي تلك الدرجات درجتان ممتدتان وهما من الرخام الملون الذي لم ير مثله والسقوف والحيطان منقوشة بالذهب والفضة والمعدن، وعلى الباب لوح مكتوب فيه باليوناني، فقال الشيخ عبد الصمد هل أقرأه يا نائب أمير المؤمنين فقال له تقدم واقرأ بارك الله فيك، فما حصل لنا في هذا السفر إلا بركتك فقرأه فإذا فيه شعر هو:

قوم تراهم بعد ما صنعوا	يبكي على الملك الذي نزعوا
فالقصر فيه منتهى خبر	عن سادة في الترب قد جُمعوا
أبادهم موت وفرقهم	وضيعوا في التراب ما جَمعوا
كأنما حطوا رحالهم	ليستريحوا سرعة رجعوا

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الثالثة والستين بعد الخمسمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الشيخ عبد الصمد لما قرأ هذه البيات بكى الأمير موسى حتى غشي عليه وقال له لا إله إلا الله الحي الباقي بلا زوال ثم إنه دخل القصر فتحيرمن حسنه وبنائه، ونظر إلى ما فيه من الصور والتماثيل وإذا على الباب الثاني أبيات مكتوبة، فقال الأمير موسى تقدم أيها الشيخ واقرأ فتقدم وقرأ فإذا هي:

كـــم معشر في قبابها نـزلـوا   عــلى قديــم الزمان وارتحلـوا

انظـر إلى ما بغيرهم صنعت   حـوادث الدهر إذ بهـم نزلـوا

سموا كـل ما لهم جـمـعـوا   وخلفـوا حـظ ذاك وارتحلـوا

كم لابسوا نعمة وكم أَكلوا   فأصبحوا في التراب قد أُكلوا

فبكى الأمير موسى بكاء شديداً، واصفرت الدنيا في وجهه ثم قال لقد خلقنا لأجل هذا ثم تأملوا القصر فإذا هو قد خلا من السكان، وعدم الأهل والقطان دوره مرصعات، وجهاته مقفرات، وفي وسطه قبة عالية شاهقة في الهواء وحواليها أربعمائة قبر فبكى الأمير موسى ومن معه، ثم دنا من القبة فإذا لها ثمانية أبواب من خشب الصندل بمسامير من الذهب مكوكبة بكواكب الفضة مرصعة بالمعادن من أنواع الجواهر مكتوب على الباب الأول هذه الأبيات:

ما قد تركت فما خلفتـه كـرمـاً   بل بالقضاء وحكم في الورى جاري

فطالما كنت مسروراً ومغتبـطـاً   احمـــي حماي كمثل الضيغم الضاري

لا أستقر ولا أسـخـى بـخـردلة   شحًّــا عليه ولـو ألقيت فـي الـنـار

إن كان موتي محتوماً على عـجـل   فلـم أطــق دفعــه عنـي بـإكثـاري

فلما سمع الأمير موسى هذه الأبيات بكى بكاء شديداً حتى غشي عليه، فلما أفاق دخل القبة، فرأى فيها قبراً طويلاً هائل المنظر، وعليه لوح من الحديد الصيني، فدنا منه

الشيخ عبد الصمد وقرأ فإذا فيه مكتوب بسم الله الدائم الأبدي الأبد بسم الله الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد بسم ذي العزة والجبروت باسم الحي الذي لا يموت. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الرابعة والستين بعد الخمسمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الشيخ عبد الصمد لما قرأ ما ذكرناه رأى مكتوباً في اللوح، أما بعد أيها الواصل إلى هذا المكان اعتبر بما ترى من حوادث الزمان وطوارق الحدثان، ولا تغتر بالدنيا وزينتها وزورها وبهتانها وغرورها وزخرفها فمنها ملاقاة مكارة غدارة أمورها مستعارة تأخذ المعار من المستعير فهي كأضغاث النائم وحلم الحالم كأنها سراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء يزخرفها الشيطان للإنسان إلى المات، فهذه صفات الدنيا فلا تثق بها ولا تمل إليها فإنها تخون من استند إليها وعول في أموره عليها لا تقع في حبالها ولا تتعلق بأذيالها فإني ملكت أربعة آلاف حصان أحمر في دار وتزوجت ألف بنت من بنات الملوك نواهد أبكار كأنهن الأقمار، ورزقت ألف ولد كأنهن الليوث العوابس، وعشت من العمر ألف سنة منعم البال والأسرار، وجمعت من الأموال ما يعجز عنه ملوك الأقطار، كان ظني في النعيم يدوم لي بلا زوال، فلم أشعر حتى نزل بنا هادم اللذات ومفرق الجماعات وموحش المنازل ومخرب الدور العامرات، وإن سألت عن اسمي فإني كوش بن شداد بن عاد الأكبر في ذلك اللوح مكتوب أيضاً هذه الأبيات:

إن تذكروني بعد طـول زمـانـي	وتقـلـب الأيـــام والـحـدثـــان
فأنا ابن شداد الذي ملك الـورى	والأرض أجمعهـا بكـــل مـكـان
دانت لي الأمم الصعاب بأسرهـا	والشـــام من مصر إلـى عـدنـان
قد كنت فـي عـــز أذل ملوكـهـا	وتخاف أهل الأرض من سلطاني

فبكى الأمير موسى حتى غشي عليه لما رأى من مصارع القوم قال فبينما هم يطوفون بنواحي القصر ويتأملون في مجالسه ومتنزهاته، وإذا بمائدة على أربعة قوائم من المرمر مكتوب عليها، قد أكل على هذه المائدة ألف ملك أعور، وألف ملك سليم العينين كلهم

فارقوا الدنيا، وسكنوا الأرماس والقبور وسار العسكر والشيخ عبد الصمد أمامهم يدلهم على الطريق حتى مضى ذلك اليوم كله وثانيه وثالثه وإذا هم برابية عالية فنظروا إليها فإذا عليها فارس من نحاس وفي رأس رمحه سنان عريض براق يكاد يخطف البصر مكتوب عليه أيها الواصل إلي إن كنت لا تعرف الطريق الموصلة إلى مدينة النحاس فافرك كف الفارس فإنه يدور ثم يقف فأي جهة وقف إليها فاسلكها ولا خوف عليك ولا حرج فإنها توصلك إلى مدينة النحاس.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة الخامسة والستين بعد الخمسمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الأمير موسى فرك كف الفارس فدار كأنه البرق الخاطف وتوجه إلى غير الجهة التي كانوا فيها فتوجه القوم فيها وساروا فإذا هي طريق حقيقية فسلكوها، ولم يزالوا سائرين يومهم وليلتهم حتى قطعوا بلاداً بعيدة.

فبينما هم سائرون يوماً من الأيام وإذا هم بعمود من الحجر الأسود وفيه شخص غائص في الأرض إلى إبطيه وله جناحان عظيمان وأربع أيادي يدان منها كأيدي الآدميين ويدان كأيدي السباع فيهما مخالب وله شعر في رأسه كأنه أذناب الخيل وله عينان كأنهما مرآتان وله عين ثالثة في جبهته كعين فهد يلوح منها شرار النار وهو أسود طويل وينادي سبحان رب حكم النبلاء العظيم والعذاب الأليم إلى يوم القيامة.

فلما عاينه القوم طارت عقولهم واندهشوا لما رأوا من صفته وولوا فقال الأمير موسى للشيخ عبد الصمد ما هذا قال لا أدري ما هو فقال ادن منه وابحث عن أمره فلعله يكشف عن أمره ولعلك تطلع على خبره فقال الشيخ عبد الصمد أصلح الله الأمير إننا نخاف منه قال لا تخافوا فإنه مكفوف عنكم وعن غيركم بما هو فيه فدنا منه الشيخ عبدالصمد وقال له أيها الشخص ما اسمك وما شأنك وما الذي جعلك في هذا المكان على هذه الصورة فقال له أما أنا فإني عفريت من الجن واسمي داهش بن الأعمش، وأنا مكفوف ههنا بالعظمة محبوس بالقدرة معذب إلى ما شاء الله عز وجل.

قال الأمير موسى يا شيخ عبد الصمد اسأله ما سبب سجنه في هذا العمود فسأله

عن ذلك فقال له العفريت إن حديثي عجيب وذلك أنه كان لبعض أولاد إبليس صنم من العقيق الأحمر وكنت موكلاً به وكان يعبده ملك من ملوك البحر جليل القدر عظيم الخطر يقود من عساكر الجان ألف ألف يضربون بين يديه بالسيوف ويجيبون دعوته في الشدائد وكان الجان الذي يطعيونه تحت أمري وطاعتي يتبعون قولي إذا أمرتهم وكانوا كلهم عصاة عن سليمان بن داود عليهما السلام وكنت أدخل في جوف الصنم فآمرهم وأنهاهم وكانت ابنة ذلك الملك تحب ذلك الصنم كثيرة السجود له منهمكة على عبادته وكانت أحسن أهل زمانها ذات حسن وجمال وبهاء وكمال فوصفتها لسليمان عليه السلام فأرسل إلى أبيها يقول له زوجني ابنتك واكسر صنمك العقيق واشهد أن لا إله إلا الله وأن سليمان نبي الله فإن أنت فعلت ذلك كان لك ما لنا وعليك ما علينا وإن أنت أبيت أتيتك بجنود لا طاقة لك بها، فاستعد للسؤال جواباً والبس للموت جلباباً فسوف أسير لك بجنود تملأ الفضاء وتدرك كالأمس الذي مضى، فلما جاءه رسول سليمان عليه السلام طغى وتجبر وتعاظم في نفسه. وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة السادسة والستين بعد الخمسمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن الملك تجبر وتعاظم في نفسه وتكبر ثم قال لوزرائه ماذا تقولون في أمر سليمان بن داود فإنه أرسل يطلب ابنتي وأن أكسر صنم العقيق، وأن أدخل في دينه فقالوا أيها الملك العظيم هل يقدر سليمان أن يفعل بك وأنت في وسط هذا البحر العظيم فإن هو سار إليك لايقدر عليك فإن مردة الجن يقاتلون معك وتستعين عليه بصنمك الذي تعبده فإنه يعينك وينصرك والصواب أن تشاور ربك في ذلك - يعنون به الصنم العقيق الأحمر - وتسمع ما يكون جوابه فإن أشار عليك أن تقاتله، فقاتله وإلا فلا، فعند ذلك سار الملك من وقته وساعته ودخل على صنمه بعد أن قرب القربان وذبح الذبائح وخر له ساجداً وجعل يبكي ويقول شعراً:

يا رب إني عارف بقدركا	وها سليمان يروم كسركـا
يا رب إني طالب لنصركا	فأمر فإنـي طائع لأمركـا

ثم قال ذلك العفريت الذي نصفه في العمود للشيخ عبد الصمد ومن حوله يسمع

فدخلت أنا في جوف الصنم من جهلي وقلة عقلي وعدم اهتمامي بأمر سليمان وجعلت أقول شعراً:

أما أنا فلست منه خائف — لأنــي بكل أمـر عـارف

وإن يرد حربي فإني زاحف — وإنني للروح منه خاطـف

فلما سمع الملك جوابي له قوي قلبه وعزم على حرب سليمان نبي الله عليه السلام وعلى مقاتلته، فلما حضر رسول سليمان ضربه ضرباً وجيعاً ورد عليه ردًّا شنيعاً وأرسل يهدده ويقول له مع الرسول: لقد حدثتك نفسك بالأماني أتوعدني بزور الأقوال، فإما أن تسير إلي وإما أن أسير إليك ثم رجع الرسول إلى سليمان وأعلمه بجميع ما كان من أمره وما حصل له.

فلما سمع نبي الله سليمان ذلك قامت قيامته وثارت عزيمته وجهز عساكره من الجن والإنس والوحوش والطير والهوام وأمر وزيره الدمرياط ملك الجن أن يجمع مردة الجن من كل مكان، فجمع له من الشياطين ستمائة ألف وأمر آصف بن برخيا أن يجمع عساكره من الإنس فكانت عدتهم ألف أو يزيدون وأعدوا العدة والسلاح، وركب هو وجنوده من الجن والإنس على البساط والطير فوق رأسه طائرة والوحوش من تحت البساط سائرة حتى نزل بساحتك وأحاط بجزيرتك وقد ملأ الأرض بالجنود.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

وفي الليلة السابعة والستين بعد الخمسمائة قالت: بلغني أيها الملك السعيد، أن العفريت قال لما نزل نبي الله سليمان عليه السلام بجيوشه حول الجزيرة أرسل إلى ملكنا يقول له: ها أنا قد أتيت فاردد عن نفسك ما نزل، وإلا فادخل تحت طاعتي وأقر برسالتي واكسر صنمك واعبد الواحد المعبود وزوجني ابنتك بالحلال وقل أنت ومن معك أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن سليمان نبي الله، فإن قلت ذلك كان لك الأمان والسلامة وإن أبيت فلا يمنعك تحصنك مني في هذه الجزيرة فإن الله تبارك وتعالى أمر الريح بطاعتي فأمرها أن تحملني إليك بالبساط وأجعلك عبرة ونكالاً لغيرك. فجاء

الرسول وبلغه رسالة نبي الله سليمان عليه السلام، فقال له: ليس لهذا الأمر الذي طلبه مني سبيل فأعلمه أني خارج إليه. فعاد الرسول إلى سليمان ورد عليه الجواب، ثم إن الملك أرسل إلى أرضه وجمع له من الجن الذين كانوا تحت يده ألف ألف، وضم إليهم غيرهم من المردة والشياطين الذين في جزائر البحار ورؤوس الجبال ثم جهز عساكره وفتح خزائن السلاح وفرقها عليهم.

أما نبي الله سليمان عليه السلام فإنه رتب جنوده وأمر الوحوش أن تنقسم شطرين على يمين القوم وعلى شمالهم وأمر الطيور أن تكون في الجزائر وأمرها عند الحملة أن تختطف أعينهم بمناقيرها، وأن تضرب وجوههم بأجنحتها وأمر الوحوش أن تفترس خيولهم فقالوا السمع والطاعة لله ولك يا نبي الله.

ثم إن سليمان نصب له سريراً من المرمر مرصَّعاً بالجوهر مصفحاً بصفائح الذهب الأحمر وجعل وزيره آصف بن برخيا على الجانب الأيمن ووزيره الدمرياط على الجانب الأيسر وملوك الإنس على يمينه وملوك الجن على يساره والوحوش والأفاعي والحيات أمامه، ثم زحفوا علينا زحفة واحدة وتحاربنا معه في أرض واسعة مدة يومين ووقع البلاء في الثالث فنفذ فينا قضاء الله تعالى وكان أول من حمل على سليمان أنا وجنودي، وقلت لأصحابي الزموا مواطنكم حتى أبرز إليهم وأطلب قتال الدمرياط وإذا به قد برز كأنه الجبل العظيم ونيرانه تلتهب ودخانه مرتفع فأقبل ورماني بشهاب من نار فغلب سهمه على ناري وصرخ صرخة عظيمة تخيلت منها أن السماء انطبقت علي واهتزت لصوته الجبال.

ثم أمر أصحابه فحملوا علينا حملة واحدة وحملنا عليهم وصرخ بعضنا على بعض وارتفعت النيران وعلا الدخان وكادت القلوب أن تنفطر وقامت الحرب على ساق، وصارت الطيور تقاتل في الهواء والوحوش تقاتل في الثرى، وأنا أقاتل الدمرياط حتى أعياني وأعييته.

ثم بعد ذلك ضعفت وخذلت أصحابي وجنودي وانهزمت عشائري وصاح نبي الله

سليمان هذا الجبار العظيم، فحملت الإنس على الإنس والجن على الجن ووقعت بملكنا الهزيمة وكنا لسليمان غنيمة، وحملت العساكر على جيوشنا والوحوش حولهم يميناً وشمالاً، والطيور فوق رؤوسنا تخطف أبصار القوم تارة بمخالبها، وتارة بمناقيرها، وتارة تضرب بأجنحتها في وجوه القوم والوحوش تنهش الخيول وتفترس الرجال، حتى أكثر القوم على وجه الأرض كجذوع النخل وأما أنا فطرت من بين أيادي الدمرياط فتبعني مسيرة ثلاثة أشهر حتى لحقني ووقعت كما ترون.

وأدرك شهرزاد الصباح فسكتت عن الكلام المباح.

ادعاء اليهود أن سليمان استخدم السحر في حكم مملكته وتكذيب الله عز وجل لهم في آية سورة البقرة

قال تعالى في سورة البقرة عن ادعاء اليهود وافتراءاتهم على سليمان عليه السلام:

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال القرطبي في تفسيره للآية:

﴿ وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ ﴾ هذا إخبار من الله تعالى عن الطائفة الذين نبذوا الكتاب بأنهم اتبعوا السحر أيضا، وهم اليهود. وقال السدي: عارضت اليهود محمدا صلى الله عليه وسلم بالتوراة فاتفقت التوراة والقرآن فنبذوا التوراة وأخذوا بكتاب آصف وبسحر هاروت وماروت.

وقال محمد بن إسحاق: لما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم سليمان في المرسلين قال بعض أحبارهم: يزعم محمد أن ابن داود كان نبيا ! والله ما كان إلا ساحرا، فأنزل

الله عز وجل: وما كفر سليمان ولكن الشياطين كفروا أي ألقت إلى بني آدم أن ما فعله سليمان من ركوب البحر واستسخار الطير والشياطين كان سحرا.

وقال الكلبي: كتبت الشياطين السحر والنيرنجيات على لسان آصف كاتب سليمان، ودفنوه تحت مصلاه حين انتزع الله ملكه ولم يشعر بذلك سليمان، فلما مات سليمان استخرجوه وقالوا للناس: إنما ملككم بهذا فتعلموه، فأما علماء بني إسرائيل فقالوا: معاذ الله أن يكون هذا علم سليمان! وأما السفلة فقالوا: هذا علم سليمان، وأقبلوا على تعلمه ورفضوا كتب أنبيائهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله عز وجل على نبيه عذر سليمان وأظهر براءته مما رمي به فقال: واتبعوا ما تتلو الشياطين. قال عطاء: تتلو تقرأ من التلاوة.

وقال ابن عباس: تتلو تتبع، كما تقول: جاء القوم يتلو بعضهم بعضا. وقال الطبري: اتبعوا بمعنى فضلوا.

وقال ابن كثير في تفسيره للآية:

وقال العوفي في تفسيره، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ وكان حين ذهب ملك سليمان ارتد فئام من الجن والإنس واتبعوا الشهوات، فلما رجع الله إلى سليمان ملكه، وقام الناس على الدين كما كان أوان سليمان، ظهر على كتبهم فدفنها تحت كرسيه، وتوفي سليمان، عليه السلام، حدثان ذلك، فظهر الإنس والجن على الكتب بعد وفاة سليمان، وقالوا: هذا كتاب من الله نزل على سليمان وأخفاه عنا فأخذوا به فجعلوه دينا. فأنزل الله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ كَأَنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠١] واتبعوا الشهوات، [أي]: التي كانت ﴿تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ﴾ وهي المعازف واللعب وكل شيء يصد عن ذكر الله.

وقال ابن أبي حاتم بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان آصف كاتب سليمان، وكان يعلم الاسم «الأعظم»، وكان يكتب كل شيء بأمر سليمان ويدفنه تحت كرسيه، فلما مات سليمان أخرجه الشياطين، فكتبوا بين كل سطرين سحرا وكفرا، وقالوا: هذا الذي كان سليمان يعمل بها. قال: فأكفره جهال الناس وسبوه، ووقف علماؤهم فلم يزل جهالهم يسبونه، حتى أنزل الله على محمد صلى الله عليه وسلم: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾.

وروى ابن جرير الطبري بسنده عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال: كان سليمان، عليه السلام، إذا أراد أن يدخل الخلاء، أو يأتي شيئا من نسائه، أعطى الجرادة وهي امرأة خاتمه. فلما أراد الله أن يبتلي سليمان، عليه السلام، بالذي ابتلاه به، أعطى الجرادة ذات يوم خاتمه، فجاء الشيطان في صورة سليمان فقال لها: هاتي خاتمي. فأخذه فلبسه. فلما لبسه دانت له الشياطين والجن والإنس. قال: فجاءها سليمان، فقال: هاتي خاتمي فقالت: كذبت، لست سليمان. قال: فعرف سليمان أنه بلاء ابتلي به.

قال: فانطلقت الشياطين فكتبت في تلك الأيام كتبا فيها سحر وكفر. ثم دفنوها تحت كرسي سليمان، ثم أخرجوها وقرؤوها على الناس، وقالوا: إنما كان سليمان يغلب الناس بهذه الكتب. قال: فبرئ الناس من سليمان، عليه السلام، وأكفروه حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأنزل عليه: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾.

ثم قال ابن جرير: حدثنا ابن حميد، حدثنا جرير، عن حصين بن عبد الرحمن، عن عمران، وهو ابن الحارث قال: بينا نحن عند ابن عباس رضي الله عنهما إذ جاء رجل فقال له: من أين جئت؟ قال: من العراق. قال: من أيه؟ قال: من الكوفة. قال: فما الخبر؟ قال: تركتهم يتحدثون أن عليا خارج إليهم (وكان قد استشهد). ففزع ثم قال: ما تقول؟ لا أبا لك! لو شعرنا ما نكحنا (ما تزوجنا) نساءه، ولا قسمنا ميراثه، أما إني سأحدثكم عن ذلك: إنه كانت الشياطين يسترقون السمع من السماء، فيجيء أحدهم بكلمة حق قد سمعها، فإذا جرب منه صدق كذب معها سبعين كذبة، قال: فتشربها

قلوب الناس. فأطلع الله عليها سليمان. عليه السلام، فدفنها تحت كرسيه. فلما توفي سليمان، عليه السلام، قام شيطان الطريق، فقال: أفلا أدلكم على كنزه الممنع الذي لا كنز له مثله؟ تحت الكرسي. فأخرجوه، فقالوا هذا سحره، فتناسخها الأمم حتى بقاياها ما يتحدث به أهل العراق وأنزل الله عز وجل ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا﴾.(1)

وقال السدي في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ أي: على عهد سليمان. قال: كانت الشياطين تصعد إلى السماء، فتقعد منها مقاعد للسمع، فيستمعون من كلام الملائكة مما يكون في الأرض من موت أو غيب أو أمر، فيأتون الكهنة فيخبرونهم. فتحدث الكهنة الناس فيجدونه كما قالوا. حتى إذا أمنتهم الكهنة كذبوا لهم. وأدخلوا فيه غيره، فزادوا مع كل كلمة سبعين كلمة، فاكتتب الناس ذلك الحديث في الكتب، وفشا في بني إسرائيل أن الجن تعلم الغيب. فبعث سليمان في الناس فجمع تلك الكتب فجعلها في صندوق. ثم دفنها تحت كرسيه. ولم يكن أحد من الشياطين يستطيع أن يدنوَ من الكرسي إلا احترق.

وقال: لا أسمع أحدا يذكر أن الشياطين يعلمون الغيب إلا ضربت عنقه. فلما مات سليمان، عليه السلام، وذهبت العلماء الذين كانوا يعرفون أمر سليمان، وخلف من بعد ذلك خلف تمثل شيطان في صورة إنسان، ثم أتى نفرا من بني إسرائيل، فقال لهم: هل أدلكم على كنز لا تأكلونه أبدا؟

قالوا: نعم. قال: فاحفروا تحت الكرسي. وذهب معهم وأراهم المكان، وقام ناحية، فقالوا له: فادن. قال لا ولكنني هاهنا في أيديكم، فإن لم تجدوه فاقتلوني. فحفروا فوجدوا تلك الكتب. فلما أخرجوها قال الشيطان: إن سليمان إنما كان يضبط الإنس والشياطين والطير بهذا السحر. ثم طار وذهب.

وفشا في الناس أن سليمان كان ساحرا. واتخذت بنو إسرائيل تلك الكتب، فلما جاء

١- رواه الحاكم في المستدرك.

محمد صلى الله عليه وسلم خاصموه بها؛ فذلك حين يقول الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾.

وقال الربيع بن أنس: إن اليهود سألوا محمدا صلى الله عليه وسلم زمانا عن أمور من التوراة، لا يسألونه عن شيء من ذلك إلا أنزل الله تعالى عليه ما سألوه عنه، فيخصمهم، فلما رأوا ذلك قالوا: هذا أعلم بما أنزل الله إلينا منا. وإنهم سألوه عن السحر وخاصموه به، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ﴾ وإن الشياطين عمدوا إلى كتاب فكتبوا فيه السحر والكهانة وما شاء الله من ذلك، فدفنوه تحت مجلس سليمان، وكان [سليمان] عليه السلام، لا يعلم الغيب.

فلما فارق سليمان الدنيا استخرجوا ذلك السحر وخدعوا الناس، وقالوا: هذا علم كان سليمان يكتمه ويحسد الناس عليه. فأخبرهم النبي صلى الله عليه وسلم بهذا الحديث فرجعوا من عنده وقد حزنوا، وأدحض الله حجتهم.

وقال مجاهد في قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ قال: كانت الشياطين تستمع الوحي فما سمعوا من كلمة [إلا] زادوا فيها مائتين مثلها. فأرسل سليمان، عليه السلام، إلى ما كتبوا من ذلك. فلما توفي سليمان وجدته الشياطين فعلمته الناس [به] وهو السحر.

وقال سعيد بن جبير: كان سليمان، عليه السلام، يتتبع ما في أيدي الشياطين من السحر فيأخذه منهم، فيدفنه تحت كرسيه في بيت خزانته، فلم يقدر الشياطين أن يصلوا إليه، فدبت إلى الإنس، فقالوا لهم: أتدرون ما العلم الذي كان سليمان يسخر به الشياطين والرياح وغير ذلك؟ قالوا: نعم. قالوا: فإنه في بيت خزانته وتحت كرسيه. فاستثار به الإنس واستخرجوه فعملوا بها. فقال أهل الحجا: كان سليمان يعمل بهذا وهذا سحر. فأنزل الله تعالى على [لسان] نبيه محمد صلى الله عليه وسلم براءة سليمان

عليه الصلاة والسلام، فقال: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾.

وقال محمد بن إسحاق بن يسار: عمدت الشياطين حين عرفت موت سليمان بن داود، عليه السلام فكتبوا أصناف السحر: «من كان يحب أن يبلغ كذا وكذا فليقل كذا وكذا». حتى إذا صنفوا أصناف السحر جعلوه في كتاب. ثم ختموا بخاتم على نقش خاتم سليمان، وكتبوا في عنوانه: «هذا ما كتب آصف بن برخيا الصديق للملك سليمان ابن داود، عليهما السلام من ذخائر كنوز العلم». ثم دفنوه تحت كرسيه واستخرجته بعد ذلك بقايا بني إسرائيل حتى أحدثوا ما أحدثوا. فلما عثروا عليه قالوا: والله ما كان سليمان بن داود إلا بهذا. فأفشوا السحر في الناس [وتعلموه وعلموه]. وليس هو في أحد أكثر منه في اليهود لعنهم الله. فلما ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما نزل عليه من الله، سليمان بن داود، وعده فيمن عده من المرسلين، قال من كان بالمدينة من يهود: ألا تعجبون من محمد! يزعم أن ابن داود كان نبيا، والله ما كان إلا ساحرا. وأنزل الله [في] ذلك من قولهم: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَـٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَـٰنَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَـٰنُ وَلَـٰكِنَّ ٱلشَّيَـٰطِينَ كَفَرُوا۟﴾ الآية.

وقال ابن جرير: حدثنا القاسم، حدثنا حُسَيْن، حدثنا الحجاج عن أبي بكر، عن شَهْر ابن حَوْشَب، قال: لما سلب سليمان، عليه السلام، ملكه، كانت الشياطين تكتب السحر في غيبة سليمان. فكتبت: «من أراد أن يأتي كذا وكذا فليستقبل الشمس، وليقل كذا وكذا، ومن أراد أن يفعل كذا وكذا فليستدبر الشمس وليقل كذا وكذا. فكتبته وجعلت عنوانه: هذا ما كتب آصف بن برخيا للملك سليمان [بن داود] من ذخائر كنوز العلم». ثم دفنته تحت كرسيه. فلما مات سليمان، عليه السلام، قام إبليس، لعنه الله، خطيبا، [ثم] قال: يا أيها الناس، إن سليمان لم يكن نبيا، إنما كان ساحرا، فالتمسوا سحره في متاعه وبيوته.

ثم دلهم على المكان الذي دفن فيه. فقالوا: والله لقد كان سليمان ساحرا! هذا سحره، بهذا تعبدنا، وبهذا قهرنا.

وقال المؤمنون: بل كان نبيا مؤمنا.

فلما بعث الله النبي صلى الله عليه وسلم جعل يذكر الأنبياء حتى ذكر داود وسليمان. فقالت اليهود [لعنهم الله] انظروا إلى محمد يخلط الحق بالباطل. يذكر سليمان مع الأنبياء. إنما كان ساحرا يركب الريح، فأنزل الله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ﴾ الآية.

وقال ابن جرير: حدثنا محمد بن عبد الأعلى الصنعاني، قال: حدثنا المعتمر بن سليمان، قال: سمعت عمران بن حدير، عن أبي مجلز، قال: أخذ سليمان، عليه السلام، من كل دابة عهدا، فإذا أصيب رجل فسأل بذلك العهد، خلى عنه. فزاد الناس السجع والسحر، وقالوا: هذا يعمل به سليمان. فقال الله تعالى: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله بعد ذلك:

فهذه نبذة من أقوال أئمة السلف في هذا المقام، ولا يخفى ملخص القصة والجمع بين أطرافها، وأنه لا تعارض بين السياقات على اللبيب الفهم، والله الهادي.

وقول الحسن البصري، رحمه الله: «قد كان السحر قبل زمان سليمان بن داود» صحيح لا شك فيه؛ لأن السحرة كانوا في زمان موسى، عليه السلام، وسليمان بن داود بعده، كما قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِن كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا ۖ قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ﴾ الآية [البقرة: ٢٤٦]، ثم ذكر القصة بعدها، وفيها: ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ٢٥١]. وقال قوم صالح وهم قبل إبراهيم الخليل، عليه السلام، لنبيهم صالح: ﴿قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ﴾ [الشعراء: ١٥٣] أي: [من] المسحورين على المشهور.

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٌ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ﴾ اختلف الناس في هذا المقام، فذهب بعضهم إلى أن «ما» نافية، أعني التي في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ قال القرطبي: «ما» نافية ومعطوفة على قوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ﴾ ثم قال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ﴾ أي: السحر ﴿عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ وذلك أن اليهود لعنهم الله كانوا يزعمون أنه نزل به جبريل وميكائيل فأكذبهم الله في ذلك وجعل قوله: ﴿هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ بدلا من: ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ﴾ قال: وصح ذلك، إما لأن الجمع قد يطلق على الاثنين كما في قوله: ﴿فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٌ﴾ [النساء : ١١] أو يكون لهما أتباع، أو ذكرا من بينهم لتمردهما، فتقدير الكلام عنده: تعلمون الناس السحر ببابل، هاروت وماروت. ثم قال: وهذا أولى ما حملت عليه الآية وأصح ولا يلتفت إلى ما سواه.

وروى ابن جرير بإسناده من طريق العوفي، عن ابن عباس، في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَ﴾ يقول: لم ينزل الله السحر. وبإسناده، عن الربيع بن أنس، في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ﴾ قال: ما أنزل الله عليهما السحر.

قال ابن جرير: فتأويل الآية على هذا: واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان من السحر، وما كفر سليمان، ولا أنزل الله السحر على الملكين، ولكن الشياطين كفروا يعلمون الناس السحر ببابل، هاروت وماروت. فيكون قوله: (ببابل هاروت [وماروت]) من المؤخر الذي معناه المقدم. قال: فإن قال لنا قائل: وكيف وجه تقديم ذلك؟ قيل: وجه تقديمه أن يقال: (واتبعوا ما تتلو الشياطين على ملك سليمان) «من السحر» (وما كفر سليمان) وما أنزل الله «السحر» على الملكين، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ﴾ ببابل وهاروت وماروت فيكون معنيا بالملكين: جبريل وميكائيل، عليهما السلام؛ لأن سحرة اليهود فيما ذكر كانت تزعم أن الله أنزل السحر

على لسان جبريل وميكائيل إلى سليمان بن داود، فأكذبهم الله بذلك، وأخبر نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم أن جبريل وميكائيل لم ينزلا بسحر، وبرأ سليمان، عليه السلام، مما نحلوه من السحر، وأخبرهم أن السحر من عمل الشياطين، وأنها تعلم الناس ذلك ببابل، وأن الذين يعلمونهم ذلك رجلان، اسم أحدهما هاروت، واسم الآخر ماروت، فيكون هاروت وماروت على هذا التأويل ترجمة عن الناس، وردا عليهم.

وقد قال ابن أبي حاتم: حُدثت عن عبيد الله بن موسى، أخبرنا فضيل بن مرزوق، عن عطية ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ قال: ما أنزل الله على جبريل وميكائيل السحر.

حدثنا الفضل بن شاذان، حدثنا محمد بن عيسى، حدثنا يعلى يعني ابن أسد حدثنا بكر يعني ابن مصعب حدثنا الحسن بن أبي جعفر: أن عبد الرحمن بن أبزى كان يقرؤها: «وما أنزل على الملكين داود وسليمان».

وقال أبو العالية: لم ينزل عليهما السحر، يقول: علما الإيمان والكفر، فالسحر من الكفر، فهما ينهيان عنه أشد النهي. رواه ابن أبي حاتم.

ثم شرع ابن جرير في رد هذا القول، وأن «ما» بمعنى الذي، وأطال القول في ذلك، وادعى أن هاروت وماروت ملكان أنزلهما الله إلى الأرض، وأذن لهما في تعليم السحر اختبارا لعباده وامتحانا، بعد أن بين لعباده أن ذلك مما ينهى عنه على ألسنة الرسل، وادعى أن هاروت وماروت مطيعان في تعليم ذلك؛ لأنهما امتثلا ما أمرا به.

وهذا الذي سلكه غريب جدا ! وأغرب منه قول من زعم أن هاروت وماروت قبيلان من الجن، كما زعمه ابن حزم الأندلسي.

وروى ابن أبي حاتم بإسناده. عن الضحاك بن مزاحم: أنه كان يقرؤها: (وما أنزل على الملِكين) ويقول: هما علجان من أهل بابل. (١)

ووجه أصحاب هذا القول الإنزال بمعنى الخلق، لا بمعنى الإيحاء، في قوله: ﴿وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ﴾ كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦]،

١ – اقرأ كتابنا هاروت وماروت بين الحقيقة والخرافة، الناشر: دار الكتاب العربي.

﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، ﴿وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ رِزْقًا﴾ [غافر: ١٣]. وفي الحديث: «ما أنزل الله داء إلا أنزل له دواء». وكما يقال: أنزل الله الخير والشر.

وحكى القرطبي عن ابن عباس وابن أبزى والضحاك والحسن البصري: أنهم قرءوا: «وما أنزل على الملِكين» بكسر اللام. قال ابن أبزى: وهما داود وسليمان. قال القرطبي: فعلى هذا تكون «ما» نافية أيضا، ولكن الآية قد ذكرت اسم الملكين هاروت وماروت وليس سليمان وداود.

وذهب آخرون إلى الوقف على قوله: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ﴾ [و «ما» نافية] قال ابن جرير: حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرنا الليث، عن يحيى بن سعيد، عن القاسم بن محمد، وسأله رجل عن قول الله تعالى: ﴿يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾ قال الرجل: يعلمان الناس السحر، ما أنزل عليهما أو يعلمان الناس ما لم ينزل عليهما؟ فقال القاسم: ما أبالي أيتهما كانت.

وذهب كثير من السلف إلى أنهما كانا ملكين من السماء، وأنهما أنزلا إلى الأرض، فكان من أمرهما ما كان. وقد ورد في ذلك حديث مرفوع رواه الإمام أحمد في مسنده. وعلى هذا فيكون الجمع بين هذا وبين ما ثبت من الدلائل على عصمة الملائكة أن هذين سبق في علم الله لهما هذا، فيكون تخصيصا لهما، فلا تعارض حينئذ، كما سبق في علمه من أمر إبليس ما سبق، وفي قول: إنه كان من الملائكة، لقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ﴾ [طه: ١١٦]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ذلك. مع أن شأن هاروت وماروت على ما ذكر أخف مما وقع من إبليس لعنه الله.

وقد حكاه القرطبي عن علي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وكعب الأحبار، والسدي، والكلبي. والله أعلم بحقيقة الحال.

ذكر مملكة إسرائيل المزعومة من النيل للفرات في العهد القديم

ذكر العهد القديم [١] أن عهد سليمان عليه السلام كان يمتاز بالرخاء التجاري وأنه سيطر على الطرق في سوريا وفلسطين وعلى الطريق المؤدي إلى البحر الأحمر، ومن أعماله التي قام بكثير منها بالاشتراك مع الفينيقيين، رحلة إلى «أوفير» التي ربما وجدت على ساحل الصومال، وادّعى كتبة العهد القديم (التوراة) أن سليمان حاول إقامة سفن له في ميناء عصيون جابر «إيلات حالياً» على شاطىء البحر الأحمر الواقعة ضمن أراضي الآدوميين، كما أرسل قوافل برية بمشاركة صديقه الملك حيرام الفينيقي ملك صور، وذكروا أن حيرام ساعد في بناء الهيكل، إذ أرسل له العمال المهرة لبناء هذا الهيكل حيث تفتقد إسرائيل لهم، وبذا انتقل بنو إسرائيل من عبادة «يهوه» في خيمة متنقلة، إلى عبادته في هيكل حجري، كما يزعمون.

وذكر العهد القديم أن بناء الهيكل قد استغرق سبع سنوات، وعمل فيه قرابة الثلاثين ألفاً من العمال، الذين نقلوا خشب الأرز من فينيقيا عبر البحر إلى شاطىء يافا، كما جاء المهندسون والبناءون المهرة والنجارون من «صور» لبناء الهيكل؛ وبذا كان الإشراف على البناء فينيقيًّا، وغالبية العمال كانوا من الكنعانيين، وكان التصميم داخل الهيكل وكذلك النقوش كنعانية، وفي الصلوات كانت الطقوس أيضاً كنعانية.

---

١ - العهد القديم (التوراة) سفر الملوك الأول.

وذكروا أيضاً أن سليمان عليه السلام قد كافأ حيرام على خدماته الضخمة له في بناء الهيكل وقصره الذي استغرق بناؤه ثلاث عشرة سنة - مكافأة عبارة عن تنازله له عن عشرين مدينة كنعانية في الجليل الأعلى شرقي عكا.

وكل هذه الروايات لا أساس لها ولاتصح ولا أسانيد تاريخية لها، وحاول علماء اللاهوت والأثريون إثبات ذلك بالبحث والتنقيب فلم يعثروا على أي دليل يثبت ما ذكره كتاب العهد القديم.

وذكر العهد القديم أن الملك سليمان عمل على تأمين عرشه في الداخل، باتباع سياسة تفتيت أي تحالف قد يقوم بين القبائل الإسرائيلية التي طمحت إلى التمتع بنوع من الحكم الديمقراطي، كما وضع الحواجز بين الحدود بينها لخلق مشكلة من شأنها التفرقة بين هذه القبائل وتلهيها عن الانتباه لتصرفاته بما يرتكبه من مخالفات شرعية، فعمل على تقسيم المملكة إلى اثنتي عشرة محافظة على رأس كل منها وكيل مهمته جمع الضرائب التي يحتاج إليها كما فرض على كل وكيل إعاشة الملك وحاشيته وجيشه وخيله شهراً، وأكثر سليمان من بناء المباني الحكومية والملكية.

وذكروا أنه أرهق الشعب الإسرائيلي جراء ذلك بالضرائب للحصول على الأموال اللازمة له وحاشيته مما أدى للثورة عليه في نهاية ملكه.

حيث تمرد عليه أحد أتباعه أو عبده يربعام بن بناط الذي طمع في الملك وعندما فشل في مسعاه لجأ «يربعام» إلى فرعون مصر «شيشنق» الذي رحب به، فكان ذلك سبباً لانقسام بني إسرائيل فيما بعد وبداية لأفول مجدهم وعزهم الذي لم يدم أكثر من سبعين سنة أو أقـــل، وهذا ما ينفي قطعيًّا أن سليمان قد تزوج من ابنته.

حاول سليمان الملك تقليد الإمبراطوريات المحيطة به، والتي كان للمركبات فيها دور كبير في الحرب، ورغم أنه لم يحارب قط، فقد بنى لنفسه إسطبلات واسعة لخيول مركباته الحربية في مدينة مجدو، وذلك لمجرد الأبهة، وقد ألقت بعثات الحفائر الأمريكية

في مدينة «مجدو» القديمة الضوء على هذه الإسطبلات، فلقد عثر المكتشفون وخاصة ما قام به «جاى» على بقايا إسطبلات الخيول والتي كانت دائماً تنتظم حول فناء دائري مبلط بملاطٍ من الحجر الجيري وما يزال الكثير من هذه الإسطبلات محتفظاً بمعالف طعام الخيل، كما لا تزال أجزاء من معدات السقي ظاهرة، كما تدل فخامة الاصطبلات والعناية الشديدة التي بذلت بوفرة في المباني والخدمات على أن الخيل كانت مرغوباً فيها في تلك الأيام، وعندما تم الكشف عن المبنى بأكمله، قدر بعض الباحثين لكل إسطبل ٤٥٠ حصاناً، ولكل حظيرة ١٥٠ عربة، هذا وقد كُشفت نظائر لهذه الإسطبلات في بيت شان وحاصور وتعنك.

وذكر العهد القديم أيضاً أن مملكة سليمان انقسمت بعد وفاته إلى مملكتين إحداهما في الشمال والأخرى في الجنوب (مملكة إسرائيل ومملكة يهوذا).

ويشرح «ويلز» [١] كيفية تصوير كتبة التوراة لمملكة سليمان في صورة تفوق الواقع بكثير قال: «من الخير ألاَّ تغيب عن بالنا التقديرات النسبية للأمور، فسليمان وهو في أوج مجده ليس إلا ملكاً صغيراً يحكم مدينة صغيرة، وكانت دولته من الهزال وسرعة الزوال بحيث إنه لم تنقض بضعة أعوام على وفاته حتى استولى شيشنق أول فراعنة الأسرة الثانية والعشرين على أورشليم، ونهب معظم ما فيها من الكنوز، ويقف كثير من النقاد موقف المستريب إزاء قصة مجد سليمان التي توردها أسفار الملوك والأيام، وهم يقولون إن الكبرياء القومي لدى كتاب متأخرين هو الذي دعاهم إلى إضافة أشياء إلى القصة والمبالغة فيها».

فضلاً عن ذلك، فالتوراة تشير إلى أن سيطرة داود امتدت إلى نهر الفرات، ولاشك أن هذا الادعاء مستبعد كلياً، ويُعد من قبيل المبالغة والخيال شأنه شأن الإسهاب في وصف منشآت سليمان بمنتهى الضخامة والفخامة.

والمصدر الوحيد الذي تحدث عن أعمال داود وسليمان وعن دورهما السياسي

١- كتاب معالم تاريخ الإنسانية، المؤرخ ويلز.

والعمراني في أرض كنعان هو التوراة فقط، إذ لم يعثر الأثريون على أي أثر من هذا الدور، ومعلوم أن التوراة - كما سبق وأشرنا مراراً - كُتبت في وقتٍ لاحق وكُتب أكثرها أثناء السبي البابلي وسط المحيط البابلي السومري الذي اعتاد أهله وصف أعمال الآلهة الخارقة العادة على نمط الأساطير الخيالية للتأثير بها على نفوس الجماهير، مما أدى إلى تقليد كتبة التوراة للأقوام الذين عاشوا بينهم، فوصفوا عظمة داود وسليمان على طريقة كتابة الأساطير البابلية والسومرية والكنعانية في وصف خوارق آلهتهم، ووصف التوراة لعظمة دولة سليمان واتساع حدودها حشو لا يعدو أسلوب المبالغة الذي اعتاده أقوام تلك العصور.

وعن وجود مملكة إسرائيل من النيل للفرات يقول د. أحمد سوسة: إن هذه الدولة لم توجد لعدة أسباب منها: أن اللغة التي تكلم بها داود وسليمان هي اللغة الكنعانية حيث لم يكن قد توافر لبني إسرائيل أي مقومات قومية وثقافية أو حتى حضارة خاصة بهم، بل كانت حضارتهم قائمة على تراث كنعاني بحت.

أما اللهجة العبرية المقتبسة من الآرامية التي تم بها كتابة التوراة في الأَسْر لم تظهر إلاَّ في وقتٍ متأخر، أي بعد عصر داود وسليمان وهذا يعني أن كتابة العهد القديم لم يكن قد ظهر إلى الوجود في ذلك الزمن. أما المزامير التي ترجع إلى عهد داود وأمثال سليمان فهي من أصل كنعاني، وكانت تُتلى آنذاك باللغة الكنعانية وعلى الطريقة الدينية الكنعانية، ثم قام الكهنة اليهود بترجمتها فيما بعد إلى العبرية وعُدت من الأسفار المقدَّسة في التوراة، وهذا كله يثبت أن فلسطين بقيت كنعانية في ثقافتها وحضارتها ولغتها زمن داود وسليمان في القرن العاشر قبل الميلاد، وأن دويلة داود وسليمان لم تكن إلاَّ دويلة قائمة على تراث كنعاني بحت تمثل أقلية صغيرة بين دويلات عـريقة في حضارتها السامية العربية تحيط بها من جميع أطرافها، وتؤكد التوراة أن مملكة سليمان كانت مملكة وقتية آلت إلى الزوال بعيد وفاته.(١)

١- العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة.

ويذهب بعض الباحثين أن قصة سليمان وداود في العهد القديم مأخوذة من حياة الفرعون المصري «أمنوحتب الثالث» من ناحية عدد الزيجات وتعدد الاعتقادات وأعمال البناء، فأمنوحتب الثالث - تاسع ملوك الأسرة ١٨، الذي حكم نحو ٣٩ عاماً عند بداية القرن ١٤ ق.م. - كان كثير الزيجات بسبب السلام الذي ساد عصره، كما استغل الثراء الذي وصلت إليه مصر في أعمال البناء سواء في مصر أو في بلاد سورية وكنعان، فشيّد المعابد والقصور والمدن المحصنة وكان لوجود عدد كبير من أسرى الحروب آنذاك أثر فعال في زيادة القوى العاملة التي استخدمت في أعمال قطع الحجارة و البناء.

وقد ذكر العهد القديم أن سليمان في أواخر أيامه غضب عليه الرب لأنه عبد آلهة زوجاته أي أنه أشرك بالله بسبب ميله لزوجاته الأجنبيات.

وليس التشابه بين أمندحتوب الثالث وسليمان في كثرة الزيجات وزوجاته الأجنبيات أو تعدد اعتقاداته الدينية في آخر أيامه فحسب، بل بأعمال البناء التي قام بها أمنوحتب الثالث في كل المواقع التي جاء ذكرها في قصة سليمان، فبينما لم يتم العثور على آية بقايا لهذه المباني تعود إلى القرن العاشر ق.م.، القرن الذي عاش فيه سليمان، نجد الأدلة كلها تؤكد أن هذه الأعمال نفسها تمت قبل عصر سليمان بنحو أربعة قرون، أي في عصر أمنوحتب الثالث.

ومن هذا يتضح سرقة اليهود للتاريخ الفرعوني ونسبته إليهم وهذا ليس بمستغرب عنهم، فقد كانت توجد حامية مصرية شمالي قلعة القدس وتشير الدلائل إلى أن الفرعون المصري ابتنى هناك معبداً، كما تتفق التفاصيل التي وردت في القصة مع أشكال المعابد المصرية التي أنشأها الفرعون في بيسان ومجدو وحاصور.

وأكدت البعثة الأمريكية التي قامت بالكشف عن القصر الذي بناه أمنوحتب الثالث غربي الأقصر، أنه كان مكوناً من البيوت نفسها التي ورد ذكرها في قصة سليمان.

وأما عن ذكرهم أيضاً أن سليمان تزوج من ابنة فرعون مصر شيشنق، نجد التاريخ

المصري القديم لا يذكر أي شيء عن هذا الزواج، وكل ما أكدته هذه المصادر هو أن شيشنق خرج إلى فلسطين، وهزم عدداً من ممالكها، ولكن لا ذكر لسليمان ولا لإمبراطوريته بل توجد رواية تقول أن شيشنق دخل القدس واستولى على أوانيها الذهبية الموجودة في معبدها، فالفراعنة منعوا زواج بناتهم من الملوك الأجانب، لأنهن حسب النظام الفرعوني آلهة، وهذا هو الأصح كما ذكر ذلك الباحثون في التاريخ القديم.[١]

١- انظر تاريخ اليهود، د. أحمد عثمان. وتاريخ العرب واليهود، د. أحمد سوسة. وإسرائيل عبر التاريخ، د. فؤاد حسنين علي.

5

سليمان والهيكل

- المسجد الأقصى والهيكل اليهودي الماسوني.
- ظهور أسطورة الهيكل السليماني وترسيخها في العقيدة اليهودية.
- المسجد الأقصى وأهم معالمه بعد الفتح الإسلامي له.
- محاولات اليهود بناء الهيكل في العصر الحديث ومقترحات البناء في ساحة المسجد الأقصى.

المسجد الأقصى والهيكل اليهودي الماسوني

هناك فرق بين المسجد الأقصى والهيكل المزعوم الذي ينسبه اليهود الماسوني لسيدنا سليمان عليه السلام، فقد نسج اليهود في العصور المتأخرة أباطيل حول وجود هيكل بناه سليمان عليه السلام مكان المسجد الأقصى في القدس العربية.

والمسجد الأقصى يقع داخل المدينة القديمة للقدس العربية في فلسطين العربية وهو اسم لكل ما هو موجود من أراضٍ ومبانٍ ومساجدَ داخل السور الواقع أقصى الزاوية الجنوبية الشرقية من القدس القديمة وهو يشمل على مسجد قبة الصخرة والجامع القبلي وليس كما يظن البعض أن المسجد الأقصى هو مسجد قبة الصخرة [1] فقط أو ما يعرف بالمسجد الأقصى (القبلي) والهيكل السليماني المزعوم من وجهة نظر الماسون اليهود يعني البيت المقدس أو البيت الكبير وبالعبرية بيت «همقداش» ومن أسماء الهيكل عندهم «يهوه» وهو إله أو رب اليهود وبالتالي فهو عندهم بيت الإله وأعد أساساً ليكون مسكناً للإله كما جاء في سفر الملوك الإصحاح الثامن ١٢ - ١٣.

ويزعم اليهود أن الهيكل بناه سليمان عليه السلام في الفترة ٩٦٠ - ٩٥٣ قبل الميلاد وأنه بناه فوق جبل موريا وهو جبل بيت المقدس أي مكان ساحة المسجد الأقصى ويسمي اليهود هذا الجبل بجبل الهيكل.

وقد هدم الهيكل كما يزعم اليهود على يد الملك البابلي بختنصر ٥٨٦ ق.م ثم أعاد اليهود بناءه في ٥٢٠ - ٥١٥ ق.م ثم هدم على يد القائد الروماني طيطس بعد الميلاد

١ - الذي بناه الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان.

عام ٧٠م ويسعى اليهود الماسون لإعادة بناء الهيكل الماسوني مع قدوم المسيح الدجال.

ونحن نرى أنه هناك إشكالية في المسمى، فالتاريخ الديني والإنساني لا يعرف ما يعرف بالهيكل وإنما يعرف اسم المسجد الأقصى الذي تم بناؤه قبل سليمان عليه السلام بأكثر من ألف سنة حيث أنه بني بعد بناء المسجد الحرام (الكعبة) بأربعين سنة ومن المعلوم أن الذي بنى المسجد الحرام هو سيدنا إبراهيم عليه السلام وفي رواية أخرى سيدنا آدم عليه السلام وفي كل الأمرين فتم بناؤه قبل سليمان عليه السلام بزمن بعيد.

وأما مسمى الهيكل فهو يطلق على مكان عبادة وتقديس لدى الماسونيين تجرى فيه طقوسهم وأراد اليهود الماسون إصباغ الصبغة الدينية على هيكلهم المزعوم وادعوا أن سليمان عليه السلام قام ببناء هذا الهيكل داخل المسجد الأقصى، لأن المسجد الأقصى هو ساحة من الأرض بها سور ويوجد داخلها مبانٍ كثيرة حالياً مثل مسجد قبة الصخرة والمسجد القبلي (المسجد الأقصى).

وبالتالي القول بوجود هيكل أول أو ثان كان تحت الأقصى المبارك ما هو إلا أسطورة وزعم كاذب عن سبق إصرار يهدف إلى تأسيس حق سياسي باطل لليهود في الحرم الأقصى المبارك !!

ماروواه البخاري في صحيحه: «عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: المسجد الحرام، قلت: ثم أي؟ قال: المسجد الأقصى، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصلّ، فإن الفضل فيه».

والحديث يوضح أن بناء المسجد الأقصى جاء بعد بناء المسجد الحرام بأربعين عاماً، فمتى تم بناء المسجد الحرام ومن بناه؟

هناك روايات تؤكد أن أول من بنى المسجد الحرام هو آدم عليه السلام، وعليه فإن أول بناء كان للمسجد الأقصى على عهد آدم عليه السلام، أو في عهد أبنائه. قال ابن حجر: «فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم ثم انتشر ولده في الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس».

وقال ابن حجر: «وقد وجدت ما يشهد ويؤيد قول من قال: إن آدم هو الذي أسس كلا من المسجدين، فذكر ابن هشام في كتاب «التيجان» أن آدم لما بنى الكعبة أمره الله بالسير إلى بيت المقدس، وأن يبنيه، فبناه ونسك فيه»، وهذا يعني أن المسجد الأقصى بني قبل إبراهيم وداود وسليمان عليهم السلام.

وهذا يعني أن المسجد الأقصى كان أول بناء بني في كل أرض الشام بشكل عام وكان أول بناء بني على أرض القدس الشريف بشكل خاص، وهذا يعني أن المسجد الأقصى بني في القدس الشريف قبل وجود أي كنيس أو كنيسة أو مسجد فيها، وهذا يعني أن المسجد الأقصى كان قبل وجود تاريخ بني إسرائيل بشكل عام وكان قبل وجود قبيلة يهودا وتاريخ اليهود بشكل خاص، وهذا يعني أن المستحيل في تفكير كل عاقل أن يكون هناك بناء حجر أو بناء كان تحت المسجد الأقصى.

وهناك ما يرى أن سيدنا إبراهيم عليه السلام هو الذي قام ببناء المسجد الأقصى بعد أن قام ببناء الكعبة المشرفة كما جاء ذكر ذلك في القرآن.

و المسجد الأقصى هو واحد من أكثر المعالم قدسية عند المسلمين، فهو أولى القبلتين في الإسلام.

وقد ذكر في القرآن حيث قال: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الإسراء: ١] وهو أحد المساجد الثلاثة التي تشد الرحال إليها، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا تشدُّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا (المسجد النبوي)، ومسجد الأقصى.[١]

وقد ذكر الامام القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن: «واختلف في أول من أسس بيت المقدس، فروي أن أول من بنى البيت - يعني البيت الحرام - آدم عليه السلام، فيجوز أن يكون ولده وضع بيت المقدس من بعده بأربعين عاماً، ويجوز أن

١ - متفق عليه.

تكون الملائكة أيضاً بنته بعد بنائها البيت بإذن الله، وكل محتمل والله أعلم.

وقال ابن حجر في الفتح، كتاب أحاديث الأنبياء: «إن أول من أسس المسجد الأقصى آدم عليه السلام، وقيل الملائكة، وقيل سام بن نوح عليه السلام، وقيل يعقوب عليه السلام، ثم قال: وقد وجدت ما يشهد ويؤيد قول من قال: إن آدم عليه السلام هو الذي أسس كلا المسجدين، فذكر ابن هشام في «كتاب التيجان» أن آدم لما بنى الكعبة أمره الله بالسير إلى بيت المقدس، وأن يبنيه، فبناه ونسك فيه.

وذكر في موضع آخر أن ابن الجوزي ذكر في قول النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أربعون سنة» إشكالاً لأن إبراهيم - عليه السلام - بنى المسجد الحرام وسليمان بنى بيت المقدس وبينهما أكثر من ألف سنة، ثم أجاب ابن الجوزي عن هذا الإشكال بقوله: إن الإشارة إلى أول البناء ووضع أساس المسجد، وليس إبراهيم - عليه السلام - أول من بنى الكعبة، ولا سليمان أول من بنى بيت المقدس، ثم قال ابن الجوزي: «فقد روينا أن أول من بنى الكعبة آدم، ثم انتشر ولده في الأرض، فجائز أن يكون بعضهم قد وضع بيت المقدس، ثم بنى إبراهيم -عليه السلام- الكعبة بنص القرآن، وكذا قال القرطبي: إن الحديث لا يدل على أن إبراهيم وسليمان لما بنيا المسجدين ابتدأ وضعهما لهما، بل ذلك تجديد لما كان أسسه غيرهما.

وذكر ابن كثير في البداية والنهاية: أنه في عهد يعقوب بن إسحق - عليهما السلام- أعيد بناء المسجد بعد أن هرم بناء إبراهيم -عليه السلام-، وذكر شهاب الدين المقدسي في مثير الغرام: وكان هذا البناء تجديداً.

ثم جدد بناءه سليمان عليه السلام، ووسعه. كما في سنن النَّسائي وابن ماجه وغيرهما من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس، سأل الله ثلاثاً: حكماً يصادف حكمه، وملكاً لا ينبغي لأحد من بعده، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «أما اثنتان فقد أعطيهما، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة».

قال النووي في شرح مسلم: ورد أن واضع المسجدين آدم - عليه السلام - وبه يندفع الإشكال بأن إبراهيم بنى المسجد الحرام، وسليمان بنى بيت المقدس، وبينهما أكثر من أربعين عاماً، بلا ريب فإنما هما مجددان.

وقال القرطبي (في تفسيره الجامع لأحكام القرآن): «إن الآية أي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ﴾ [البقرة : ١٢٧]، والحديث - ويقصد بذلك الحديث الذي رواه النسائي، لا يدلان على أن إبراهيم وسليمان - عليهما السلام- ابتدآ وضعهما، بل كان تجديداً لما أسس غيرهما».

وقال البغوي في تفسيره: «قالوا: فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزاه بختنصر، فخرب المدينة، وهدمها ونقض المسجد، وأخذ ما كان في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدرِّ والياقوت وسائر الجواهر، فحمله إلى دار مملكته من أرض العراق».

ظهور أسطورة الهيكل السليماني وترسيخها في العقيدة اليهودية

يقول عبد الرحمن بن خلدون في مقدمته «أراد داود عليه السلام بناء مسجده على الصخرة فلم يتم له ذلك وعهد به إلى ابنه سليمان فبناه لأربع سنين من ملكه ولخمسمائة سنة من وفاة موسى عليه السلام واتخذ عمده من الصفر وجعل به صرح الزجاج «انه صرح ممرد من قوارير» وغشى أبوابه وحيطانه بالذهب وصاغ هياكله وتماثيله ومنارته ومفتاحه من الذهب وجعل في ظهره قبرا ليضع فيه تابوت العهد وهو التابوت الذي فيه الألواح وجاء به من صهيون بلد أبيه داود تحمله الاسباذ والكهونيه حتى وضعه في القبر ووضعت القبة والأوعية والمذبح كل واحد حيث أعدله من المسجد.

ولم تستمر الدولة العبرية التي أقامها داود وسليمان في القدس طويلا، فقد انقسمت في عهد أبناء سليمان إلى مملكتين هما إسرائيل ويهوذا، التي اتخذت من القدس عاصمة لها، وتعرضت المملكتين للتدمير الشامل على يد الآشوريين في القرن الثامن قبل الميلاد، والذين أسروا سكانها اليهود فيما عرف باسم «السبي الأول» ثم على يد البابليين بقيادة بيختنصر عام ٥٨٧ ق.م، والذي حطم مدينة القدس وأخرج اليهود منها وأخذهم إلى بابل كأسرى وهو ما يعرف بالسبي الثاني كما ذكرنا ذلك من قبل.[١]

وعبر القرون توالت الفتاوى حول ضرورة بناء الهيكل، والذي أصّل لذلك الطبيب

١ - قبل أن يهدم الأقصى، عبد العزيز مصطفى.

اليهودي موسى بن ميمون أثناء وجوده في البلاط الأندلسي والذي زار القدس عام ١٢٦٧م، ولفت انتباه اليهود إلى ضرورة بناء هيكل، ليكون رمزاً لوحدتهم وأن يكون هذا الهيكل مركزيًا بديلاً عن أماكن عبادتهم في الكنس، بحيث يتوقف عصر الحاخامات ويبدأ عصر الكهنة ممن يعودون بالعبادة من بدعة المزامير إلى عادة تقديم الأضاحي والقرابين. وذهب موسى بن ميمون إلى أن الهيكل الثالث لن يُبْنى بأيدٍ بشرية، وإنما سينزل كاملاً من السماء.(١)

وقدم الكهنة اليهود رؤى متعددة للهيكل السليماني حتى إنهم عام ١٥٦٧ ابتدعوا فكرة النواح عند حائط البراق الذي سموه «حائط المبكى»، ومنذئذ وهم يملأون العالم عويلاً وبكاءً ونواحاً: «لأجل الهيكل العظيم نبكي وحدنا وننوح» وبمرور الوقت صدق اليهود الكذبة وزعموا أن «حائط المبكى» هذا من بقايا الهيكل القديم، وهذه قضية فصلت فيها بشكل حاسم لجنة دولية عام ١٩٢٩م، حيث جاء في تقرير لجنة تقصي الحقائق، التي أوفدتها عصبة الأمم السابقة على الأمم المتحدة: «إن حق ملكية حائط البراق، وحق التصرف فيه وفيما جاوره من الأماكن، موضع البحث في هذا التقرير، هو للمسلمين لأن الحائط نفسه جزء لا يتجزأ من الحرم الشريف».

ولكن اليهود كعادتهم لم يقبلوا بحكم تلك اللجنة ويسعون لهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل الماسوني كي يجلس المسيح الدجال على كرسي عرش داود.

وللهيكل مكانة كبيرة في معتقدات اليهود وفي وجدانهم الديني حيث يقول المؤرخ «ول.ديورانت» في كتابه «قصة الحضارة» متحدثا عن مكانة الهيكل وقدسيته لدى اليهود:"كان بناء الهيكل أهم الحادثات الكبرى في ملحمة اليهود... ذلك أن هذا الهيكل لم يكن بيتا ليهوه «إله اليهود» فحسب، بل كان أيضا مركزا روحيا لليهود وعاصمة ملكهم، ووسيلة لنقل تراثهم، وذكرى لهم، كأنه علم من نار يتراءى لهم طوال تجوالهم الطويل المدى على ظهر الأرض.(٢)

١- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية الجزء الرابع، د. عبدالوهاب المسيري.

٢- المزاعم الصهوينية حول الهيكل الثالث، د. صالح حسين سليمان.

وللهيكل موقع خاص في نفوسهم ووجدانهم يستوي في ذلك المتدين والعلماني، وهم يبالغون في نظرتهم لمكانة الهيكل إلى حد وضعه في مركز العالم، وحسب تعبير الباحث محمد حماد الطل: «لأنه بني في وسط القدس الكائنة في مركز الدنيا، وقدس الأقداس الذي يقع في وسط الهيكل هو بمنزلة سُرة العالم، ويوجد أمامه حجر الأساس النقطة التي عندها خلق العالم.

والهيكل عندهم كنز ثمين بل هو أثمن ما في السموات الأرض، لأن الله - كما يزعمون- خلق السموات والأرض بيد واحدة بينما خلق الهيكل بيديه كلتيهما، بل إن الإله قرر بناء الهيكل بنفسه قبل خلق الكون نفسه.

ومن خرافاتهم تجاه الهيكل المزعوم أنهم يرون الفناء المحيط بالهيكل بمنزلة البحر والمقدس هي الأرض وقدس الأقداس هي السماء، ولما هدم الهيكل في ٧٠م، ولم يستطع اليهود إعادة بنائه ابتدعوا جملة من الأساطير جعلوها عقائد وطقوساً لهم، فهم يذكرون الهيكل في كل المناسبات كالولادة والزواج والمرض وصلاة منتصف الليل وعند الوجبات والوفاة، فعند الزواج مثلاً يحطم العروسان كوباً فارغاً للتذكير بدمار الهيكل، وقد ينثر بعض الرماد على جبهة العريس لتذكيره بهدم الهيكل.

وجاء في دائرة المعارف البريطانية: أن اليهود يتطلعون إلى افتداء إسرائيل، واجتماع الشعب في فلسطين، واستعادة الدولة اليهودية، وإعادة بناء هيكل سليمان، وإقامة عرش داود في القدس وعليه أمير من نسل داود «المسيح الدجال».

ويصوم اليهود يوما في كل عام، هو يوم التاسع من أغسطس احتفالا بذكرى هدم الهيكل، لأنه هدم في ذلك اليوم، ولهم صلاة خاصة في منتصف الليل حتى يعجل الإله بإعادة بناء الهيكل.[١]

الحديث عن الهيكل يأخذ مساحة كبيرة في التراث اليهودي القديم، وكذا في تراثهم الحديث، ويد التحريف اليهودية تزيد في المبالغة في الكلام عن الهيكل في كل عصر عن

---

١ - المصدر السابق.

العصر الذي سبقه، ومن مقولات قادتهم السياسيين، وعلى رأسهم «بن جوريون» أول رئيس وزراء للكيان الصهيوني:"لا معنى ولا قيمة لإسرائيل بدون أورشليم ولا قيمة لأورشليم بدون الهيكل"(١)

التناقض حول مكان الهيكل:

ورغم أن موضوع هيكل سليمان له أصل في التراث الديني القديم والحديث عند اليهود، وأنه ذكر في «العهد القديم»، وفي التلمود، وهي كتب تم تحريفها بأيدي الأحبار والرهبان، ويحتل مساحة من تاريخهم القديم والحديث وأدبياتهم، إلا أنه من الناحية العلمية الموضوعية، فإن التاريخ لا يثبت وجود هذا الهيكل، بل يُعِدُّه من الأساطير والخرافات المؤسسة للعقيدة اليهودية وهناك خلاف واختلاف بين طوائف اليهود حول المكان الذي بني فيه الهيكل، فاليهود السامريون يعتقدون انه بني على جبل «جرزيم» في مدينة نابلس، ولا يعترفون بالمزاعم اليهودية، ويستدلون على ذلك بسفر التثنية أحد أسفار التوراة الخمسة التي في العهد القديم والذي يشمل ٣٩ سفراً.

وهناك اختلاف واضطراب في النصوص المقدسة لديهم حول مكان وجود الهيكل عند طوائف اليهود.

أما اليهود المعاصرون من الحاخامات والعلماء الباحثين، وخاصة القادمين من أمريكا وبريطانيا «الإشكناز» فهم يعتقدون أن هيكل سليمان تحت الحرم القدسي، ولكنهم مختلفون فيما بينهم في تحديد مكان الهيكل، واختلافاتهم تصل إلى خمسة أقوال كلها مختلفة ومتناقضة، فمنهم من يزعم أنه تحت المسجد الأقصى، ومنهم من يزعم أنه تحت قبة الصخرة، ومنهم من يزعم أنه خارج منطقة الحرم، ومنهم من يزعم أنه على قمة الألواح وهي في منطقة الحرم بعيدا عن المسجدين.

ولقد أثبت علماء الآثار من اليهود والأوروبيين والأمريكان الذين نقّبوا واشتغلوا بالحفريات والأنفاق تحت الحرم القدسي الشريف، أنه لا يوجد أثر واحد لهيكل سليمان

---

١ - المصدر السابق.

تحت الحرم القدسي، لا تحت المسجد الأقصى ولا تحت قبة الصخرة، وشاركهم في هذا الرأي كثير من الباحثين اليهود والغربيين، مما دفع بعضهم إلى أن يقول إن الهيكل قصة خرافية ليس لها وجود، ومن أشهر هؤلاء العلماء اليهود «إسرائيل فلنتشتاين» من جامعة تل أبيب.[1]

ولقد فنّدت دراسات أجراها باحثون وعلماء آثار يهود فكرة وجود هيكل سليمان في الحرم القدسي الشريف حتى ذهب بعضهم إلى أن الهيكل قد بناه سليمان خارج الحرم القدسي، بل هناك دراسة حديثة لعلماء يهود تنص صراحة على أن منطقة الحرم القدسي الشريف خارجة عن المنطقة المقدسة لدى اليهود.

إن الحقائق التاريخية تكذب ادّعاء اليهود بأن المسجد الأقصى قد بني على أرض الهيكل اليهودي أو على أنقاضه، فالثابت أن مكان المسجد الأقصى كان فضاء خاليا من أي بناء أو أنقاض بناء، عندما أسري بالنبي - صلى الله عليه وسلم - إلى بيت المقدس، وأن المسلمين عندما فتحوا القدس في عهد عمر بن الخطاب لم يكن هناك بناء قائم مكان المسجد الأقصى، بل إن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - هو الذي أزال الزبل والأتربة والقاذورات من على الصخرة المشرفة التي أسري بالنبي - صلى الله عليه وسلم - إليها، ومنها كان عروجه إلى السماء، واختط عمر مسجده هناك، حتى جاء الخليفة الأموي عبد الملك بن مروان، فبنى المسجد الأقصى وقبة الصخرة[2]، وادعاء اليهود بأن حائط البراق الذي يطلقون عليه «حائط المبكى» هو جزء من الهيكل الثاني الذي هدمه تيطس، ليس صحيحا، فالهيكل الثاني - كما تذكر كتبهم - هدمه «تيطس» الروماني عام ٧٠ م، وأزال آثاره بالكامل هدريان الروماني عام ١٣٥م، وهو الذي هدم جميع القدس وأزال حجارة الهيكل الثاني وبعثرها، وهذا لم يمنع استعمالها في إنشاءات مختلفة منذ عام ١٣٥م، وخلال العصور المتوسطة، ولذلك فإن وجود شيء من هذه الحجارة في

١- المصدر السابق.

٢- قام عبدالملك بن مروان بحركة تعمير للمسجد الأقصى عام ٦٥ هـ - ٦٨٥م وتواصلت حركة البناء في عهد ابنه الخليفة الوليد بن عبدالملك.

أي موقع، لا يعني أن الهيكل كان قائما في هذا الموقع، علاوة على أنه لا يوجد دليل قاطع بأن هذه الحجارة هي أصلا من حجارة الهيكل.

كما أن المسلمين على مر العصور، لم يعتدوا علي أية أبنية أو آثار يهودية، سواء بالهدم أو عن طريق المصادرة، كما أنهم لم يشيدوا المسجد الأقصى فوق هيكل سليمان، بل جء في موقعه الحالي على أساس قدسية هذه البقعة المباركة بنص القرآن الكريم والحديث الشريف، فهذا الموقع مرتبط ارتباطا وثيقا بالعقيدة الإسلامية.

وحائط البراق الذي يدعي اليهود ملكيته وأنه من بقايا الهيكل يعتبر وقفا إسلاميا، وهو الجزء الجنوبي الغربي من جدار الحرم الشريف ويبلغ طوله نحو ٤٨مترا وارتفاعه نحو ١٧مترا.

ويذكر محمد عزت الطهطاوي في مجلة منار الإسلام أن هناك مجموعة أخرى من الأدلة نسوقها هنا، تؤكد أن المسجد الأقصى لم يبن مكان هيكل سليمان أو على أنقاضه وهي:

أولا: أن الصخرة التي بساحة المسجد الأقصى، تختلف كل الاختلاف عن الصخرة التي يقدسها اليهود، طبقا لما هو وارد عنها في صحفهم فالتلمود - حسب أكاذيبهم - يذكر أن الصخرة التي يقدسها اليهود ترتفع عن مستوى الأرض بمقدار ثلاثة أصابع، وأيد ذلك مؤرخهم وكاهنهم «موسي بن ميمون» في كتابه «طقوس الغفران»، بينما الصخرة الشريفة الموجودة حاليا بالمسجد الأقصى ترتفع عن مستوي سطح الأرض بنحو متر كامل، ومحيطها يناهز العشرة الأمتار، وتحتها فجوة هي بقية مغارة قديمة، عمقها أكثر من متر ونصف، تبدو الصخرة فوقها وكأنها معلقة بين السماء والأرض وبين الصخرة وقاع المغارة دعامة من الخشب حتى لا تنهار.

كما أن صخرة المسجد الأقصى، هي صخرة قديمة جدًّا، ويرجع تاريخها إلى عهد ضارب في القدم.. قدم مدينة القدس ذاتها، وعهدها يسبق النصرانية، بل ويسبق اليهودية التي تزعم أنها هي التي قدستها، فهذه البقعة الطيبة من مدينة القدس كانت

مباركة منذ أقدم العصور، وعلى حد قول الدكتور حسن ظاظا، فان «الحرم» الإسلامي الذي يضم «المقدسات الإسلامية» أقيم في المنطقة التي كان «ملكي صادق» ملك بيت المقدس، يدعو فيها باسم الله العلي زمان إبراهيم الخليل، عليه السلام.(١)

ومن الذين شكوا في أن تكون الصخرة الشريفة هي الصخرة المعنية في التلمود الباحث الألماني «شيك» في أوائل هذا القرن حيث قال: «إن الصخرة الحالية لم تكن في يوم ما داخلة ضمن قدس الأقداس - ومقصده في ذلك هيكل سليمان- أما صخرة اليهود فالله أعلم، ماذا صنع بها بختنصر وانطيخوس ابيفاتوس ملك سوريا اليوناني وتيطس وهدريان قواد وأمراء وملوك الرومان، وكذلك الصليبيون وغيرهم ممن دمروا مدينة القدس مرارا وتكرارا، تدميرا يكاد يكون كاملا بعد استيلائهم عليها».

ثانيًا: قام الأثريون اليهود بعد حرب يونيه ١٩٦٧ بعمل حفريات في أساس حائط البراق،الذي يسميه اليهود «حائط المبكي»، فما وجدوا فيه شيئا يشير إلى أنه من بقايا هيكل سليمان، وكل ما عثروا عليه في الحجارة التي تحت الأرض فقرتين من سفر النبي أشعيا محفورتين بخط يجعل نسبة تلك الحجارة لداود وسليمان مستحيلة، ولأن الكشف لم يكن دسما من الناحية السياسية، كما تريد حكومة «إسرائيل»، فقد وضعوه في مقبرة الصمت، أو سجل النسيان كعادتهم في كثير مما لا يريدون أن يعرفه العالم عنهم.

ثالثًا: أثبتت جميع الحفريات أن الهيكل الخاص باليهود اندثر تماما منذ آلاف السنين وورد ذلك صراحة في عدد كبير من المراجع اليهودية، وكثير من علماء الآثار النصارى أكدوا ذلك، وكان آخرهم عام ١٩٦٨م عالمة الآثار البريطانية الدكتورة «كاتلين كابينوس»، وقت أن كانت مديرة للحفائر في المدرسة البريطانية للآثار بالقدس، فقد قامت بأعمال حفريات بالقدس، وطردت من فلسطين بسبب فضحها للأساطير الإسرائيلية، حول وجود آثار لهيكل سليمان أسفل المسجد الأقصى، حيث قررت عدم وجود أي آثار البتة لهيكل سليمان، واكتشفت أن ما يسميه «الإسرائيليون» مبنى إسطبلات سليمان ليس له علاقة بسليمان ولا إسطبلات أصلاً، بل هو نموذج معماري

١ - انظر إسرائيل ركيزة الاستعمار بين المسلمين، د. حسن ظاظا.

لقصر شائع البناء في عدة مناطق بفلسطين، وهذا رغم أن «كاثلين كينيون» جاءت من قبل جمعية صندوق استكشاف فلسطين لغرض توضيح ما جاء في الروايات التوراتية، لأنها أظهرت نشاطاً كبيراً في بريطانيا في منتصف القرن ١٩ حول تاريخ «الشرق الأدنى».

رابعًا: أن المسجد الأقصى المبني حاليا في مدينة القدس، ليس في الزاوية التي بني عليها هيكل سليمان، كما يزعمون، لأن المسجد الأقصى موجه إلى الكعبة الشريفة بمكة المكرمة، واتجاهه من الشمال إلى الجنوب، أما هيكل سليمان وإن كان على نفس الجبل المسمي «موريا» إلا أنه كان مستطيل الشكل - كما ورد في كتب اليهود - ويتجه من الغرب إلى الشرق تجاه الشمس، ويعتقد بعض علماء الآثار أنه أخذ خطوطه الرئيسية من معبد آتون في تل العمارنة بمصر.(١)

خامسا: أكد كثير من المهندسين العالميين، الذين درسوا التربة التي يقوم عليها المسجد الأقصى، وتعمقوا فيها، بأنه لا يوجد في ذلك المكان أي دليل أو شبهة لأي من ... هيكل النبي سليمان، الذي تدعي الصهيونية أنه مدفون بجوار حائط المبكي الغربي ... الأقصى، بل إن كل الدراسات تنتهي بنتيجة واحدة هي أن هيكل سليمان لم ... دا في هذه المنطقة على الإطلاق، ولا يوجد أي دليل تاريخي واحد يقطع بأن ... الذي يسميه اليهود «حائط المبكي» هو جزء من هيكل سليمان بل إن اسمه ... سماه المسلمون «حائط البراق» نسبة إلى البراق الذي ورد ذكره في حديث ... المعراج.(٢)

سادسا: ذكر الدكتور حسن ظاظا، الأستاذ بكلية الآداب بجامعة الإسكندرية أن عاصمة الملك سليمان، خلال عهده في فلسطين، كانت تعادل ثلث حجم مدينة القدس الحالية، وأن هذه العاصمة مكانها حاليا بمدينة القدس ما يعرف بحارة اليهود، والذي كان به ما يسمي بهيكل سليمان، والمسافة بين حارة اليهود هذه حيث كان يوجد الهيكل وبين المقدسات الإسلامية توازي كيلو مترا واحدا، مما يتبين معه أن المقدسات الإسلامية

١- محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن، محمد عزت الطهطاوي.

٢- معالم التاريخ الإسلامي المعاصر، أنور الجندي.

لم تبن إطلاقا علي هيكل سليمان كما يزعم اليهود.[١]

سابعًا: أكد المهندس رائف نجم رئيس لجنة إعمار الأقصى المبارك - في مقابلة مع الكاتب - أن الحفريات اليهودية التي تمت في الحرم الشريف، منذ عام ١٩٦٧ وحتى اليوم، لم تعثر علي أي أثر لهيكل سليمان، ولكنها اكتشفت آثارا إسلامية من العهد الأموي، وأخرى بيزنطية ورومانية، وقال إنه دخل النفق الذي افتتحوه ووجد في داخله بعض الآثار الإسلامية، مثل الأعمدة والأقواس الإسلامية من العهد المملوكي، ولم يجد أي أثر يهودي.[٢]

١- إسرائيل ركيزة الاستعمار، مصدر سابق.

٢- محمد نبي الإسلام مصدر سابق، ومجلة منار الإسلام، محمد عزت الطهطاوي.

المسجد الأقصى وأهم معالمه بعد الفتح الإسلامي له

تم فتح مدينة القدس في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه عام ١٥هـ، وكان في تلك الأيام عبارة عن هضبة خالية في قلبها الصخرة المشرفة. ثم أمر ببناء المصلَّى الرئيسي الذي سيكون مكان الصلاة الرئيسي في المسجد الأقصى، وهو موقع «الجامع القبلي» اليوم، ويقع في الجنوب في جهة القبلة، وكان المسجد في عهده عبارة عن مسجد خشبي يتّسع لحوالي ١٠٠٠ شخص، وبقي على حاله إلى زمن الخليفة الأموي معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما الذي في عهده تم تجديد بناء المسجد القبلي عام ٤١هـ، ٦٦١م.

المسجد الأقصى الذي بناه عمر بن الخطاب، فجعل من الحجر بدلاً من الخشب، ووسّعه ليسع ٣٠٠٠ مصلٍّ. إلا أن أوسع حركة تعمير للمسجد تمت في عهد الخليفة عبد الملك بن مروان منذ عام ٦٥ هـ الموافق ٦٨٥م، وتواصلت في عهد ابنه الوليد بن عبد الملك حتى عام ٩٦ هـ الموافق ٧١٥. حيث بدأ البناء الأموي للمسجد الأقصى ببناء قبة الصخرة وهي عبارة عن قبة ذهبية فوق الصخرة المشرفة الواقعة في قلب الأقصى (في منتصف المسجد أقرب إلى الغرب قليلا)، والتي تمثل أعلى نقطة في جبل البيت المقدس، ويعتقد أن معراج النبي إلى السماء تم منها، لتكون قبة للمسجد كاملاً. وقبل الشروع ببنائها، أقيمت بجانبها قبة صغيرة في منتصف المسجد الأقصى تماماً، عُرفت بـ «قبة

السلسلة»، لتكون مقرًّا للمشرفين على البناء للأقصى، وخزانة لجمع الأموال اللازمة لذلك، وقيل لتكون نموذجاً لقبة الصخرة.

ويمكن وصف المسجد الأقصى بأنه هو المنطقة المحاطة بالسور المستطيل الواقعة في جنوب شرق مدينة القدس المسورة والتي تعرف بالبلدة القديمة. وتبلغ مساحة المسجد قرابة الـ ١٤٤ دونماً ويشمل قبة الصخرة والمسجد الأقصى، وعدة معالم أخرى يصل عددها إلى ٢٠٠ معلم. ويقع المسجد الأقصى فوق هضبة صغيرة تسمى هضبة موريا وتعتبر الصخرة هي أعلى نقطة في المسجد.

وتبلغ قياسات المسجد: من الجنوب ٢٨١ م ومن الشمال ٣١٠ م ومن الشرق ٤٦٢ م ومن الغرب ٤٩١ م. وتشكل هذه المساحة سدس مساحة البلدة القديمة، وهذه الحدود لم تتغير منذ وضع المسجد أول مرة كمكان للصلاة بخلاف المسجد الحرام والمسجد النبوي اللذيْن تم توسيعهما عدة مرات ومازالت التوسعات فيه مستمرة حتى اليوم.

وللمسجد الأقصى أربع مآذن هي مئذنة باب المغاربة الواقعة بالجنوب الغربي، مئذنة باب السلسلة الواقعة في الجهة الغربية قرب باب السلسلة، مئذنة باب الغوانمة الواقعة في الشمال الغربي، ومئذنة باب الأسباط.

وأهم معالم ساحة المسجد الأقصى:

١ - الجامع القبلي:

وهو المسجد الرئيسي والذي أمر ببنائه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما ذكرنا ويعرف لدى المسلمين بالمسجد الأقصى، وهو الجامع المسقوف الذي تعلوه قبّة رصاصية، والواقع في جنوبي المسجد الأقصى في جهة القِبلة، ومن هنا جاءت تسميته بـ «القِبلي». ويُعتبر هذا الجامع المصلَّى الرئيس الذي يخطب فيه الخطيب في صلاة الجمعة، كما أنّه يُعتبر المصلّى الرئيس للرجال داخل المسجد الأقصى حيث يقف الإمام، وحيث يوجد المحراب والمنبر الرئيسين.

والبناء الحالي يعود للعصر الأموي، حيث بَدأ العمل على تجديد بنائه الخليفة عبدالملك بن مروان، وأتمّه ابنه الخليفة الوليد بن عبد الملك بين عامي ٨٦ هـ-٩٦هـ الموافق ٧٠٥-٧١٤م، وكان في الأصل مكونًا من ١٥ رواقًا، ثم أُعيد ترميمه بعد تعرّضه لزلازل أدّت لتصدّعه، واختُصِرت أروقته في عصر الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله إلى ٧ أروقة، وفي وقتنا الحالي يتكوّن من رواق كبير في الوسط و٣ أروقة في كل جانب. وللجامع قبّة مرتفعة داخلية مصنوعة من الخشب، تعلوها القبّة الرئيسة الخارجيّة والمُغطّاة بألواح الرصاص. وتبلغ مساحة الجامع حوالي ٤ دونمات، طوله ٨٠م وعرضه ٥٥م، على اختلاف يسير بين طول ضلعه الشرقي والغربي، وله ١١ بابًا، ويتّسع إلى حوالي ٥٥٠٠ مصلٍّ.

وكان أوّل من بناه هو عمر بن الخطاب عند الفتح الإسلامي عام ١٥ هـ، وذلك بعد أن استشار كعب الأحبار في مكان بناء المسجد، فأشار عليه في مكان الصخرة، فرفض ذلك عمر وقال: «بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبلة مساجدنا صدورنا»، وكان بناؤه من الخشب، وكان يتّسع حوالي ١٠٠٠ مصلّ، ثمّ جدّده الخليفة معاوية بن أبي سفيان، فصار يتّسع حوالي ٣٠٠٠ مصلّ. وعندما سيطر الصليبيون على القدس قسّموا الجامع القبلي إلى ثلاثة أقسام: أحدها تحوّل إلى مكاتب، والآخر إلى سكن لفرسان المعبد، والثالث إلى كنيسة، وبقي الأمر كذلك حتى عهد صلاح الدين الأيوبي فرمّم المسجد عام ٥٣٨ هـ الموافق ١١٨٧، ثم توالت الترميمات في عصر الدولة المملوكية والدولة العثمانية لاحقًا.

وبعد احتلال اليهود لفلسطين، بقي الجامع القبلي تحت تهديد اليهود، فعمدوا إلى أعمال حفر تحت أغلب الجدار الجنوبي للمسجد وتحت أساسات الجامع القبلي كلها مما هدّدت أساساته، كما تعرّض الجامع القبلي لحريق مفتعل وذلك يوم ٢١ أغسطس ١٩٦٩ على يد مايكل دينس روهن، فاحترق منبر نور الدين زنكي، وامتد الحريق ليشمل أغلب الأروقة الثلاثة الشرقية، بالإضافة إلى سقفه الخشبي.

ويعتقد الكثيرون من المسلمين حين يروا صورة المسجد القبلي هو المسجد الأقصى كله ولايعلمون أنه أحد معالم المسجد الأقصى.

٢- مسجد قبة الصخرة:

وهذا المسجد ظل لفترة طويلة في مخيلة المسلمين أنه المسجد الأقصى فقط وليس إنه جزء من المسجد الأقصى.

وتعتبر قبة المسجد الذهبية أهم ما يميزه وهو أقدم بناء إسلامي حافظ على شكله وزخرفته، بنى هذه القبة الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان، وقد بدأ العمل فيه عام ٦٦هـ - ٦٨٥م وانتهى العمل فيه عام ٧٢هـ - ٦٩١م.

والمسجد تم بناؤه على الصخرة التي عرج من عليها النبي صلى الله عليه وسلم إلى السماء في رحلة الإسراء والمعراج.

وترتفع الصخرة عن أرض البناء بنحو متر ونصف المتر وتعلو الصخرة في الوسط من المسجد بقطر حوالي ٢٠ متراً.

٣- مصلى الأقصى القديم:

ويقع هذا المصلَّى تحت الجامع القبلي، يدخل إليه عبر درج يقع قرب الرواق الأوسط في الجهة الشمالية للجامع القبلي، وهو عبارة عن ممر يتكون من رواقين باتجاه الجنوب بناه الأمويون ليكون مدخلاً ملكيًّا إلى المسجد الأقصى من القصور الأموية التي تقع خارج حدود الأقصى من الجهة الجنوبية. ويوجد عند المدخل الشمالي منه غرفة صغيرة كانت تستخدم للحرس، كما يوجد غرفة أكبر تقع عند بقايا الباب المزدوج عند المدخل الجنوبي للمصلّى والتي كانت تستخدم للحرس أيضًا، وهي تحتوي على محراب في مدخلها، ويوجد بئر عميقة ومغلقة الآن. ومن العناصر المعمارية المميزة فيه وجود قبّتان أمويتان مسطحتان تقومان فوق مدخله الجنوبي، وعندهما يوجد أعمدة حجرية ضخمة تشكل الأساس الذي تقوم عليه منطقة قبة الجامع القبلي، وقد رُممت عام ١٩٢٧. وقد كان

هذا المصلَّى مغلقًا لا يُفتح إلا في حالات الضرورة حتى عام ١٩٩٨، حيث تم تنظيفه وإعداده ليكون مكانًا ملائمًا للصلاة، وهو يتّسع لحوالي ١٠٠٠ مصلٍّ.

٤- مسجد البراق:

ويقع في الناحية الجنوبية الغربية من المسجد الأقصى، وسُمّي بذلك نسبةً إلى المكان الذي ربط فيه النبي صلى الله عليه وسلم دابته البراق في رحلة الإسراء والمعراج، وفيه حلقة عثمانية يُقال إنّها وُضعت في مكان الحلقة التي رُبط عندها البراق. كما يحتوي المسجد على محراب أموي، وكان يوجد في جهته الغربية باب قديم يُسمّى «باب البراق» وقد أُغلق بعيد العهد الأموي، والذي كان يصل مباشرة إلى ساحة البراق خارج المسجد الأقصى، وينزل إلى مصلّى البراق حاليًا من خلال الرواق الغربي للأقصى بدرجات حجرية، والذي يُفتح كل يوم جمعة للزيارة.

٥- مسجد المغاربة:

ويقع في الزاوية الجنوبية الغربية من المسجد الأقصى جنوبي حائط البراق، وله بابان، واحد مُغلق في الجهة الشمالية، وآخر مفتوح في الجهة الشرقية. ويُستعمل اليوم كقاعة عرض لأغراض المتحف الإسلامي الذي نُقل من الرباط المنصوري إلى هذا المسجد وذلك في عام ١٣٤٨ هـ الموافق ١٩٢٩. وقيل أنّ أوّل من بناه هو صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٩٠ هـ الموافق ١١٩٣م، وكانت تُقام فيه الصلاة على المذهب المالكي.

٦- جامع النساء:

ويقع داخل المسجد الأقصى، ويمثّل الجزء الجنوبي الغربي منه، حيث يمتد بمحاذاة حائطه الجنوبي بدءًا من الجدار الغربي للجامع القِبلي وحتى الحائط الغربي للمسجد. وهو اليوم مُقسّم إلى ثلاثة أقسام: أولها غربي ملحق بالمتحف الإسلامي، وثانيها في الوسط وبه توجد مكتبة الأقصى الرئيسية، وثالثها شرقي ملاصق للجامع القبلي، ويُستعمل الآن كمستودع. وجامع النساء عبارة عن بناء كبير واسع مرتفع عن مستوى الجامع

القبلي، ويرى باحثون بأن بناءه يعود إلى العهد الصليبي، حيث بُني ككنيسة، ليعيده صلاح الدين الأيوبي لُمصلًّى خُصّص للنساء.

٧- المصلَّى المرواني:

ويقع أسفل الزاوية الجنوبية الشرقية للمسجد الأقصى وكان يعرف بالتسوية القديمة قديماً وقام ببنائه الأمويون كتسوية معمارية على بيت المقدس الأصلية المتحررة جهة الجنوب حتى يتنسى البناء فوق قسمها الجنوبي.

ويتكون المصلى من ١٦ رواقاً ومساحته أكثر من أربعة آلاف متر مربع وهي أكبر من المساحة المغطاة للمسجد القبلي (الأقصى).

وعندما احتل الصليبيون القدس قاموا بتحويل المصلى إلى اسطبلات للخيول وسموه إسطبلات سليمان نسبة إلى الملك سليمان وبعد طرد الصليبيين في عهد صلاح الدين الأيوبي وتحرير المسجد الأقصى عاد المصلى لسابق عهده باعتباره تسوية ومخزناً حتى افتتح عام ١٩٩٦م كمصلى وعرف بالمصلى المرواني نسبة إلى الخليفة عبدالملك ابن مروان.

محاولات اليهود بناء الهيكل في العصر الحديث ومقترحات البناء في ساحة المسجد الأقصى

أعاد اليهود محاولاتهم لبناء هيكل في ساحة المسجد الأقصى بعد أن ظهرت الحركة الصهيونية في نهاية القرن التاسع عشر في طيات البحث عن مزاعم تاريخية لليهود في فلسطين تمهيدا لإصدار وعد بلفور الشهير والبدء في إقامة دولة قومية لهم على الأراضي الفلسطينية، فظهرت كتابات يهودية في الصحف الغربية تدعو إلى إعادة بناء الهيكل في فلسطين.

ثم كانت الخطوات العملية ١٩١٨م حينما وصلت بعثة يهودية بقيادة حاييم وايزمن إلى القدس وقدمت طلبا إلى الحاكم العسكري البريطاني آنذاك الجنرال «ستورز» تطالبه بإنشاء جامعة عبرية في القدس وتسلّم حائط البراق (المبكى) في الحرم القدسي، إضافة إلى مشروع لتملك أراض في المدينة المقدسة.

ثم تدفقت الهجرات اليهودية تحت رعاية الاحتلال البريطاني الذي تسلم إدارة فلسطين بعد الحرب العالمية الأولى وبعد أن رفض السلطان العثماني عبدالحميد الثاني طلب هرتزل الصهيوني بهجرة اليهود لفلسطين.

وبعد هجرة اليهود الصهاينة لفلسطين بعد الحرب العالمية الأولى وبعد حصولهم على وعد بلفور وعلى الحركة الوطنية في فلسطين بنوايا الصهاينة هدم المسجد الأقصى لإقامة هيكل ماسوني مكانه، اندلعت ثورة البراق وأُنشأت جمعية حراسة المسجد الأقصى وكان

ثورة البراق عام ١٩٢٩م وكان اليهود وقتها يدعون أن حائط البراق من بقايا هيكل سليمان وأطلقوا عليه حائط المبكى.

ونتيجة لتلك الاضطرابات والتحركات السياسية التي صاحبتها شكلت عصبة الأمم لجنة دولية للتحقيق في ملكية الحائط، وأعدت تقريرها الذي نشر عام ١٩٣٠، وجاء فيه ما نصه: «تصرح اللجنة استنادًا إلى التحقيق الذي أجرته بأن ملكية الحائط وحق التصرف فيه وما جاوره من الأماكن المبحوث عنها في هذا التقرير، عائد للمسلمين، ذلك بأن ملكية الحائط وحق التصرف فيه حيث يقيم اليهود الحائط نفسه ملك المسلمين لكونه جزءاً لا يتجزأ من الحرم الشريف.. والرصيف الكائن عند الحائط حيث يقيم اليهود صلواتهم، هو أيضًا ملك للمسلمين".

ولكن اليهود ظلوا يدعون أن الحائط خاص بها ويأتون إليه حتى اليوم يصلون ويبكون أمامه واستمرت محاولاتهم هدم المسجد الأقصى حتى جاء يهودي يوم ٢١/ ٨/ ١٩٦٩م وقام بمحاولة إحراق المسجد الأقصى.

واندلعت النيران بالفعل وكادت تأتي على قبة المسجد لولا استماتة المسلمين في عمليات الإطفاء التي تمت رغماً عن السلطات الإسرائيلية، ولكن بعدما أتى الحريق على منبر صلاح الدين واشتعلت النيران في سطح المسجد الجنوبي وسقف ثلاثة أروقة.

وادعت إسرائيل أن الحريق تم بفعل تماس كهربائي، وبعدما أثبت المهندسون العرب أنه تم بفعل فاعل، عادت إسرائيل وادعت أن شاباً أستراليًّا هو المسؤول عن الحريق وأنها ستقدمه للمحاكمة، ولم يمض وقت طويل حتى أذاعت بأن هذا الشاب معتوه ثم أطلقت سراحه.

واستنكرت معظم دول العالم هذا الحريق، واجتمع مجلس الأمن وأصدر قراره رقم ٢٧١ لسنة ١٩٦٩ بأغلبية أحد عشر صوتاً وامتناع أربع دول عن التصويت من بينها الولايات المتحدة الأميركية، والذي أدان إسرائيل ودعاها إلى إلغاء جميع التدابير التي من شأنها تغيير وضع القدس. وجاء في القرار أن «مجلس الأمن يعبر

عن حزنه للضرر البالغ الذي ألحقه الحريق بالمسجد الأقصى يوم ١٩٦٩\٨\٢١ تحت الاحتلال العسكري الإسرائيلي، ويدرك الخسارة التي لحقت بالثقافة الإنسانية نتيجة لهذا الضرر».

جماعة أمناء الهيكل ومحاولات بناء الهيكل:

وهي من أهم الجماعات الدينية الإسرائيلية المتطرفة التي تعمل على إعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى جماعة تطلق على نفسها اسم «أمناء جبل الهيكل». وقد بدأت هذه الجماعة عملها منذ عام ١٩٦٧ بالحفر تحت البيوت والمدارس والمساجد العربية المحيطة بالحرم بحجة البحث عن هيكل سليمان، ثم امتدت في عام ١٩٦٨ تحت المسجد الأقصى نفسه، فحفرت نفقاً عميقاً وطويلاً تحت الحرم وأنشأت بداخله كنيساً يهوديًّا.

وقامت الجماعة بتصميم نموذج للهيكل المقترح بناؤه والترويج له بين اليهود والمسيحيين الأصوليين الذين يعتبرون قيام إسرائيل عام ١٩٤٨ تأكيداً لنبوءات التوراة حول نهاية العالم وإحلال مملكة جديدة مع المجيء الثاني للمسيح بعد عودة اليهود إلى الأرض المقدسة.

وقد تشكلت أكثر من ١٥ منظمة وجماعة دينية متطرفة داخل إسرائيل وخارجها تهدف جميعها إلى هدم المسجد الأقصى وبناء هيكل سليمان على أنقاضه، وانقسمت هذه المنظمات في الوسائل المتبعة لتحقيق هذا الغرض إلى أربعة أقسام على النحو التالي:

١ - الأعمدة العشر:

وهي أولى النظريات تدعو إلى بناء عشرة أعمدة بعدد الوصايا العشر قرب الحائط الغربي من المسجد الأقصى، بحيث تكون الأعمدة على ارتفاع ساحة المسجد حالياً، ومن ثم يقام عليها «الهيكل الثالث»، ويربط هذا المبنى بما يعتقدون يأنه عمود مقدس يوجد حالياً كما يتوهمون في ساحة قبة الصخرة المشرفة.

٢- الشكل العمودي:

أما النظرية الثانية وهي شبيهة بسابقتها فتطالب بإقامة الهيكل الثالث قرب الحائط الغربي من المسجد الأقصى بشكل عمودي بحيث يصبح الهيكل أعلى من المسجد الأقصى، ويربط تلقائيًا مع ساحة المسجد من الداخل.

٣- الترانسفير العمراني:

وتتبنى النظرية الثالثة فكرة ما يسمى بـ «الترانسفير العمراني» وتؤدي النظرية إلى حفر مقطع التفافي حول مسجد قبة الصخرة بعمق كبير جدًا ونقل المسجد كما هو خارج القدس وإقامة الهيكل مكانه وهي فكرة جنونية.

٤-النظرية الرابعة:

وهي الهدم الكامل للمسجد الأقصى وإقامة الهيكل مكانه: يرى بعض الحاخامين اليهود أن إعادة بناء الهيكل على جبل الهيكل (أي الحرم القدسي) في الوقت الراهن أمر ممنوع، ويحظر الحاخامين على اليهود حسب الشريعة اليهودية. ويعتبرون الحرم القدسي الشريف محظورا على اليهود لقدسيته، إذ لا يمكن في عصرنا أداء طقوس الطهارة المفروضة على اليهود قبل بناء الهيكل حسب الشريعة اليهودية. ومع ذلك، فيوجد عدد من الحاخامين من يسمح بزيارة الحرم القدسي، وكذلك يزوره يهود علمانيون. والشرطة الإسرائيلية تسمح زيارة الحرم القدسي كسياح، ولكنها تحظر أداء الشعائر فيه، ولكن اليهود المتطرفون يقيمون شعائرهم رغماً عن المحظورات الدينية والأمنية.

المنظمات المسيحية التي تدعم اليهود لإعادة بناء الهيكل:

هناك منظمات مسيحية إنجيلية تدعم بناء الهيكل وهم المسيحيون الإنجيليون حيث إن إعادة بناء هيكل سليمان خطوة على طريق عودة المسيح، المسيّا وبداية معركة هرمجدون. وهم يدعمون إسرائيل في كل مواقفها من أجل قيام تلك الحرب التي جاء ذكرها في رؤيا يوحنا.

ومن المنظمات الداعمة لبناء الهيكل من المسيحيين:

١- **السفارة المسيحية الحولية:** التي أنشأها الإنجيليون في سبتمبر ١٩٨٠م، وتعمدوا أن يكون مقرها في أورشليم. ولها خمس عشرة قنصلية في الولايات المتحدة الأمريكية، تقوم بأنواع متباينة من الأنشطة الفعالة لصالح إسرائيل عبرت عنها صحيفة الجيروزاليم بوست في مقال لها سنة١٩٨٠ بأنه سيشمل تشجيع كل أنواع الدعاية للدفاع عن القضية اليهودية في الصحافة والراديو والأفلام والاجتماعات أو أي وسيلة إعلامية أخرى.

٢- **منظمة الأغلبية الأخلاقية:** وهي التي أسسها القس جيري فالويل سنة ١٩٧٩م وهي ذات توجه ديني سياسي، لها برنامج إذاعي يومي يستمر لساعة كاملة، واسمه ساعة الإنجيل تبثه ستمائة محطة في أنحاء العالم، ولها مجلة دورية بعنوان (صوت المسيحية)، وينظم فالويل من خلال منظمته رحلات دورية إلى الأراضي المقدسة، ويضم أبرز جوانب الرحلة زيارات لوادي مجدو، ومواقع توراتية أخرى.

٣- **هيئة المائدة المستديرة الدينية:** تأسست سنة ١٩٧٩م لتنسيق برنامج عمل اليمين المسيحي، وتضم عدداً كبيراً من أضخم المنظمات، ومن أنجح العاملين باليمين الديني ومن هذه المنظمات: منظمة مترجمي الكتاب المقدس وعصبة الكنيسة في أمريكا. وهي منظمة أبحاث غاية في السرية، ولديها ملفات عن آلاف شخصيات العالمية، وتعتبر هذه الهيئة دعم إسرائيل لأسباب لاهوتية وإستراتيجية.

٤- **مؤسسة جبل الهيكل:** أسسها تيري ريزنهوفر هو تاجر أراض وبترول من أجل العمل على تحقيق النبوءة التوراتية بشأن بناء الهيكل الثالث، وذكرت صحيفة دافار الإسرائيلية في مقال لها عام ١٩٨٣ أن مؤسسة جبل الهيكل المسيحية الأمريكية جمعت عشرة ملايين دولار لتستخدمها في تقديم المعونة لبناء المستوطنات وشراء الأراضي من الأوقاف الإسلامية والمساعدة في مشروع إعادة الهيكل، وشارك ريزنهوفر في تنظيم حملة ١٩٨٣ للاحتجاج على القبض على المستوطنين الإسرائيليين المتورطين في مؤامرة ضد

المسجد الأقصى، وتبرع بتكاليف الدفاع عنهم. ولثرائه الكبير، تبرع تيري بمبالغ ضخمة لمنظمة الهيكل المقدس اليهودية.

ولكن هناك طوائف من المسيحيين ضد بناء الهيكل السليماني المزعوم مثل: الكنيسة القبطية الأرثوذكسية التي أكدت مراراً على أنها لن تدخل أورشليم إلا بعد دخول المسلمين، وهذا ما أعلنه بابا الأرثوذكس في مصر.

6

لكل أجل كتاب

- سليمان عليه السلام ونساؤه في العهد القديم والسنة النبوية.

- وفاة سليمان عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية تثبت أن الجن لايعلمون الغيب.

- انقسام مملكة سليمان عليه السلام بعد موته إلى مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل.

سليمان عليه السلام ونساؤه في العهد القديم والسنة النبوية

ذكر ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية عن كثير من السلف أن عدد نساء سليمان عليه السلام ألف امرأة، والألف تشمل الزوجات والسرائر وهذا أمر مألوف في تلك العصور.

وكان من طبيعة الملوك استرضاء الشعوب المختلفة بالمصاهرة، ولهذا فقد صاهر سليمان عليه السلام المؤابين والعمونيين والأدوميين والصيدونيين والحيثيين والفراعنة حتى إن التوراة في سفر الملوك الأول الإصحاح ١١ ذكرت أن لسليمان سبعمائة امرأة وثلاثمائة من السراري، ولكنها ذكرت أن نساءه بقين على دين أقوامهم من عبادة غير الله وأن نساءه قد أملن قلبه إلى عبادة الأصنام ولهذا غضب عليه الرب:

وأحب سليمان نساء غريبات كثيرات مع بنت فرعون موآبيات وعمونيات وأدوميات وصيدونيات، وحيثيات من الأمم الذين قال عنهم الرب لبني إسرائيل لاتدخلون إليهم وهم لايدخلون إليكم لأنهم يميلون قلوبكم وراء آلهتهم، فالتصق سليمان بهؤلاء بالمحبة وكانت له سبع مائة من النساء السيدات وثلاثمائة من السراري فأمالت نساؤه قلبه وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى ولم يكن قلبه كاملاً مع الرب إلهه كقلب داود أبيه، فذهب سليمان وراء عشتروت إلهة الصيدونيين وملكوم رجس العمونيين، وعمل سليمان الشر في عيني الرب ولم يتبع الرب تماماً كداود أبيه. (سفر الملوك الأول ١١ : ١-٦).

وما جاء في التوراة عن سليمان عليه السلام هو من باب الافتراء والكذب على نبي من أنبياء الله وهو من تحريف وكذب اليهود على سليمان عليه السلام، كذلك فعلوا مع غيره من الأنبياء أمثال لوط عليه السلام وداود عليه السلام.

وقد جاء في الأحاديث النبوية أن لسليمان عليه السلام مائة امرأة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: سليمان بن داوود عليهما السلام: لأطوفن الليلة بمائة امرأة تلد كل امرأة غلاماً يقاتل في سبيل الله.

فقال له الملك: قل إن شاء الله.

فلم يقل، ونسي فطاف بهن ولم تلد منهن إلا امرأة نصف إنسان.

قال النبي صلى الله عليه وسلم: لو قال إن شاء الله لم يحنثْ وكان أرجى لحاجته. (١)

وروى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: قال سليمان بن داود: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة تحمل كل امرأة فارساً يجاهد في سبيل الله.

وقال له صاحبه قل: إن شاء الله.

فلم يقل، فلم تحمل شيئاً إلا واحداً ساقطاً أحد شقيه.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لو قالها لجاهدوا في سبيل الله.

قال شعيب وابن أبي الزناد: تسعين وهو أصح.

وفي رواية أخرى عن أحمد وابن عساكر في تاريخه وأبو يعلي عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم قال: قال سليمان بن داود لأطوفن الليلة على مائة امرأة كل امرأة منهن تلد غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله، فطاف تلك الليلة على مائة امرأة فلم تلد منهن إلا امرأة ولدت نصف إنسان.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لو قال إن شاء الله لولدت كل امرأة منهن غلاماً يضرب بالسيف في سبيل الله عز وجل.

١ - رواه أحمد من المسند ومثله في البخاري أيضاً.

وفاة سليمان عليه السلام كما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية تثبت أن الجن لايعلمون الغيب

حكم سليمان عليه السلام أربعين سنة منها ثلاث وثلاثون ملكاً على مملكة إسرائيل الموحدة وسبعة سابقة ملكاً على مدينة الخليل وخلفه ابنه رحبعام هذا ما جاء ذكره في العهد القديم، أما القرآن الكريم فقد ذكر أن سليمان تولى الملك فور وفاة داود عليه السلام وورث سليمان داود.

وذكر الطبري في تاريخه أن عمر سليمان بن داود كان نيفاً وخمسين سنة وأنه في العام الرابع من حكمه وملكه ابتدأ ببناء بيت المقدس وأن ابنه رحبعام ملك بعده مدة سبع عشرة سنة.

وقد جاء ذكر وفاة سليمان عليه السلام في قوله تعالى:

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾ [سبأ: ١٤].

والآية تشير إلى أن سبب الهيئة التي مات عليها سليمان كان جلوساً مستنداً على عصاه وأن السبب في ذلك إعلام الناس أن الجن لاتعلم الغيب.

روى ابن جرير وابن أبي حاتم وغيرهما عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: كان سليمان نبي الله عليه السلام إذا صلى رأى شجرة نابتة بين يديه فيقول لها: ما اسمك؟

فتقول: كذا.

فيقول لأي شيء أنت؟ فإن كانت لغرس غرست، وإن كانت لدواء أنبتت. فبينما هو يصلي ذات يوم إذ رأى شجرة بين يديه.

فقال لها ما اسمك: قالت: الخروب.

قال: لأي شيء أنت؟

قالت: لخراب هذا البيت.

فقال سليمان: اللهم عَمِّ على الجن موتي، حتى تعلم الإنس أن الجن لا يعلمون الغيب، فنحتها عصاً فتوكأ عليها حولاً، والجن تعمل، فأكلتها الأرضة فتبينت الإنس أن الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا حولاً في العذاب المهين.

قال: وكان ابن عباس يقرؤها كذلك. فشكرت الجن للأرضة فكانت تأتيها بالماء.(١)

وقال السُّدي في خبر ذكره عن أبي مالك وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن أناس من الصحابة: كان سليمان عليه السلام يتجرد في بيت المقدس السنة والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر يدخل طعامه وشرابه فأدخله في المرة التي توفي فيها فكان بدء ذلك أنه لم يكن يوم يصبح فيه إلا نبتت في بيت المقدس شجرة يأتيها فيسألها ما اسمك؟ فتقول الشجرة: اسمي كذا وكذا.

فإن كانت لغرس غرسها وإن كانت نبتت دواء قالت نبت دواء لكذا وكذا. فيجعلها كذلك حتى نبتت شجرة يقال لها الخروبة فسألها ما اسمك؟

فقالت: أنا الخروبة.

فقال: ولأي شيء نبتِّ؟

فقالت: نبتُّ لخراب هذا المسجد.

فقال سليمان: ما كان الله ليخربه وأنا حي، أنت التي على وجهك هلاكي وخراب بيت المقدس. فنزعها وغرسها في حائط له.

---

١ - قال ابن كثير تعليقاً على الأثر: لفظ ابن جرير وعطاء الخراساني في حديثه نكارة وقد رواه ابن عساكر عن طريق مسلمة بن كهيل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موقوفاً وهو أشبه بالصواب والله أعلم.

ثم دخل المحراب، فقام يصلي متكئاً على عصاه فمات ولم تعلم به الشياطين. وهم في ذلك يعملون له يخافون أن يخرج فيعاقبهم، وكانت الشياطين تجتمع حول المحراب.

وكان المحراب له كُوًى بين يديه وخلفه، فكان الشيطان الذي يريد أن يخلع يقول: ألست جليداً إن دخلت فخرجت من ذلك الجانب. فيدخل حتى يخرج من الجانب الآخر.

فدخل شيطان من أولئك فمر ولم يكن شيطان ينظر إلى سليمان عليه السلام وهو في المحراب إلا احترق، فلم يسمع صوت سليمان، ثم رجع فلم يسمع ثم رجع فوقع في البيت ولم يحترق ونظر إلى سليمان عليه السلام قد سقط ميتاً، فخرج فأخبر الناس أن سليمان قد مات، ففتحوا عنه فأخرجوه ووجدوا مِنْسأته وهي العصا بلسان الحبشة، قد أكلتها الأرضة ولم يعلموا منذ كم مات فوضعوا الأرضة على العصا فأكلت منها يوماً وليلة، ثم حسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات منذ سنة، وهي قراءة ابن مسعود: فمكثوا يدأبون له من بعد موته حولاً كاملاً فأيقن الناس عند ذلك أن الجن كانوا يكذبون ولو أنهم علموا الغيب لعلموا بموت سليمان ولم يلبثوا في العذاب سنة يعملون له ذلك، وذلك قول الله عز وجل: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾. [سبأ: ١٤].

ومنسأته أي عصاه بلغة الحبشة يقول: تبين أمرهم للناس أنهم كانوا يكذبون، ثم إن الشياطين قالوا للأرضة: لو كنت تأكلين الطعام لأتيناك بأطيب الطعام، ولو كنت تشربين الشراب سقيناك أطيب الشراب، ولكنا سننقل إليك الماء والطين. قال: فإنهم ينقلون إليها ذلك حيث كانت.

قال: ألم تر إلى الطين الذي يكون في جوف الخشب فهو ما يأتيها به الشيطان تشكراً لها. وهذا فيه من الإسرائيليات التي لا تصدق ولا تكذب.

وذكر أبو داود بسنده في كتاب القدر عن الأعمش عن خيثمة قال: قال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت: إذا أردت أن تقبض روحي فأعلمني.

قال: ما أنا أعلم بذاك منك إنما هي كتب يلقى إليّ فيها تسمية من يموت.

وقال أصبغ بن الفرج وعبد الله بن وهب، عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قال: قال سليمان لملك الموت: إذا أُمِرْت بي فأعلمني، فأتاه فقال: يا سليمان قد أمرت بك قد بقيت لك سويعة. فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحاً من قوارير ليس له باب، فقام يصلي، فاتكأ على عصاه قال: فدخل عليه ملك الموت فقبض روحه وهو متوكئ على عصاه، ولم يصنع ذلك فراراً من ملك الموت. قال: والجن تعمل بين يديه وينظرون إليه يحسبون أنه حي. قال: فبعث الله دابة الأرض يعني إلى منسأته فأكلتها، حتى إذا أكلت جوف العصا ضعفت وثقل عليها فخرَّ، فلما رأت الجن ذلك انفضوا وذهبوا. قال: فذلك قوله: ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾ [سبأ: ١٤].

قال أصبغ: وبلغني عن غيره أنها مكثت سنة تأكل من منسأته حتى خَرَّ.

قال ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية:

وقد روى نحو هذا عن جماعة من السلف وغيرهم.. والله تعالى أعلم.

قال إسحاق بن بشر عن محمد بن إسحاق، عن الزهري وغيره أن سليمان عليه السلام عاش اثنتين وخمسين سنة وكان ملكه أربعين سنة. وقال إسحاق: أنبأنا أبو روق، عن عكرمة، عن ابن عباس أن ملكه كان عشرين سنة. والله تعالى أعلم.[١]

١ - انظر البداية والنهاية لابن كثير.

انقسام مملكة سليمان عليه السلام بعد موته إلى مملكة يهوذا ومملكة إسرائيل

ذكر العهد القديم بعد موت الملك سُليمان سنة ٩٣٠ ق.م. تولى ابنه رحبعام [٩٣٠ – ٩١٣ ق.م] زمام الحكم في مملكة يهوذا الجنوبية بعد أن سافر شمالاً إلى مركز تجميع الأسباط في شكيم لكي يضمن استمرار ولاء أسباط الشمال [١مل١٢ : ١ – ١٩ ؛ ٢ أخ ١٠ : ١ – ٩] وعندما طلبت الأسباط التخفيف من عبء الضرائب الباهظة التي فرضها أبوه سُليمان عليهم. كان رد رحبعام أنه سوف يزيد من هذا العبء. ولذلك رفضت الأسباط سيادة أسرة داود ومسحت يربعام كأول ملك عليهم [٩٣٠ – ٩١٠ ق.م] وكان قد عاد من مصر بعد أن كان لاجئاً هناك في حكم سُليمان.

وهرب رحبعام إلى أورشليم لينجو بحياته، وبناء على مناشدة شمعيا النبي تراجع عن غزو الشمال [مل ١٢ : ٢١ – ٢٤، أخ ١١ : ١ – ٤] وهكذا بدأ عصر انقسام مملكة سليمان الموحدة حيث انقسمت إلى مملكتين شمالية وجنوبية، إسرائيل في الشمال ويهوذا في الجنوب (الملوك الأول: ١٢-١٣).

وبسبب الحرب الأهلية بين المملكتين، تمكنت الدول التي كانت خاضعة لإسرائيل من الاستقلال عنها. مما أضعف سيطرة إسرائيل على طرق التجارة، فكان لكل هذا أثره البالغ في إضعاف المملكتين. واستعادت آرام وعمون ومؤاب والفلسطينيون استقلالهم. أما مصر التي كانت لمدة طويلة غير قادرة على تحقيق مطامعها في آسيا. فقد استغلت الوضع، فلما رأى فرعون مصر شيشق [٩٤٥ – ٩٢٤ ق.م] ضعف المملكة المنقسمة، بدأ يعد الخطط لغزو يهوذا وإسرائيل معاً، وردًّا على ذلك أقام رحبعام خمسة عشر حصناً في يهوذا [٢ أخ ١١ : ٥ – ١٢].

وقد استطاع فرعون مصر حينها شيشق بغزو مملكة يهوذا وعبرت جيوشه لمملكة إسرائيل في حمايته حين تمرد على سليمان أواخر سنوات حكم سليمان.

وهكذا انقسمت مملكة إسرائيل إلى مملكتين:

- **مملكة إسرائيل في الشمال:** وكان أول ملوكهم يربعام بن نباط وهو ليس من بيت داود، وعاصمتها السامرة، وكانت هذه المملكة هي الأكبر من حيث المساحة والعدد، وقد أشرك يربعام وبنى أوثاناً وهياكل ودعا بني إسرائيل إلى عبادتها بدلا من الذهاب إلى أورشليم فأجابوه، ودامت دولتهم ٢٥٠ سنة وانتهت سنة ٧٢١ قبل الميلاد حينما غزاهم سرجون ملك آشور واستولى على السامرة وسبى الأسباط وأجلى اليهود إلى ما وراء نهر الفرات وبذلك انتهت هذه الدولة ولم تقم لها قائمة.
- **مملكة يهوذا في الجنوب:** وكان أول ملوكها رحبعام بن سليمان وعاصمتها أورشليم وقد عاشت أكثر من أختها إسرائيل وتعرضت لغزوات من الشمال والجنوب وكان آخرها على يد نبوخذ نصر ملك بابل الذي غزاها سنة ٦٠٦ قبل الميلاد، وتغلب عليها ودفعت له الجزية، ثم ثارت مرة أخرى فغزاها سنة ٥٩٣ فسبى من شعبها عشرة آلاف من بينهم أعيانها وأشرافها وكنوز الهيكل، وثارت عليه سنة ٥٩٣ قبل الميلاد فأتاها هذه المرة سنة ٥٨٦ قبل الميلاد وهدم أسوارها وأحرق الهيكل وسبى اليهود إلى بابل.

والقارئ للتاريخ يجد أن معظم الممالك القديمة قد انقسمت بعد وفاة مؤسسها وأشهر تلك الممالك والملوك المملكة التي أسسها جنكيز خان وإمبراطورية تيمور لنك فكلتاهما قد انقسمت بعد موت مؤسسها ثم تلاشت وانتهت وتلك سنة كونية لكن ما حدث لمملكة سليمان وانقسامها إلى مملكتين على أرض فلسطين يوضح لنا أنها لم تكن مملكة ممتدة من النيل للفرات حيث إن النيل وهو من أرض مصر كان تحت حكم الفراعنة المصريين وكذلك الفرات في بلاد بابل، ولكن هذا لايمنع أن نفوذ سليمان قد وصل إلى بلاد اليمن والجزيرة العربية وغيرها من البلاد الأخرى ولكن هذا النفوذ انتهى بموته عليه السلام.

كلمة أخيرة

قصة نبي الله سليمان عليه السلام تحمل الكثير من التشويق والخيال القصصي الذي ألهم الكثيرين من الكتاب عبر العصور ونحن هنا في هذا الكتاب اقتصرنا على نقل ماروى عنه في الصيحيح من قصص القرءان والسنة النبوية وأشرنا الى ما روته كتب اليهود وغيرهم.

فلقد تولى سليمان الملك بعد أبيه وهو في الثالثة من عمره ودام ملكه أربعين عام واليهود لا يعترفون به نبيًّا وإنما ملكاً حكمهم بالسحر وتسخير الشياطين وقالوا عنه أنه أشرك بالله في أواخر أيامه و لاعجب في قولهم فهم قتلة الأنبياء وأكثر الخلق افتراء على الأنبياء والرسل.

لكن الله عز وجل برأه في القرآن الكريم في سورة البقرة الآية ١٠٢ فقال: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ﴾ [البقرة: ١٠٢].

وذكر أن الله سخر له أشياء كثيرة: كالإنس والجن والطير والرياح... وغير ذلك، يعملون له ما يشاء بإذن ربه، ولا يخرجون عن طاعته، وإن خرج منهم أحدٌ وعصاه ولم ينفذ أمره عذبه عذابًا شديدًا، وألان له الحديد، وسخر الله له الشياطين، يأتون له بكل شيء يطلبه، ويعملون له المحاريب والتماثيل والأحواض التى ينبع منها الماء.

قال تعالى: ﴿ وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ ۖ وَمِنَ الْجِنِّ

مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ [سبأ:١٢-١٣] وعلَّم الله -سبحانه- سليمان لغة الطيور والحيوانات، وكان له جيش عظيم قوى يتكون من البشر والجن والطير، قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [النمل : ١٧].

وكان سليمان دائم الذكر والشكر لله على هذه النعم، كثير الصلوات والتسابيح والاستغفار، وقد منح الله عز وجل سليمان -عليه السلام- الذكاء منذ صباه، فذات يوم ذهب كعادته مع أبيه داود -عليه السلام- إلى دار القضاء فدخل اثنان من الرجال، أحدهما كان صاحب أرض فيها زرع، والآخر كان راعيًا للغنم، وذلك للفصل في قضيتهما، فقال صاحب الأرض: إن هذا الرجل له غنم ترعى فدخلت أرضى ليلاً، وأفسدت ما فيها من زرع، فاحكم بيننا بالعدل، ولم يحكم داود في هذه القضية حتى سمع حجة الآخر، عندها تأكد من صدق ما قاله صاحب الأرض، فحكم له بأن يأخذ الغنم مقابل الخسائر التى لحقت بحديقته، لكن سليمان -عليه السلام- رغم صغر سنه، كان له حكم آخر، فاستأذن من أبيه أن يعرضه، فأذن له، فحكم سليمان بأن يأخذ صاحب الغنم الأرض ليصلحها، ويأخذ صاحب الأرض الغنم لينتفع بلبنها وصوفها، فإذا ما انتهى صاحب الغنم من إصلاح الأرض أخذ غنمه، وأخذ صاحب الحديقة حديقته.

وكان هذا الحكم هو الحكم الصحيح والرأي الأفضل، فوافقوا على ذلك الحكم وقبلوه بارتياح، وأعجب داود -عليه السلام- بفهم ابنه سليمان لهذه القضية مع كونه صغيرًا، ووافق على حكم ابنه، وقد حكى الله -عز وجل- ذلك في القرآن قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُۥدَ ٱلْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَٱلطَّيْرَ ۚ وَكُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾ [الأنبياء:٧٨-٧٩].

وذات يوم كان سليمان يسير مع جنوده من الجن والإنس، ومن فوقه الطير يظله

فسمع صوت نملة تقول لزميلاتها: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَـٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [النمل:١٨] فتبسَّم سليمان من قول هذه النملة، ورفع يده إلى السماء داعيًا ربه شاكرًا له على هذه النعمة قال:

﴿رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [النمل:١٩].

هو أحد أنبياء الله في الإسلام وقد ذكر ملكه القرآن ونسبه وتوالي نعم الله عليه كما ذكرنا، فهو قد سخر له جيش من الوحش والطير والجن والبشر وصفات أخرى مثل قدرته على فهم منطق جميع الكائنات بما فيها النمل.

ذكر الحافظ أبو بكر البيهقي بسنده عن أبي مالك

قال: مر سليمان بن داود بعصفور يدور حول عصفورة،

فقال لأصحابه: أتدرون ما يقول؟

قالوا: وما يقول يا نبي الله؟

قال: يخطبها إلى نفسه ويقول: زوجيني، أسكنك أي غرف دمشق شئت.

قال سليمان عليه السلام: لأن غرف دمشق مبنية بالصخر لا يقدر أن يسكنها أحد، ولكن كل خاطب كذاب وكذلك ما عداها من الحيوانات وسائر صنوف المخلوقات والدليل على هذا قوله بعد هذا من الآيات ﴿وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ [النمل:١٦] أي: من كل ما يحتاج الملك إليه من العدد والآلات، والجنود، والجيوش، والجماعات من الجن، والإنس، والطيور والوحوش، والشياطين السارحات، والعلوم والفهوم، والتعبير عن ضمائر المخلوقات، من الناطقات والصامتات.

ثم قال: ﴿إِنَّ هَـٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ﴾ أي: من بارئ البريات وخالق الأرض والسماوات، كما قال تعالى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَـٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوْا۟ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمْلُ ٱدْخُلُوا۟ مَسَـٰكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ

سُلَيْمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾ [سورة النمل: ١٧ : ١٩].

وبحسب القرآن فقد فهم سليمان ما خاطبت به تلك النملة لأمتها من الرأي السديد، والأمر الحميد، وتبسم من ذلك على وجه الاستبشار والفرح والسرور بما أطلعه الله عليه دون غيره. والمراد بوالديه في آية سورة النمل، داود وأمه وكانت من العابدات الصالحات كما قال سنيد بن داود، عن يوسف بن محمد بن المنكدر، عن أبيه عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «قالت أم سليمان بن داود: يا بني لا تكثر النوم بالليل فإن كثرة النوم بالليل تدع العبد فقيرا يوم القيامة».

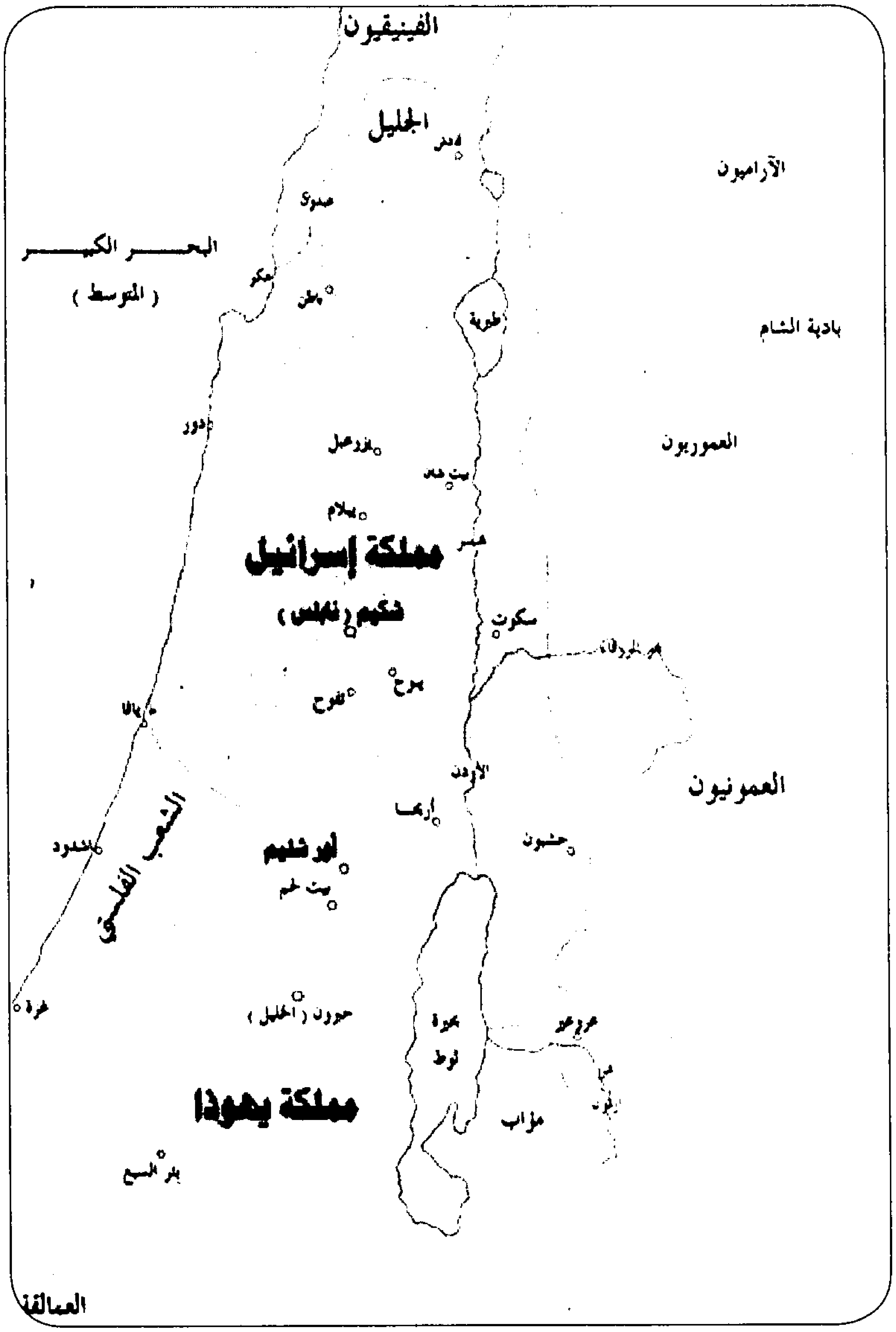
وقال عبد الرزاق، عن معمر، عن الزهري، أن سليمان خرج هو وأصحابه يستسقون فرأى نملة قائمة رافعة إحدى قوائمها تستسقي فقال لأصحابه: ارجعوا فقد سقيتم إن هذه النملة استسقت فاستجيب لها.

قال ابن عساكر: وقد رُوي مرفوعا ولم يذكر فيه سليمان ثم ساقه من طريق محمد بن عزيز، عن سلامة بن روح بن خالد، عن عقيل، عن ابن شهاب حدثني أبو سلمة، عن أبي هريرة أنه سمع الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم يقول: «خرج نبي من الأنبياء بالناس يستسقون الله فإذا هم بنملة رافعة بعض قوائمها إلى السماء فقال النبي: ارجعوا فقد استجيب لكم من أجل هذه النملة». وقال السدي: أصاب الناس قحط على عهد سليمان عليه السلام، فأمر الناس فخرجوا فإذا بنملة قائمة على رجليها باسطة يديها وهي تقول: «اللهم إنا خلق من خلقك ولا غناء بنا عن فضلك» قال فصب الله عليهم المطر.

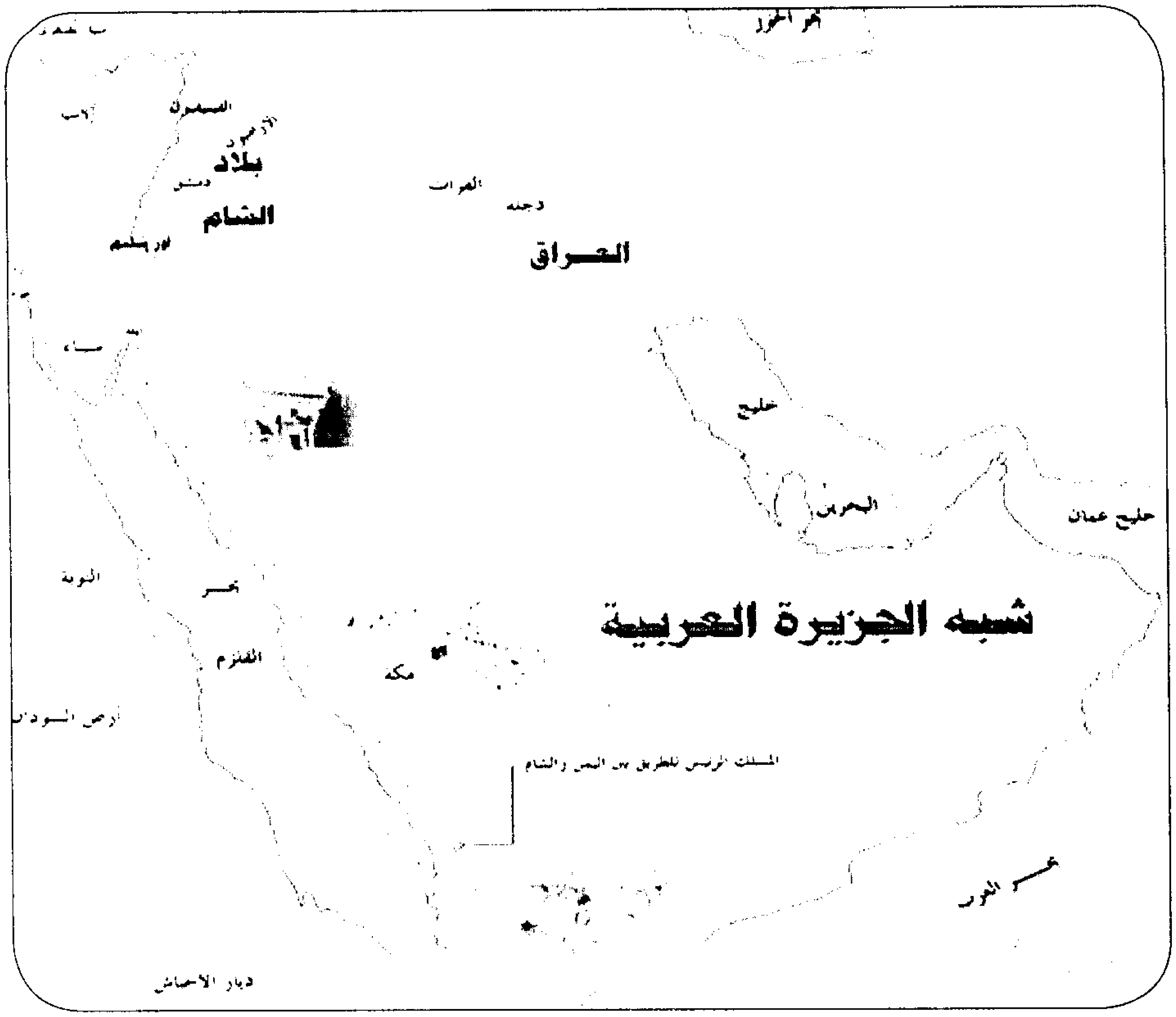
وكذلك ذكر القرءان قصته مع ملكة سبأ وعرشها وقومها ولعل الكثير من حياته وحكمته لم يصل إلينا وإن كان ما وصل إلينا يكفي ونسأل الله ان يتقبل منا هذا العمل وغيره من الأعمال الصالحة إنه ولي ذلك والقادر عليه وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

المؤلف

ملحق الصور



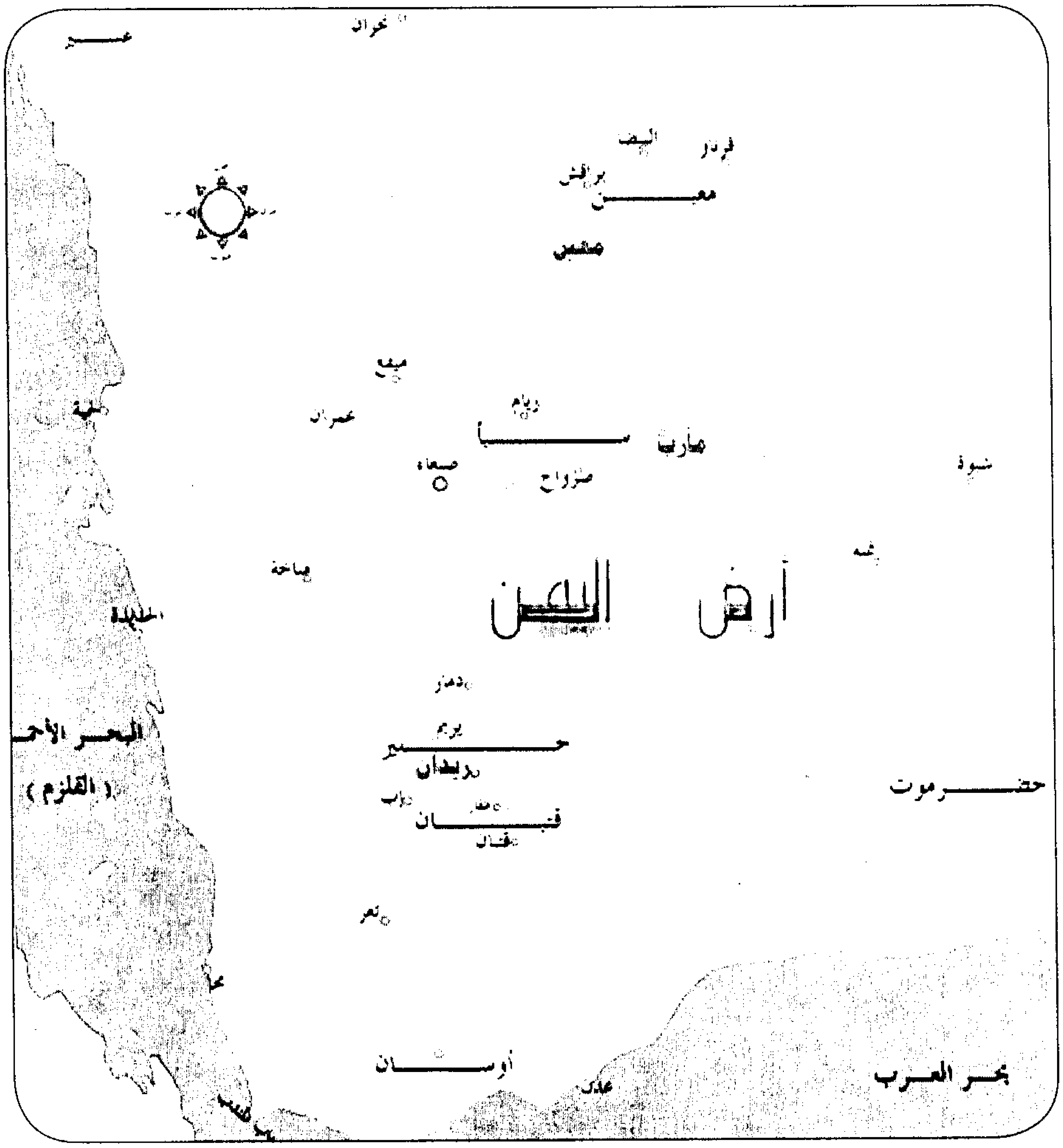
مملكة سليمان عليه السلام بعد وفاته



مملكة سليمان عليه السلام



من آثار سد مأرب


عسير
نجران
قرنو
براقش
معين
ميفع
ريام
عمران
سبأ
مأرب
صنعاء
شبوة
أرض اليمن
حمير
ريدان
حضرموت
البحر الأحمر
(القلزم)
قتبان
تعز
أوسان
عدن
بحر العرب

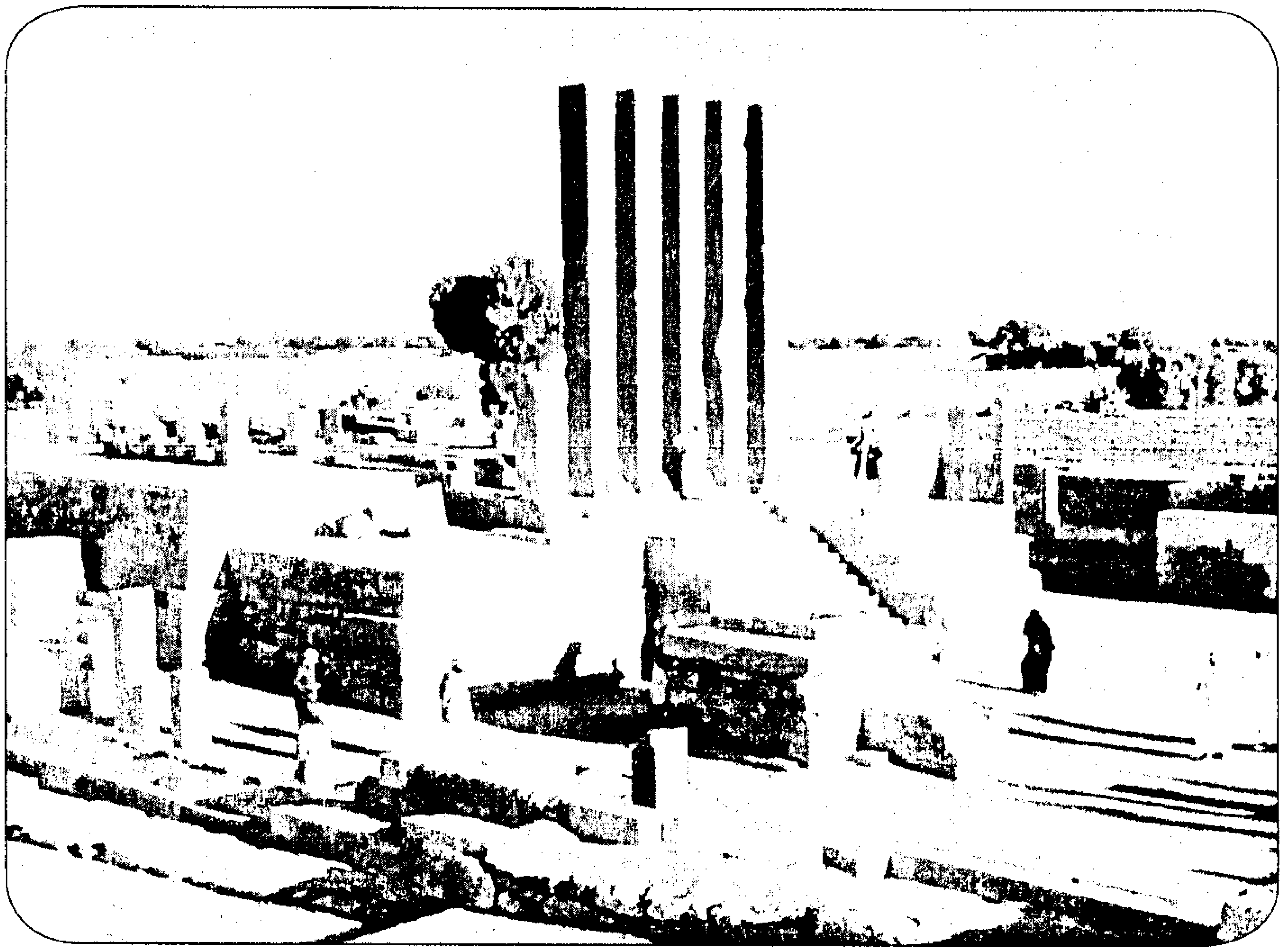
ممالك اليمن



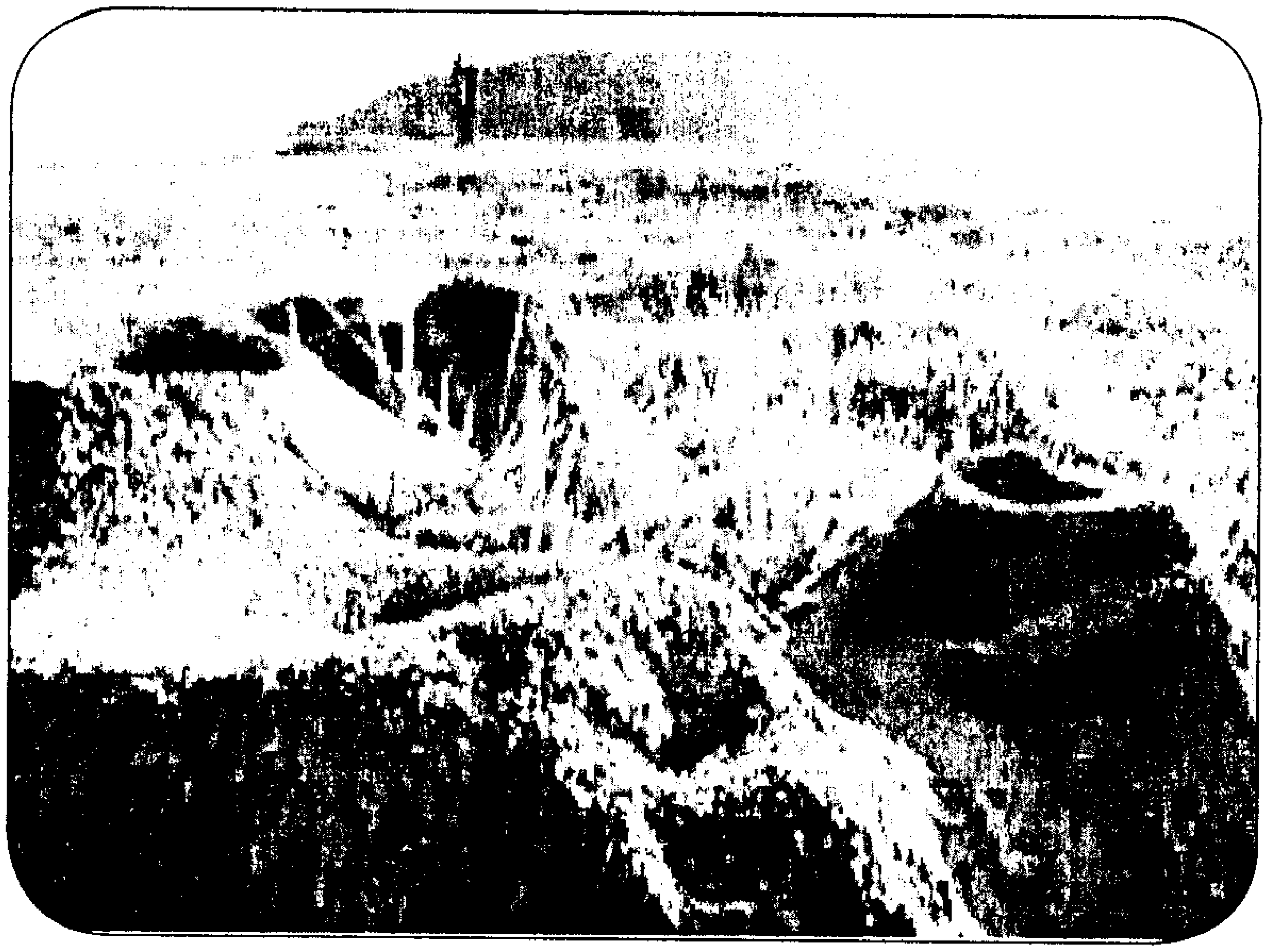
رحلة الهدهد في زمن سليمان من الشام إلى اليمن



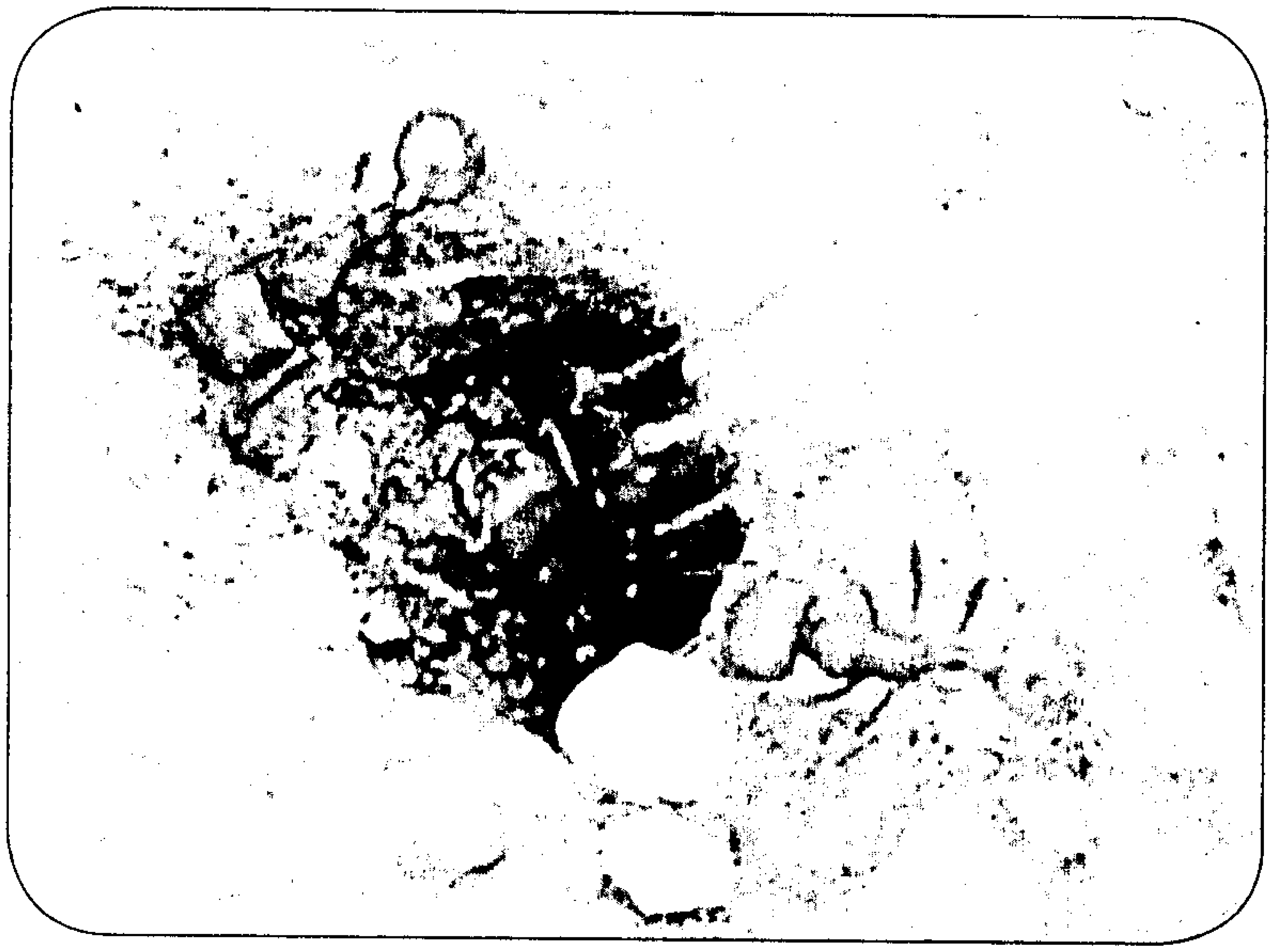
طائر الهدهد



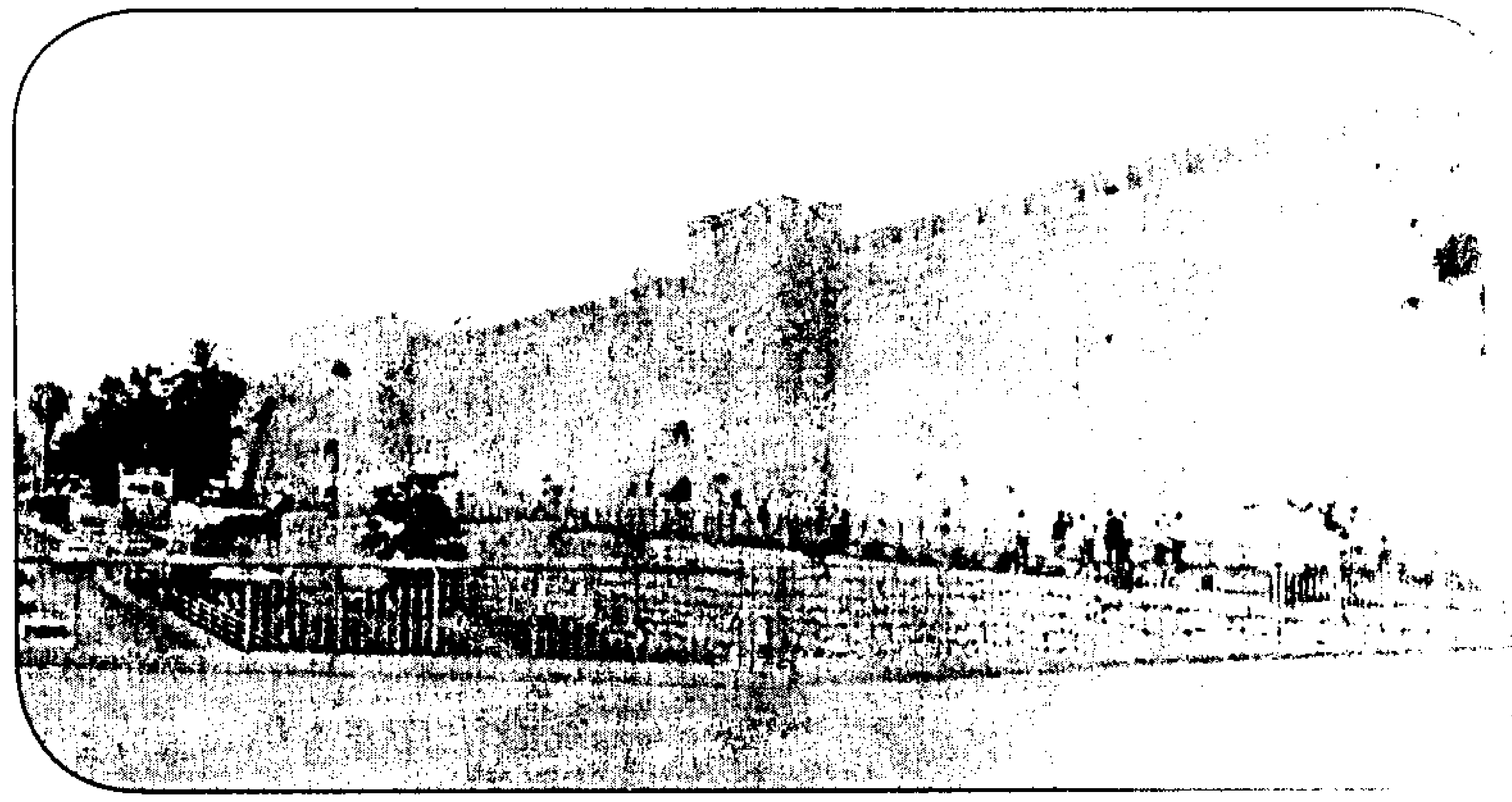
صورة لمكان عرش بلقيس في اليمن



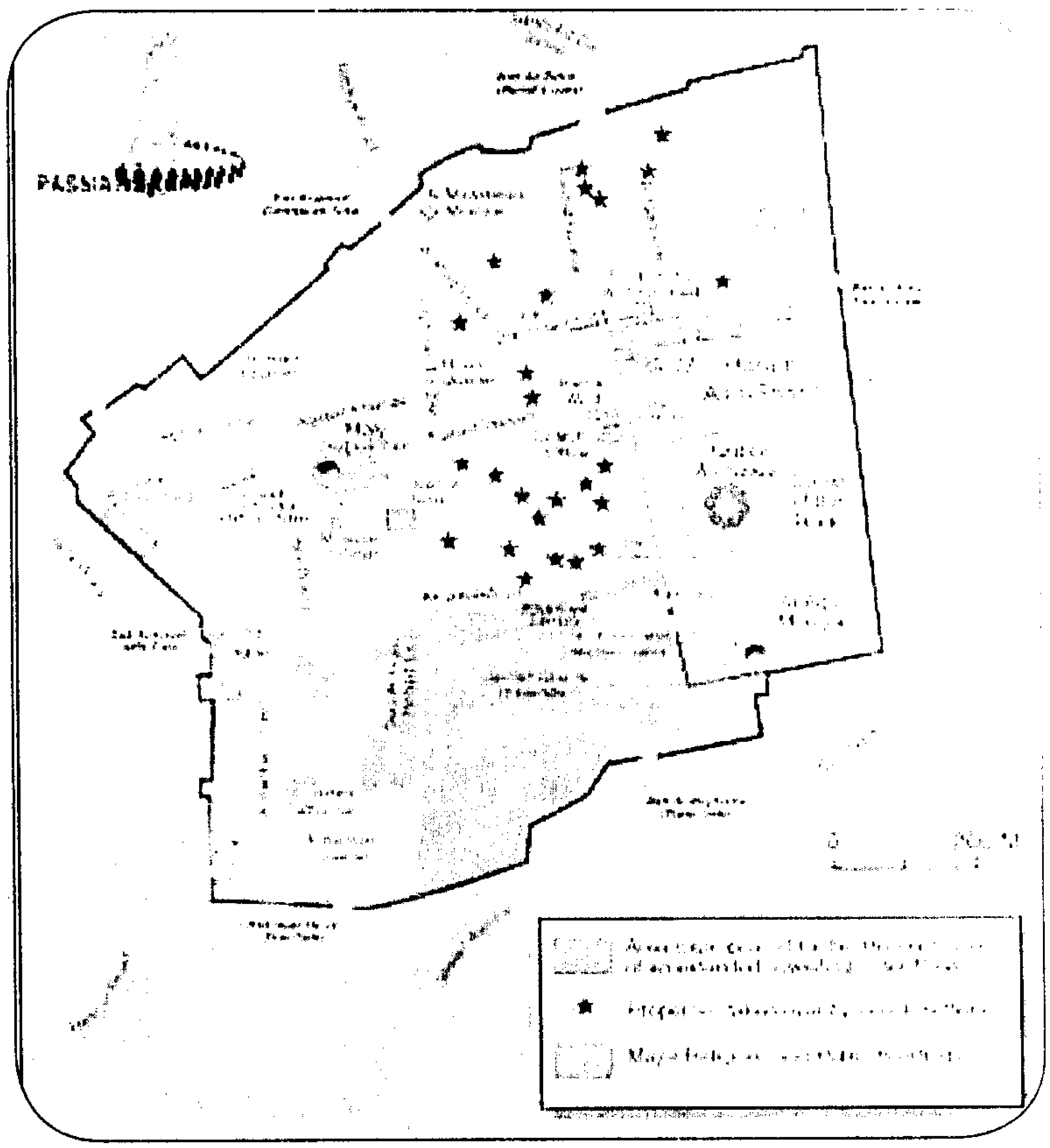
أودية النمل



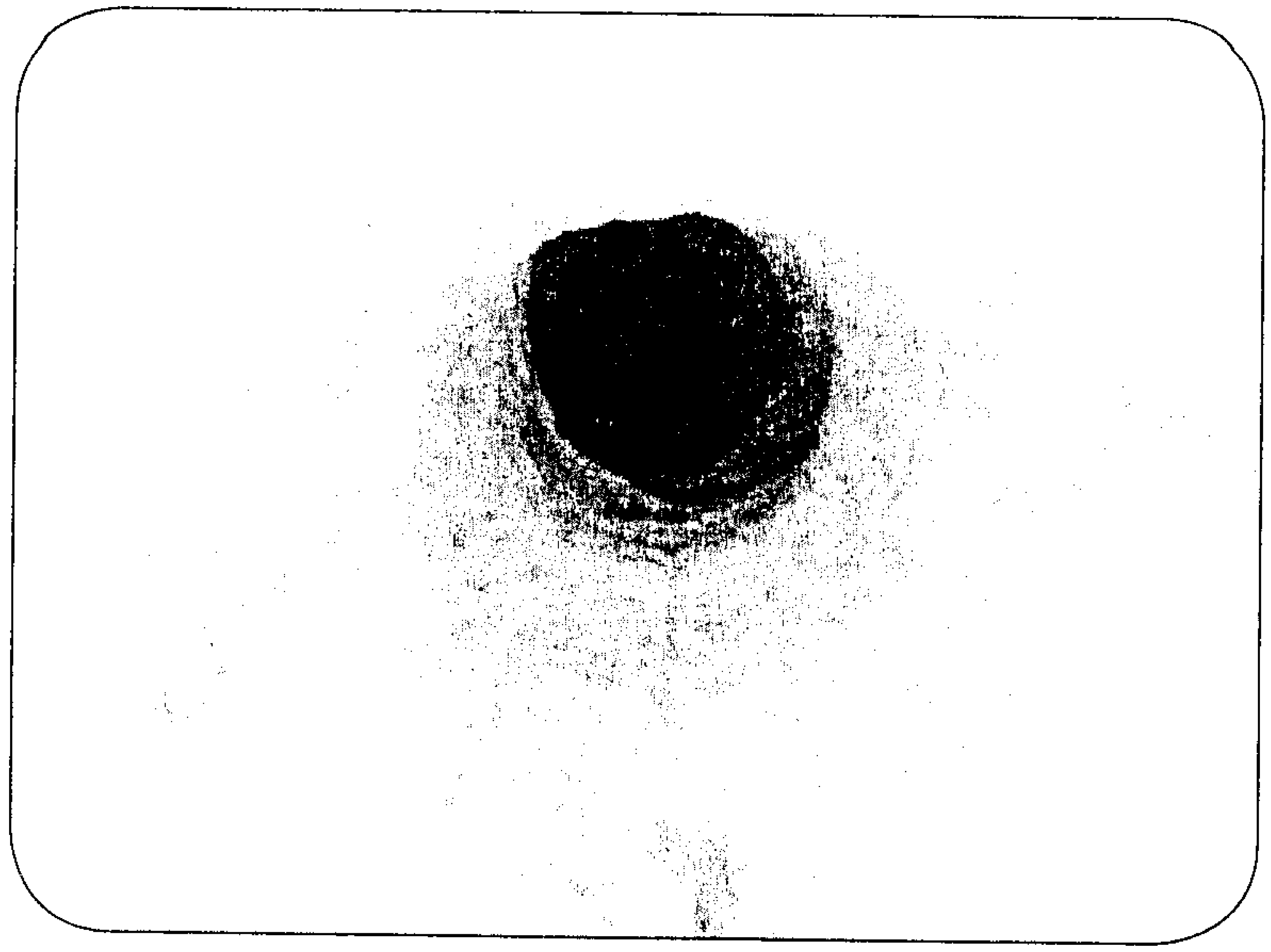
النمل في أودية النمل



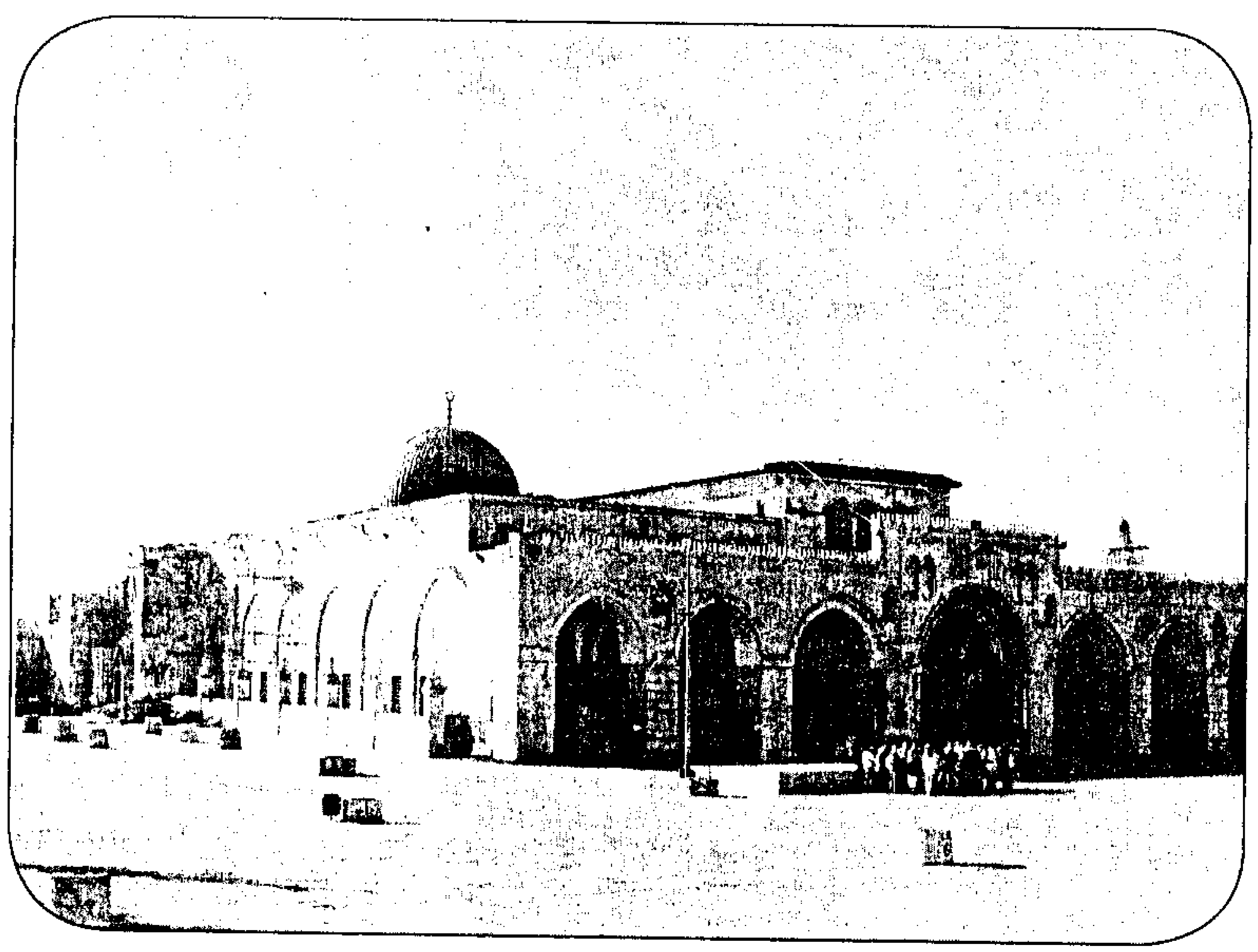
أسوار القدس



خريطة المدينة القديمة



صورة لإحدى الآبار التي يظن أن الجن حفرها لسليمان في الصخر في قرية «لينة» شمال السعودية



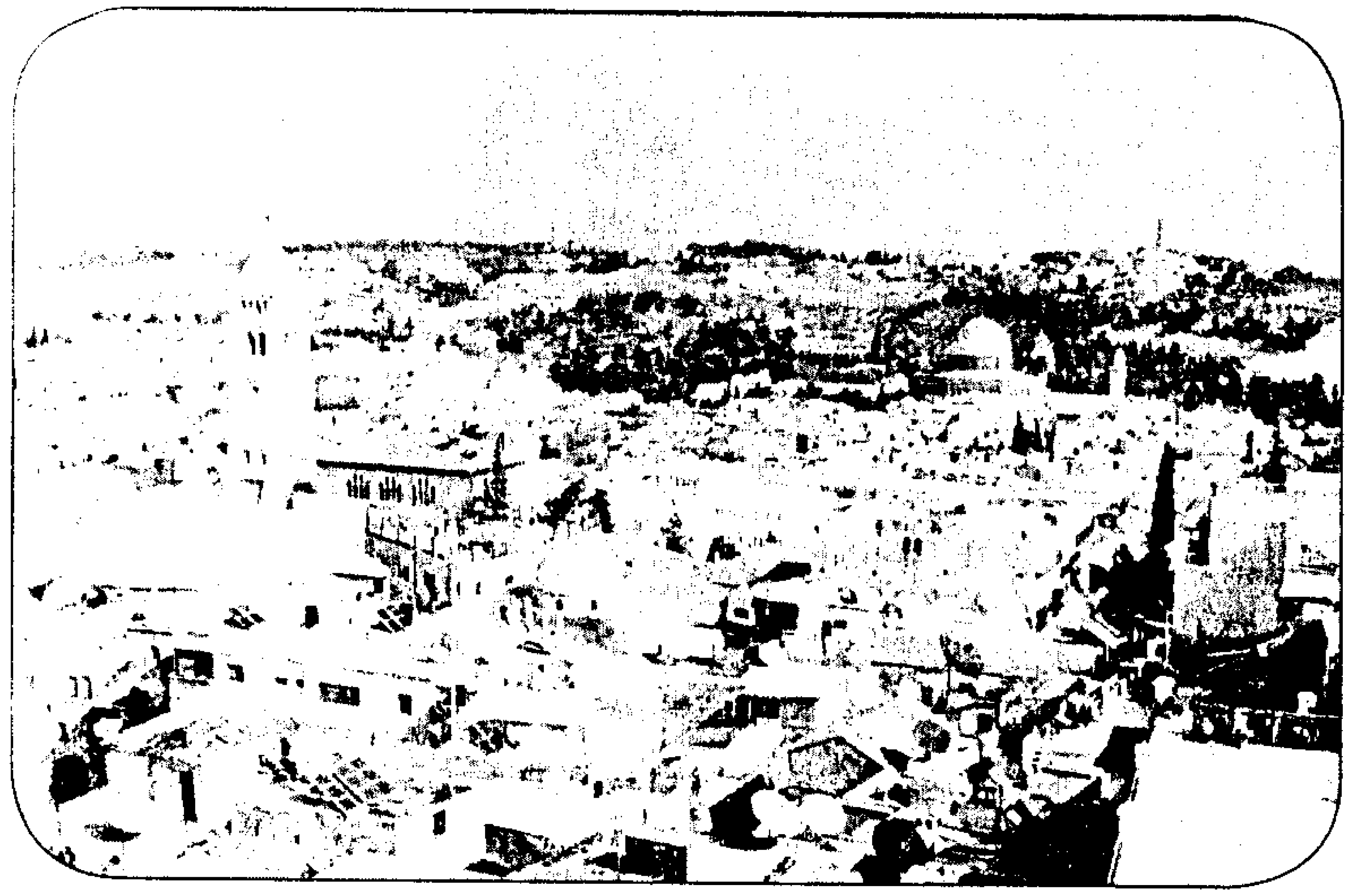
صورة للمسجد القبلي (الأقصى) الذي بناه الملك عبدالملك بن مروان في ساحة المسجد الأقصى في المكان الذي صلى فيه الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه



صورة تخيلية للملكة بلقيس



صورة قديمة للقدس



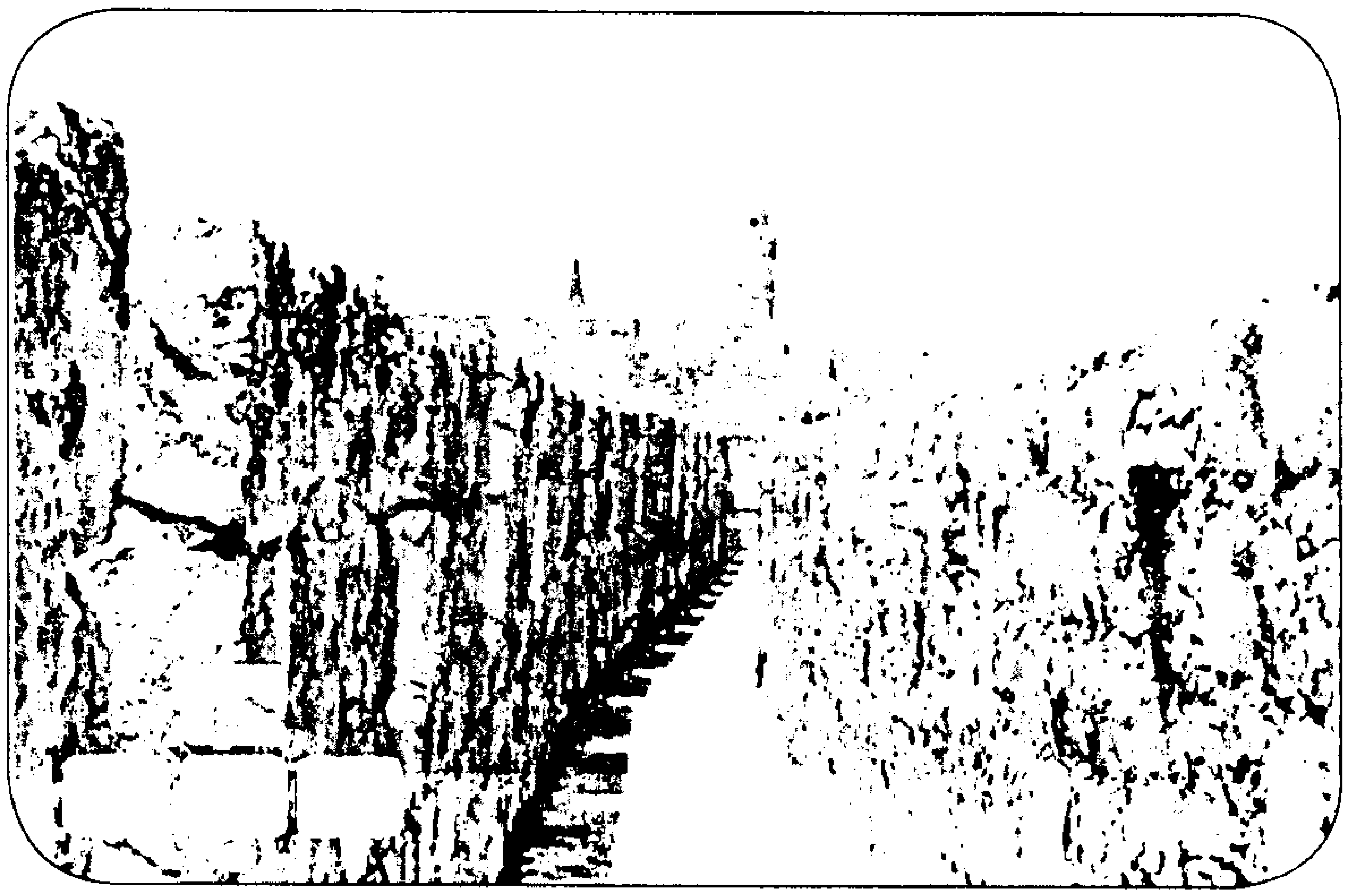
صورة للبلدة القديمة في القدس



اليهود يصلون عند الحائط الغربي حائط البراق ويدعون أنه جزء من الهيكل المزعوم



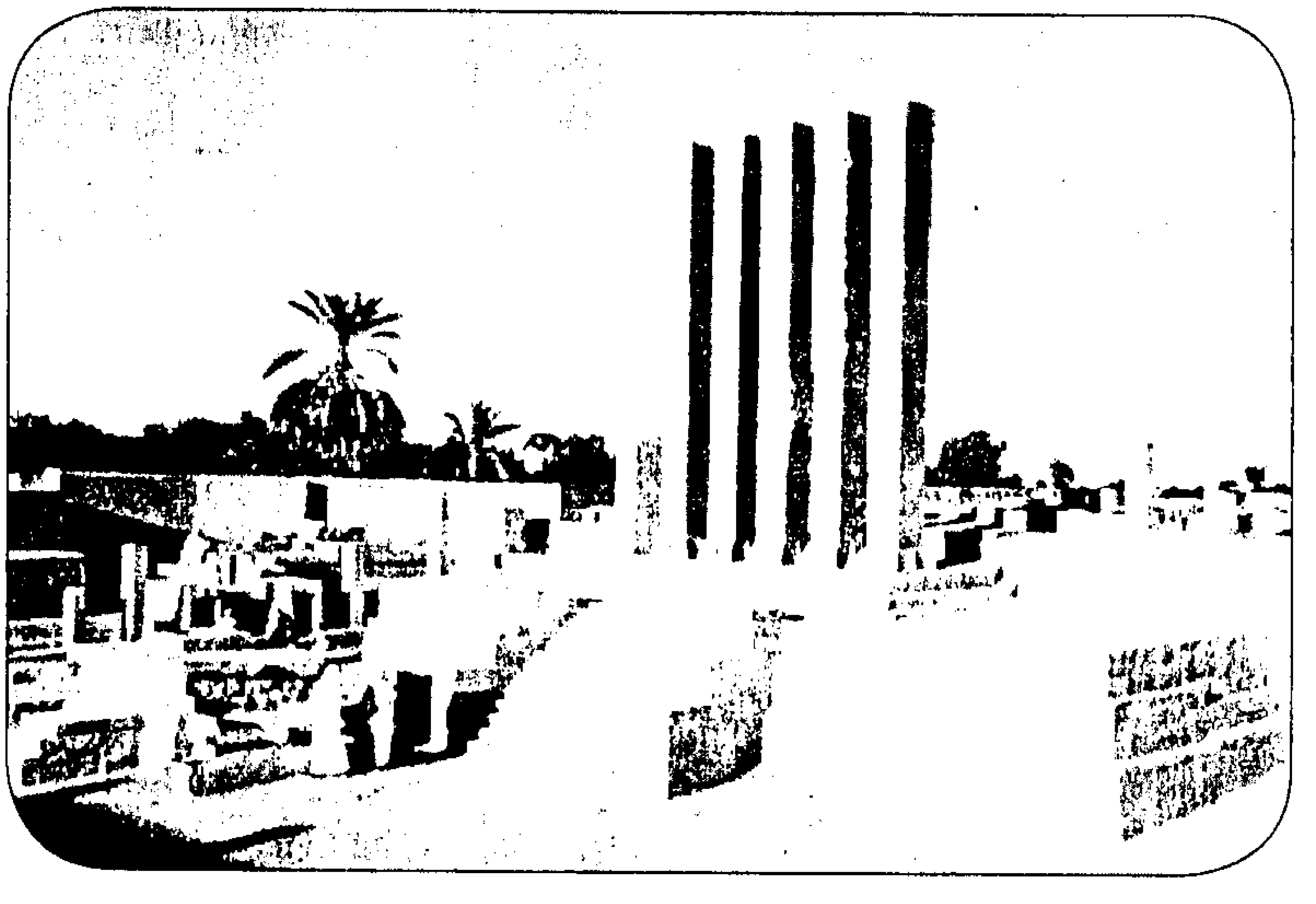
حائط البراق الذي يسميه اليهود المبكى قديماً



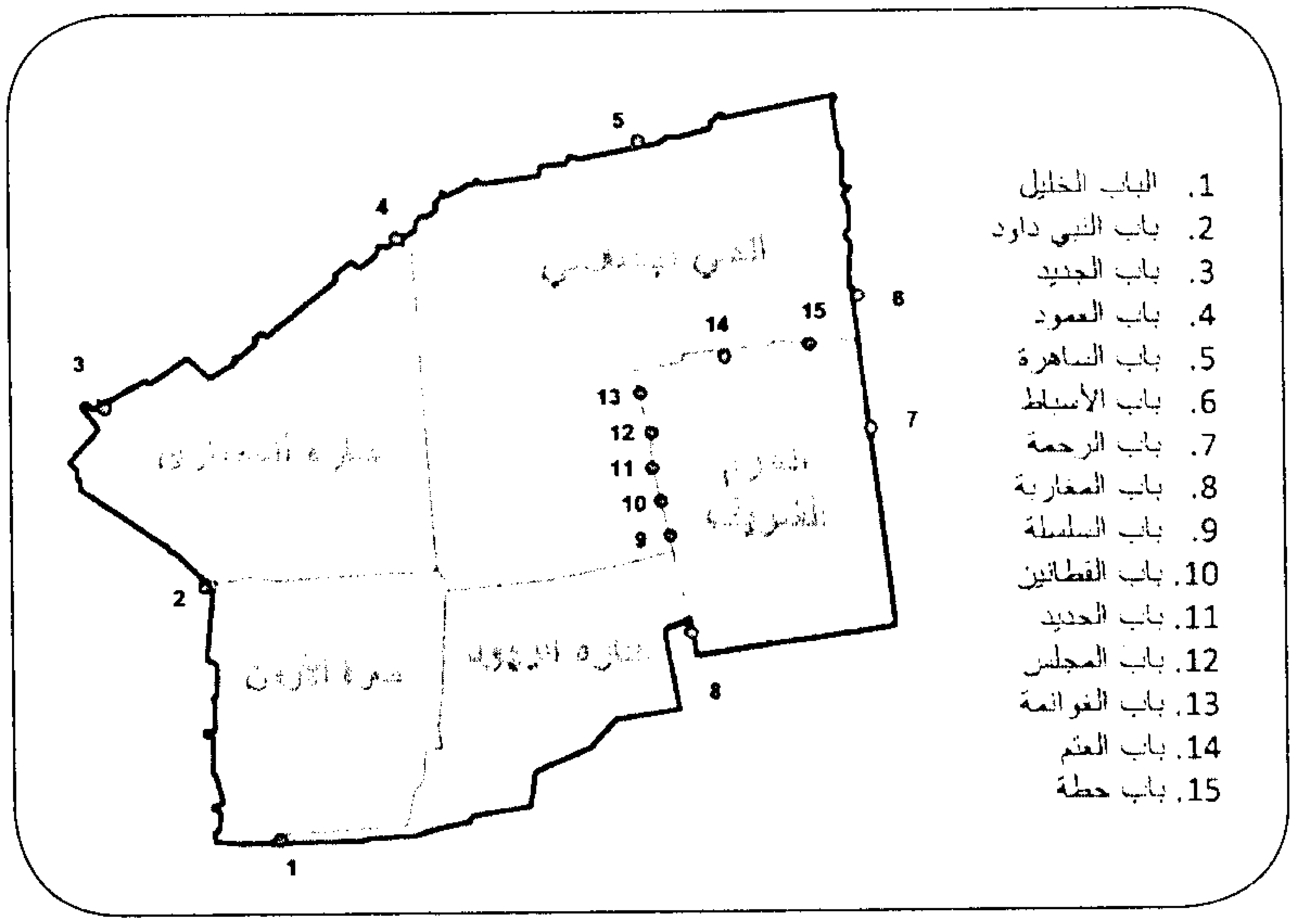
الأسوار القديمة للقدس



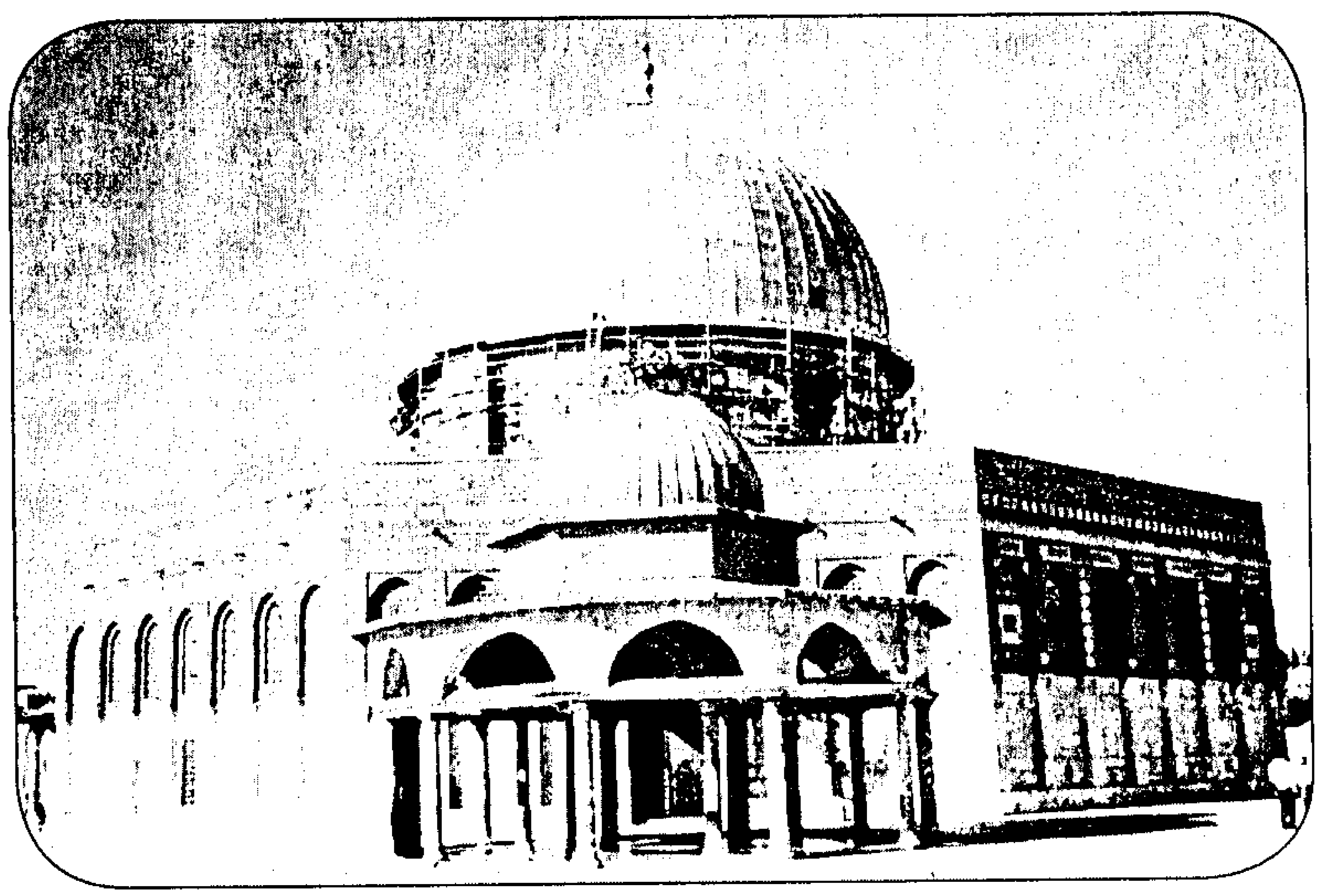
صورة تخيلية لقدوم بلقيس مع الخدم والحاشية خلفها



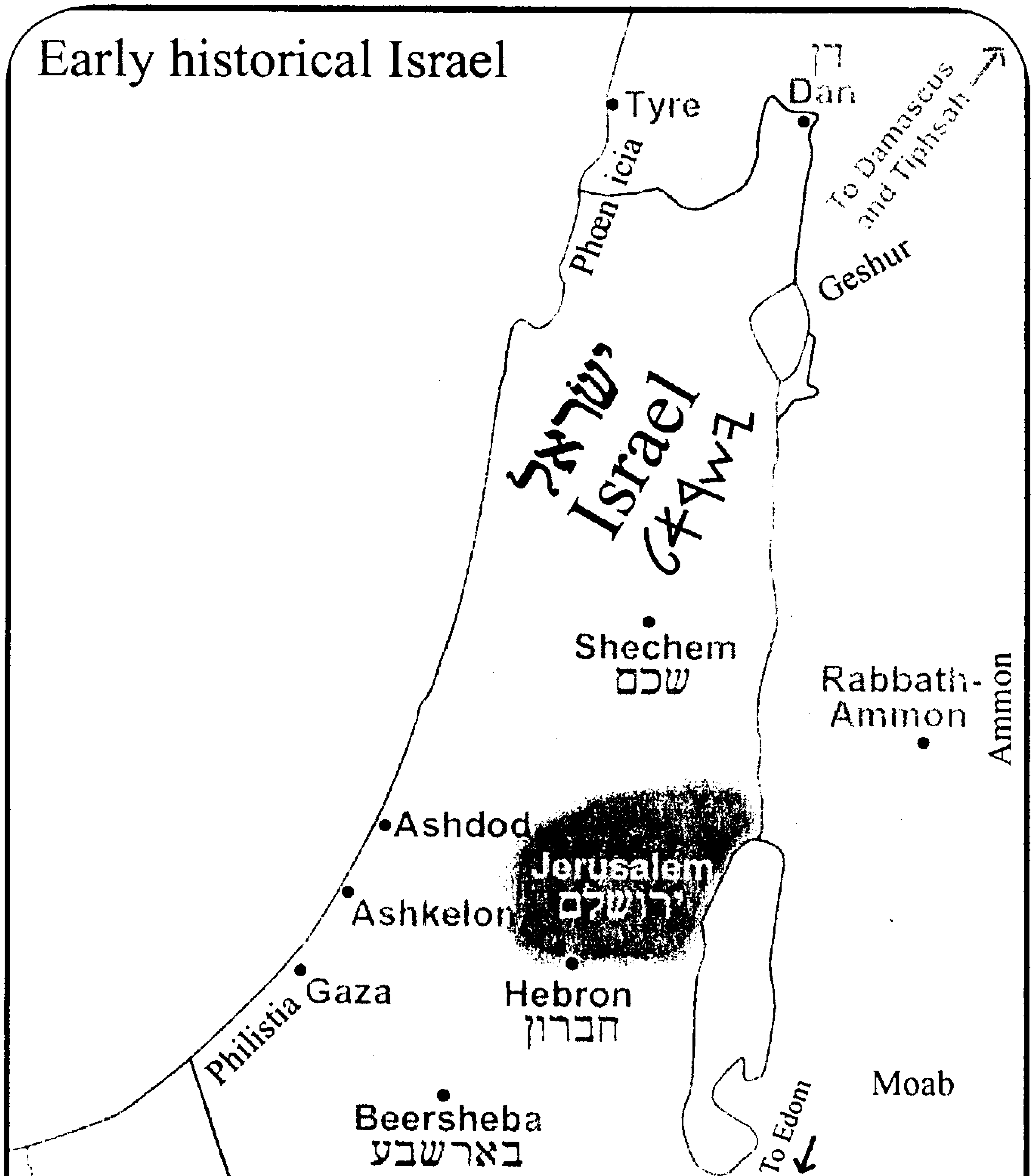
معبد بران أو محرم بلقيس



من أماكن القدس الشريف

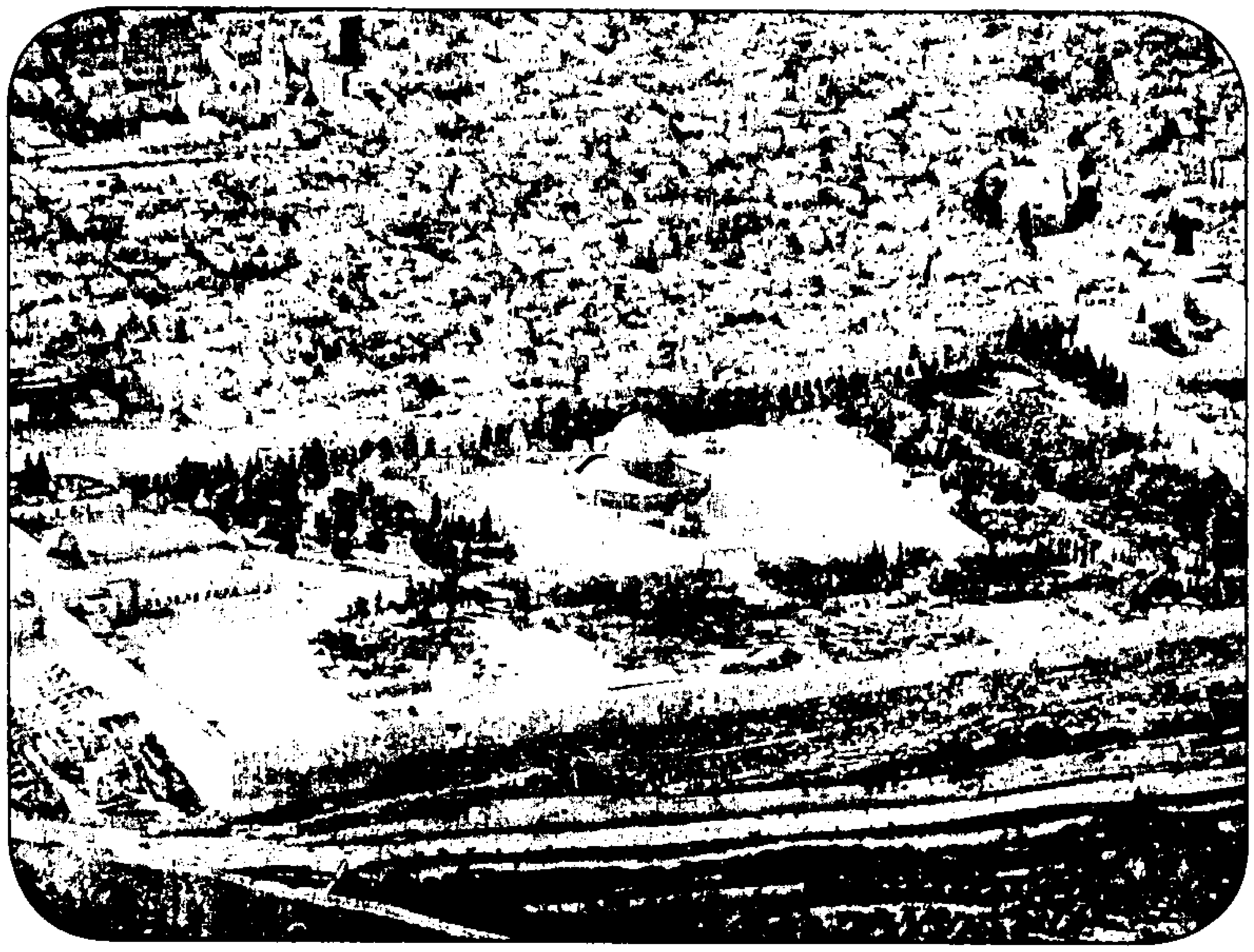


صورة خارجية لمسجد قبة الصخرة الذي يقع وسط ساحة المسجد الأقصى على الصخرة ا لمشرفة

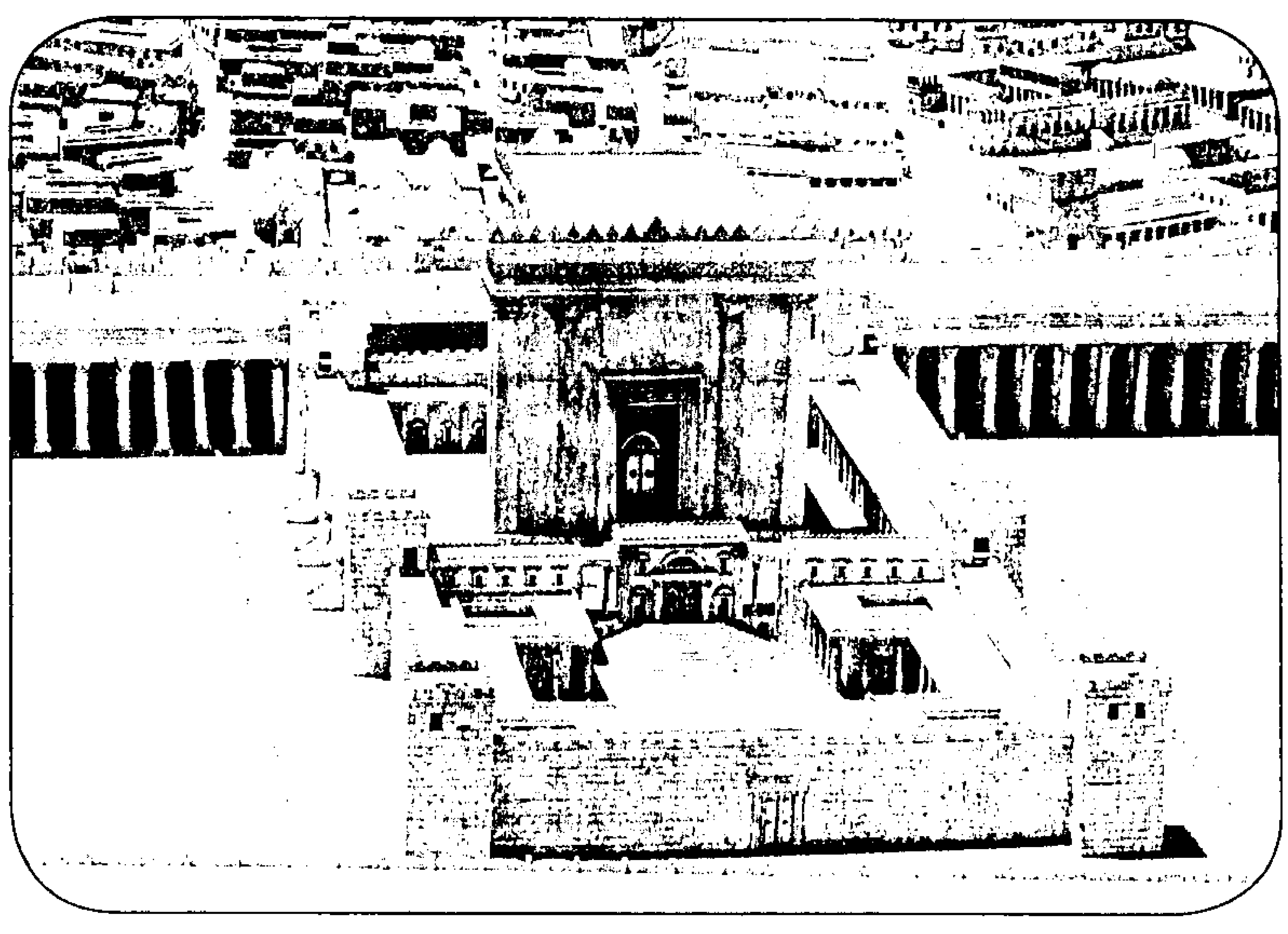


= A rough approximate map of the lands inhabited by Israelites or under ***direct*** central royal administration during the United Monarchy (according to the Bible). This is basically what is referred to by the recurring Biblical phrase "from Dan to Beersheba". ■ = The central core of ancient Judea. This area was part of a Jewish kingdom, or a Jewish province within a larger empire, almost continuously from the days of King David down to 135 CE

خريطة مملكة إسرائيل الموحدة أيام حكم طالوت



ساحة المسجد الأقصى يتوسطه مسجد قبة الصخرة الشهير



صورة لماكيت صممه اليهود لهيكل سليمان المزعوم

أهم المراجع والمصادر

١ - القرآن الكريم.

٢- صحيح البخاري.

٣- صحيح مسلم.

٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل.

٥- سنن الترمذي.

٦- تفسير ابن كثير.

٧- تفسير القرطبي.

٨- تفسير النسفي.

٩- تفسير الطبري.

١٠- تاريخ الطبري.

١١- البداية والنهاية لابن كثير.

١٢- التفسير الكبير (مفاتيح الغيب) لفخر الدين الرازي.

١٣- ألف ليلة وليلة.

١٤- العهد القديم.

١٥- موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية - د. عبدالوهاب المسيري.

١٦- قبل أن يهدم الأقصى - د. عبدالعزيز مصطفى.

١٧- المزاعم الصهيونية حول الهيكل - د. صالح حسين سليمان.

١٨- إسرائيل ركيزة الاستعمار - د. حسن ظاظا.

١٩- معالم التاريخ المعاصر - أنور الجندي.

٢٠- محمد نبي الإسلام في التوراة والإنجيل والقرآن - محمد عزت الطهطاوي.

٢١- إسرائيل عبر التاريخ - د. فؤاد حسنين علي.
٢٢- العرب واليهود في التاريخ - د. أحمد عثمان.
٢٣- تاريخ اليهود - د. أحمد عثمان.
٢٤- دراسات تاريخية من القرآن - د. محمد بيومي مهران.
٢٥- قصة الحضارة - ديورانت - ترجمة: د. زكي إسكندر.
٢٦- آثار فلسطين - وليم أولبريت - ترجمة: د. زكي إسكندر.
٢٧- إيذاء وازدراء الأنبياء - منصور عبدالحكيم.
٢٨- قصص الأنبياء لابن كثير.
٢٩- المستدرك - الحاكم النيسابوري.
٣٠- اللآلئ المصنوعة في الأحاديث الموضوعة - لأبي شهبة.
٣١- الحاوي في الفتاوى - للسيوطي.

الكاتب في سطور

منصور عبدالحكيم محمد عبدالجليل.

من مواليد القاهرة ١٩٥٥.

حاصل على ليسانس في الحقوق جامعة عين شمس ١٩٧٨م.

يعمل بالمحاماة والكتابة في الصحف والمجلات العربية والإسلامية له العديد من الإصدارات والأبحاث في الصحف والمجلات العربية والإسلامية واللقاءات على الفضائيات العربية وترجمت بعض كتبه للغة الإنجليزية ولغات أخرى.

وعدد الكتب التي صدرت له حتى عام ٢٠١٣ عدد ١٥١ كتاباً متنوعاً أثرت المكتبة العربية والإسلامية.

من الكتب التي صدرت له:

- السيناريو القادم لأحدث آخر الزمان
- نهاية العالم وأشراط الساعة
- عشرة ينتظرها العالم
- تنبؤات نوستراداموس ومخططات اليهود
- يأجوج ومأجوج من البدء حتى الفناء
- البداية فتن والنهاية ملاحم
- أقدم تنظيم سري في العالم
- العالم رقعة شطرنج.
- من يحكم العالم سرا؟.
- أسرار الماسونية الكبري.
- أوراق ماسونية سرية للغاية.
- العراق أرض النبوءات والفتن.
- الإمبراطورية الأمريكية - البداية والنهاية.
- نيويورك وسلطان الخوف.
- بلاد الحجاز معقل الإيمان آخر الزمان.
- بلاد الشام أرض الأنبياء والنبؤات.

- الفراسة في معرفة الآخرين.
- ازدراء وإيذاء الأنبياء
- المهدي في مواجهة الدجال.
- الحرب السابعة ونهاية اليهود.
- هر مجدون ونهاية أمريكا وزوال إسرائيل.
- السفيانى صدام آخر على وشك الظهور.
- إسرافيل وأهوال القيامة.
- مؤامرات وحروب صنعتها الماسونية.
- عزرائيل ملك الموت.
- حكومة الدجال الماسونية الخفية..
- مناسك الحج والعمرة
- الشيطان إبليس وصراعه مع الإنسان.
- صلاح الدين المنقذ المنتظر.
- هلاك الأمم من قوم نوح إلى عاد الثانية.
- جنكيز خان إمبراطور الشر
- هولاكو مارد من الشرق.
- مالك خازن النار - النار وأهوالها
- عرش إبليس ومثلث برمودا
- هل الشعراوي متطرفا يا إبراهيم.
- نهاية العالم قريباً.
- نهاية دولة إسرائيل سنة ٢٠٢٢.
- الحرب العالمية الثالثة قادمة.
- المهدي المنتظر.
- نهاية ودمار إسرائيل وأمريكا.
- شهداء الصحابة.
- نساء أهل البيت.

- زوجات الأنبياء والرسل
- بيوت الرسول وبيوت الصحابة حول المسجد النبوي.
- النساء المبشرات بالجنة.
- بنات الصحابة
- المبشرات بالنار من النساء.
- رضوان خازن الجنة
- الحرب العالمية الأخيرة قادمة
- أعمال يحبها الله
- دولة فرسان مالطا وغزو العراق.
- القرين العدو الخفى للإنسان.
- الثالوث الغامض..قارة أطلانتس ومثلث برمودا والأطباق الطائرة.
- عالم السحر والسحرة والمسحورين.
- الحياة الأخرى.
- أصحاب البروج فى مواجهة أصحاب الكهوف.
- السلطان عبد الحميد الثانى آخر السلاطين المحترمين
- تيمورلنك إمبراطور على صهوة جواد.
- مصطفى كمال أتاتورك ذئب الطورانية الأغبر.
- الحجاج بن يوسف الثقفى طاغية بنى أمية.
- عمرو بن العاص داهية العرب.
- خالدبن الوليد قاهر الأكاسرة والقياصرة
- طارد الجن.
- مواجهة الجن.
- موائد الشيطان.
- الأعشاب والجن.
- دعوة للزواج.
- عرش إبليس ومثلث برمودا.

- معجزات الشفاء بالحجامة.
- نهاية العالم قريباً.
- زوجات الرسول للأطفال
- ١٠٠ قصة لرجال ونساء عفا عنهم الرسول صلى الله عليه وسلم.
- اختبر معلوماتك الإسلامية.
- بيوت الرسول وبيوت الصحابة حول المسجد النبوي.
- النساء المبشرات بالجنة.
- بنات الصحابة
- الموسوعة الإسلامية للنساء.
- جهنم فى الديانات السماوية.
- حرب الفيروسات ونهاية العالم.
- سلالات وعائلات ومنظمات تحكم العالم
- بروتوكولات حكماء صهيون والمخططات الماسونية
- التمهيد الأخير لظهور الدجال
- الدجال فى مواجهة الوحى الإلهى
- المسيح فى مواجهة الدجال
- هارون الرشيد الخليفة المفترى عليه.
- السلطان قطز بطل عين جالوت
- معاوية بن أبى سفيان
- الشفاء بالتمر
- السواك وفوائده
- الشفاء بالأحجار الكريمة
- بر الوالدين وعقوقهما وصلة الأرحام
- ١٥٠ قصة عن بر الوالدين وعقوقهما وصلة الأرحام
- أبناء فى الجنة وآباء فى النار.
- يوم الحشر وأهوال القيامة

- عالم الملائكة الكرام
- مشاهير وعظماء اغتالتهم الماسونية.
- هاروت وماروت بين الحقيقة والخيال
- الماسونية والثورات الشعبية بين الحقيقة والافتراء
- جنود الله من البعوضة إلى الفيس بوك.
- الصحابة تسأل والله يجيب.
- الشرق الأوسط فى نبوءات الكتب المقدسة
- مثلث برمودا مقبرة الأطلنطى.
- حوار مع صديقى عن الماسونية
- قصة أبينا آدم من الطين إلى الجنة
- الدولار الأمريكى الشفرة المقدسة للنظام العالمى الجديد
- لعبة المتنورين والنظام العالمى الجديد
- آل روكفلر تجار الموت وأعون الدجال
- الدولة العثمانية وسلاطين بنى عثمان
- طوفان نوح العظيم
- السلطان سليمان القانونى وحريم السلطان
- الشام على أعتاب النهاية
- عبد الله بن سبأ مؤسس الماسونية فى الإسلام
- المؤامرة الكبرى على العالم

تطلب من دار الكتاب العربي: دمشق / القاهرة، والمكتبات الكبرى

الفهرس